

ولي الله
اليهودي
طارق إبراهيم

الكاتب: طارق إبراهيم
التدقيق اللغوي: أحمد إبراهيم
الإخراج الفني: ضياء فريد
تصميم الغلاف: محمد علي
رقم الإيداع: ٢٠١٩/١٩٦٠٦
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٦٩٨-١٩-٠



9 شارع مسجد المغفرة المتفرع من شارع العشرين
بجوار مدارس حسام الدين الخاصة فيصل الجيزة.

موبايل: 01126026691 01061813345

01009823984

ولي الله اليهودي

رواية

طارق إبراهيم

تنويه مهم

اتفق أهل العلم على أن ناقل وحاكي الكفر ليس بكافر، إلا أن يعتقد ما ينقله أو يقر بما يحكيه، لذا وجب علينا أن نطلع القاري العزيز أن أحاكم كاتب هذه السطور لا يقر بكلمة مما سيحكي خلال هذا العمل من معتقدات كفرية، وإنما الاعتقاد هو عقيدة الإسلام والمسلمين، وفقما ورد في كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ.

حدث بالفعل

الإسكندرية ٢٠٠٣ ميدان الشهداء (محطة مصر)

في هذه الليلة تم إعلان سقوط بغداد بأيدي الجيش الأمريكي، كان الشيخ طارق محفظ القرآن قد انتهى من رص صواني البسبوسة في المكان المخصص لها بالمحل، حين أُذِّن لصلاة الفجر، فأغلق المحل وذهب إلى الصلاة، وحين عاد وجد شبحاً لشخص نائم أمام الباب المغلق، كان المشهد مألوفاً لدى طارق في تلك المنطقة، التي تعج بالكثير من مَنْ يوصفون بأطفال الشوارع، والرجال المشردون خصوصاً في هذه الساعة المتأخرة من الليل، ولكن حين اقترب منه وجده شيخاً تجاوز الخمسين، ذا لحية كثيفة مشعثة معممًا بعمة خضراء ضخمة، متقلداً في صدره مسابح كثيرة، فعلم أنه درويش صوفي، فحاول أن يوقظه برفق.

طارق: «يا شيخ! قوم يا حج عاوزين نفتح المحل».

ببطء اعتدل النائم وهو يقول بلا سبب أو تمهيد: «إمبارح قالوا حرب صليبية مقدسة والنهاردة بيقولوا صراع حضارات، وبكرة يقولوا حرب ضد الإرهاب»، ثم جلس لكنه لم ينهض من مكانه، استفزت الجملة فضول طارق فسأله: «من هم يا حج»؟

المجذوب: «عاد الثانية».

ظن طارق أنه لم يحسن السمع فكرر سؤاله: «قلت مين»؟

المجذوب: «هات حطة بسبوسة وأنا أقول لك».

ابتسم الشيخ طارق، وبعد أن فتح محله وجد الغريب جالساً على الرصيف فقدم له قطعة البسبوسة، تناول منه قطعة البسبوسة وهو ينظر إلى لحية طارق وسأله: «لو إنت شيخ بجد أنا أتحداك إنك تقدر تطلع لي أمريكا من القرآن».

حين سمعه طارق تيقن أن متحديه ما هو إلا أحد المجاذيب فلم يشأ في التفريط في الوقت المبارك، واستدار ليدخل محل البسبوسة ليتلو أذكار الصباح أثناء عمله، هنا قال الرجل: «أمريكا هي عاد الثانية المذكورة في القرآن».

بحركة لا إرادية استدار طارق مجدداً قائلاً: «إزاي بقى»!

تلا الدرويش الآيات: «فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾».

فطن طارق أن الدرويش يربط التوصيف في الربط والقياس في القول بين قول عاد قديمًا وقول الأمريكيان حديثًا.

طارق: «بس ده مش معناه إن أمريكا هي عاد عشان قالت نفس القول».

الدرويش: «هو فيه لفظة في القرآن مذكورة عبثًا أو بلا حاجة أو داعي»؟

أجاب طارق بلا تفكير: «لا طبعًا».

فتلا الدرويش فورًا: «وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ» .

وابتسم الدرويش وهو يقول: «كون ربنا ذكر الأولى، معناه إنه فيه تانية يا مفتح وأذكي إخوانك. وإلا كانت لفظة (الأولى) بلا معنى، وزى ما ربنا قال في سورة الأحزاب: «وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ»، مين كان وقت الصحابة يتصور إن نسوان المسلمين هترجع تبرج الجاهلية الثانية اللي إحنا شايفينه دلوقت!»

ضحك طارق من منطق الدرويش الصحيح والذي أفحمه ببساطته: «كلامك منطقي بس مش عارف هو صح ولا لأ!»

ضحك الدرويش ملء فيه وهو يقول: «يبقى إنت سلفي».

ثم واصل نوبة الضحك، مما أغضب طارق فقال: «قصداك إيه»؟

اكتست ملامح الدرويش بالحكمة وهو يواجه طارق بحقيقته: «قصدي إنك هتسأل شيوخك، ولو قالوا لك صح أبقى أنا عالم

وحكيم، ولو قالوا لك غلط أبقى مجذوب ومجنون زي الناس ما بتقول عني، والأهم إنك هتتلغي عقلك وهتتسي إنك لقيت كلامي منطقي».

أثارت جملة الدرويش الشجن في نفس طارق، إذ إنه وصف واقعه بشكل دقيق، **فوقع في نفسه توقيره وسأله: «اسمك إيه يا حج؟»** **الدرويش: «عمك جابر الصياد».**

طارق: «منين يا عم جابر؟»

تغيرت ملامح جابر وهو ينظر في الأفق لأول خيط من خيوط الشمس إشراقاً **وقال بلهجة يغمرها شجن حزين: «منين دي وراها حكاية طويلة لو حكيتها لك هتقول عليا مجنون زي اللي قبلك ما قالوا!»**

تأثر طارق أيما تأثر حين شعر بصدق إحساس العم جابر في كل كلمة من كلامه، فأحضر كرسيين وجلس بجوار الشيخ الحزين على الرصيف أمام المحل الخالي من الزبائن: **«احكي لي حكايتك يا عم جابر يمكن أقدر أساعدك».**

نظر إليه جابر طويلاً، وفوجئ به طارق يمسك بيده ويقول له: **«لو عاوز تساعدني اسمع مني حكايتي مع داوود الساعاتي، واحكيها للناس وقولهم إن جابر الصياد مش كذاب ولا مجنون، يمكن إنت حد يصدقك بعد ما كذبوني وقالوا عني مجنون».**

خمارة زعزوعة

خمارة زعزوعة، حارة اليهود، منطقة بحري، الإسكندرية،
شتاء ١٩٦٩م.

تحت سحب كثيفة من دخان الحشيش، يجلس جابر الصياد
-الشيخ الصوفي، الذي لا يعرف من العالم إلا صيد البحر- فجراً،
وحضرات الذكر المقامة عند أضرحة أولياء الله الصالحين، أمثال
سيدي الأباصيري (البوصيري)، وأبي العباس المرسي، وإن كان
المفضل لديه سيدي ياقوت العرش، وحلقته العامرة من بعد صلاة
المغرب حتى صلاة العشاء، أما الليل فهو لخمارة زعزوعة، وحكايات
عم داوود الساعاتي صاحب البيت الذي يسكنه.

لا أحد يجرؤ من رواد الخمارة على إزاحة مؤشر إذاعة
الإسكندرية من مكانه، خاصة إذا كانت بدرية السيد، هي من تشدو
كحالتها الآن.

موعودة لحبك موعودة.. برموشك وعينيك السوداء

بس أنا ضايقة تشهت فيا.. كل بنات الحنة يا هودة

المكان يكتظ بالصيادين في ملابسهم التقليدية: السراويل السوداء - أم تكة- الفضفاضة من أعلى حتى الركبة، ويضيق بعد ذلك حتى تلتصق بالساقين، والفانلات البيضاء ذات الرقبة العالية والاكمام الطويلة، عليها صديري به ما لا يحصى من الأزرار، والبرنيطة البيضاء الدائرية على الرؤوس. كما يوجد بعض رجال البحرية المتسللين فقط للسهرة من قاعدة رأس التين القريبة، ومن ثمَّ العودة للمبيت هنالك.

ما إن يجلس جابر وداوود على منضدتهم بنفس الركن اليومي، حتى يأتي لهم حمو زعزوعة، بلا طلب منهم، بشاربهم المعتاد: نص براندي ٨٤ وربعين كينا ماركة رأس العبد.

حمو: «سا الفل يا عم داوود، ازيك أجابر».

كان الشيخ جابر يمقته دومًا لتلفظه باسمه مجردًا من لقب الشيخ، ودومًا أراد زجره، ولكنه لم يفعل أبدًا، ليقينه التام بأنه بمجرد أن يفعل حتى يدخل في جدلية الخمارة والمشيمة لا يتفقان، وأنه من المستحيل أن يقنع حمو بنظرية (دي نقرة ودي نقرة) لصاحبها الهمام الشيخ فضل، والذي كان جابر أحد مريديه.

عم داوود: «ازيك يا حمو، أبوك فين»؟

حمو زعزوعة: «بيقضي مصلحة، نصاية ويجي، يلزمش أي خدمة تاني؟»

داوود: «لما يوصل هات لنا منه ربع قرش أفغاني نضيف». قالها ثم التفت إلى جابر بخبث: «النوبة على مين يدفع يا جابر يا بني؟»

جابر: «خليها علينا يا عم داوود».

كان هذا السؤال شبه اليومي من داوود، وكان هذا جواب جابر حينما يأتي أوان داوود في الدفع.

أنقد داوود حمو زعزوعة الحساب مقدماً على غير العادة، بل زاده ربع ريال (خمسة قروش) على سبيل البقشيش غير المتوقع، الذي جعل شفتي حمو ترتسم ببسمة مفاجأة، كشفت وراءها أسناناً صفراء ورائحة خمر لم يهضم بعد.

حمو: «سلم بحاله، عنيا الجوز يا أحلى عم داوود في حارة اليهود، والنبى حلوة».. ثم مدح نفسه: «خسارتك يا له يا حمو في الحارة!»! والنبى ده انا زجال فشر صلاح جاهين قالها بسماجة فجة، ثم استدار ملبياً: «ايوة جالاي»، علماً بأنه لم يكن هناك من يناديه.

جابر مازحاً: «مش عارفين نقولك إيه يا عم داوود، والله كثير اللي بتعمله معنا».

رد داوود مزحة جابر، والذي رام بها لمزًا لبخل داوود قائلاً:
«إنت عارف يا جابر إني ماليش غيرك إنت وأنوبيس، ومعزتكم عندي واحدة».

ضحك الاثنان، فقد كان جابر يعرف قدر الكلب أنوبيس أو ببس حسبما كان يدعوه جابر، لثقل اسم أنوبيس على لسانه، وتشابه الاسم مع اسم المشروب الغازي باللهجة السكندرية، وهكذا كان أولاد الحارة ينادونه، حتى صار ببس علمًا على الكلب، أما المشروب الغازي فابتكرت له عقولهم - المبدعة دومًا في مثل هذه الأمور فقط - اسمًا آخر هو أزوزة.

أنوبيس هذا لا يفارق داوود أبدًا، اللهم إلا في الخمارة حسب أوامر المعلم مرسي زعزوعة، أما سوى ذلك فلا يفترقان حتى في أسفار العم داوود المتعددة الغامضة كثيرًا.

ثم قال بعدما انتها من فاصلهما الضاحك.

داوود بجدية: «إنت ابني يا جابر، أبوك الله يرحمه كان أخويا وملهوش في الدنيا غيري».

جابر: «هو أنتم عرفتم بعض إزاي»؟

زفر داوود على إثر كأس البراندي الملقى دفعة واحدة في حلقه.

داوود: «زمان من خمسة وعشرين سنة، جت فرة في عقول اليهود وبقت بتسبب البلد وتهج على فلسطين، بعد ما كنا زمان بنيجي منها على هنا. كنا كتير في إسكندرية يا بني بس الحال مبقاش يسر، عائلات كاملة بحالها بمالها هجرت، بما فيهم عيلتي، وأخدوا

معاهم مراتي عشان يضغطوا عليا إني أهاجر، بس أنا رفضت على أمل، إنها مش هتستغنى عني، وفعلاً كام شهر ولقيت مراتي بتخبط على الباب.. تصدق بالله يا جابر».

جابر: «لا إله إلا الله».

داوود: «معدتش جمعة من رجوع مراتي إلا وافتكرها رب كريم، شفت النصيب»!

جابر: «يا سيدي يا قوت على البخت، الله يرحمها ويحسن إليها»!

داوود: «بقيت قاعد زي قرد قطع، كرهت أهلي، وكرهت الهجرة وحلفت إني ما سايب البلد دية وإني هندفن فيها، أنا وأنوبيس، وقتها اجتمع كبار يهود البلد، وقرروا إني أكون وصي على ممتلكات بعض اليهود كانوا في إسكندرية، ويجهزوا حالهم للهجرة، لأن اللي كان بيع بيت أو أرض، كان بيرمي بتراب الفلوس، فيهود كتير عملوا لي توكيلات إني أرعى حاجتهم، لحد ما اباع الحاجة بسعرها الحقيقي، بما إني قاعد، ومحدث يستغل استعجالهم عشان الهجرة».

وصمت لبرهة شرب فيها كاسًا آخر، شعر معه بحرارة المكان فخلع عنه (الكوفية والكاسكيتة) الملازمتان له دائماً، فظهر شعره الناعم المنسق بعناية.

واستطرد: «فجاءة لقيت تحت إيدي عقارات وأطيان وغيره، أهملت في دكان الساعات، وبقيت أسافر أول كل شهر ألم إيجار أراضى في كذا محافظة، ده غير مشاوير إسكندرية يومياً، وأوقات

كثير أنزل مصر، أراعي أمانة الناس اللي هاجروا وربطوها في رقبتى، بس كل ده مشغلنيش ولا نساني الوحدة اللي كنت بعيشها من بعد موت مراتي، والبيت الدورين فضي عليا، أنا وأنوبيس..

وفي يوم جاني أبوك، راجل صعيدي طيب وجدع، بيسأل عن مطرح يلمه هو والعيال اللي في إيده، اللي هو أنت يا جابر».

ردد جابر: «الله يرحمك يا أبا».

داوود: «ألف رحمة، المهم سكنته في الدور الفوقاني، وعدت أيام نجح فيها في كل الاختبارات».

جابر مندهشاً: «اختبارات»!

ضحك داوود وهو يشرب المزيد: «أمال إنت فاكر يا حمار إنني نسلم القط مفتاح الكرار كده»؟

جابر: «اختبارات إيه يا عم داوود»؟

داوود: «في الأول حاجات صغيرة، مثلاً فلوس أحطها على السلم مرمية، يخطب عليا يرجعها أو انزل أقعد في الدكان واسيب باب الشقة مفتوح، واخش الدكان واسلط المرايا على الباب، ألاقاه يقفله من غير يبص على جوة، لحد ما عملت الكبيرة».

جابر: «إيه هي يا عم داوود»؟

داوود: «طلبت منه يجي يركبني القطر من محطة مصر، عشان مسافر الفلاحين ألم إيجار أرض هناك، وبعدين يروح يوصل ورقة بمية للمحامي في المنشية، والأهم من ده، إنه يخدك معاه، وخوفته

من أنوبيس عليك، وأنه مينفعش نسييكم لوحكم مع بعض، والبيت مقفول ومينفعش نسيب العيل الصغير لوحده، وإديته مفاتيح البيت والميت جني وأخذته معايا يركبني القطر».

جابر: «يا سيدي يا اقوت ميت جني بحالهم، دول وقتها يشتروا بيتن في الحارة»!

داوود: «يعني معاه ميت جنيه وابنه على كتفه، والقطر قدامه وأنا مش موجود، يعني لو هرب محدش هيعرف له طريق جرة»!

جابر: «لا مؤاخذة يعني وجالك قلب يا عم داوود»؟
فهم داوود مقصد جابر فهو بالفعل كان بخيلاً جداً.
وضحك من سؤال جابر ومن أثر البراندي الذي بدأ يسري في عروقه الجافة المسنة.

داوود: «يا حمار، المحامي بتاعي كان عارف الخطة ومجهز رجالة ميرفعوش عينهم عن أبوك ٢٤ ساعة» ثم انفجر ضاحكاً.
أصيب جابر بعدوى الضحك من داوود، فقال وهو يسكب ربع رأس العبد دفعة واحدة داخل معدته التي -ويا للعجب!- ما اشتكت قط من ذلك النوع الرديء من الخمر.

قال جابر وهو يمسح جانب فمه من قطرات عليها مستمراً بالضحك: «أيوووه يا جدعان على دماغ اليهود، دماغ سم».
أوقف داوود نوبة الضحك بتعبير عابس على وجهه، مما اضطر جابر أن يقطع ضحكك ليسأله.

جابر: «وبعدين أبويا عمل إيه؟»

داوود: «الناس اللي مراقبينه لقوه وهو راجع اشترى خضار وعيش كتير ورز، وفضل أسبوع في البيت ما شافش الأسفلت، مع العلم أنه كان من عوايده أنه لا ينقطع عن الصلاة عند أبي العباس، حتى لو كان عيان ييموت».

بدأ جابر متأثراً وهو يقول: «الله يرحمه ساب لي حب الأولياء».

داوود: «ألف رحمة، ثم تنهد وهو يقول من بعدها، بقينا أهل في بعضنا استأمنته على كل حاجة حتى لما بسافر الفلاحين، هو بيتابع الأملاك اللي محطوبة في رقبتى».

ثم تغيرت نبرة صوته وهو يقول: «لحد ما جه يوم، لقيت عسكري بيسأل عني في الحارة».

قطع كلامه ليصب لنفسه كأساً من الزجاج، التي أوشكت على النفاد، فمد جابر يده ليصب له كأسه، وهو لا يرفع بصره عن وجهه محثاً له على مواصلة حديثه، الذي يسمعه جابر للمرة الأولى، فلمّا لم ينطق داوود ناوله جابر الكأس وهو يقول.

جابر: «وبعدين يا عم داوود؟ كان عاوزك ليه العسكري؟»
شرب داوود الكأس في ثوانٍ مرت على جابر ساعات قبل أن يقول.

داوود: «أبوك كان في الاسبتالية مضروب بالنار».

قاطعہ جابر الذی فقد أي تأثير للكؤوس العديدة التي شربها،
وبدا فرغاً وهو یقول: «یا ساتر یا رب! مین طخه؟ ولیه؟»
داوود: «تار قدیم یا بنی، وأبوك كان مخبی علی الكل وهربان
هنا فی إسكندرية»

لم یشأ جابر أن یسمع المزید، ولكن داوود استرسل.
داوود: «لما جريت علی الاستبالية كان أمر الله ینفد، سألتی
علیک، قلت له یلعب فی الحارة مع العیال، فضل یوصینی علیک،
ولما سألتہ لیہ خبی عنی موضوع التار مجاوبینش كان خلاص...
هنقول إیہ الله یرحمه».

كانت بدرية السید أو (بدارة) كما یسمیها أهل الحارة تواصل
شدها الجمیل:

كان عندي غزالل كعبه مانی.. وعیونه حلوة وعسلية
سهانی یا نااااس ولهرب منی.. ولا تهرت فیہ التریبة
هاين یا غزال كعبك میال.. ولا تهرت فیک التریبة
لدقائق صمت الاثنان، وهَمَّ داوود أن یصب كأساً فوجد أن
الزجاجة قد نفذت.

داوود: «وأدیک اهو بقیة غزال.. قصدی بغل وشربت منابی
ومنابك، مع إنی أنا الی دافع، صدقتی یا بدارة ولا تمرت فیہ التریبة»!
فانفجرا ضاحکین، وكأن لم تكن ثمة كآبة من قلیل.
حتى دخل علیهما المعلم مرسی زعزوعة یسبقه کرشه الضخم.

مرسي: «سامو عليكم، إزيك يا خواجه، إزيك يا شيخ جابر»؟
جابر: «الحمد لله يا معلم، فينك يا راجل من بدري! سألنا عليك».

مرسي: «آه الولا حمو قالنا».

داوود مستنكرًا: «ومقلش لك إني دفعت تمن ربع قرش»؟
مد مرسي يده داخل جلبابه وأخرج لفافة صغيرة من السوليفان،
وناولها لعم داوود بعد أن قبلها بفمه.

مرسي: «أحلى صنف وحية سيدي المرسي».

داوود: «طب يا سيدي متشكرين!»

مرسي: «استنى بس يا خواجه ميقاش طلقك حامي».

ثم سحب كرسيًا ليجلس عليه، وهو ينادي على ابنه.

مرسي: «ولااا حموهات شيش هنا وحجارة».

ناول عم داوود لفافة الحشيش، بعد شمها جيدًا، وضغطها بين
إصبعين من يده لجابر، الذي فعل نفس الشيء، وهمَّ برص الأحجار.
فأشار إليه مرسي: «خليها بخيرها يا جابر، أنى هنشرب معاكم».
ثم مد يده في جيبه فأخرج قطعة أكبر وناولها لجابر قائلاً: «اشتغل
من دي يا جابر».

جابر: «يدوم العز يا معلم».. ثم بدأ (التكريس).

لم يكن داوود مرتاحًا للكرم الحاتمي المفاجئ من مرسي،
فسأله بخبث.

داوود: «شكلك عاوز تقول حاجة يا معلم».

مرسي: «طول عمرك أبو النباهة يا عمنا».

داوود: «خير يا معلم».

مرسي: «إن شاء الله خير، ما هو الحلال خير».. ثم كمن يسأل
قال: «ويا بخت من وفق راسين»؟

أجاب جابر دون أن يرفع بصره عن الحجارة: «في الحلال».

داوود ساخراً: «جايب لي عروسة يا معلم»؟

مرسي: «على عيني يا خواجه، بس العروسة النوبة دي لجابر».
رفع جابر بصره عن الحجارة ونظر إلى مرسي؛ ليتأكد أنه هو
جابر المقصود، وليس جابراً آخر.

جابر: «أني»!؟

ثم نظر لعم داوود الذي حاول أن ينهي الحديث مبكراً.

داوود: «عروسة إيه يا راجل؟ ربنا يخلي له محروسة».

مرسي: «مقلناش حاجة يا خواجه. ما هو ديننا لا مؤاخذه:

يعني الإسلام يا خواجه، بيقول مشنى وثلاث ورووباع».

وكأنه يريد أن يخرج داوود من الحوار جاهلاً أن الخواجه
يعرف في الإسلام أكثر منه.

ثم أردف: «مش كده يا (شيخ) جابر»؟

أجاب داوود وهو ينظر إليه بدهاء تاليًا الآية بنحو جيد: «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً» يا معلم.

مرسي: «تماما يبقى استبينا، لو على الاستطاعة فأني رقبتى سداة من جني لألف، وربت على جانب رقبتة برفق».

جابر: «تعيش يا معلم بس...».

مرسي: «من غير بس يا جابر، البت إيطاليا بت الاسطى حامد المراكبي»، ثم صمت ثوان كان ينظر أثناءها في عيني جابر بعمق: «ها إيه رأيك؟ يتيمة وحلوة وصغيرة.. حاجة كده أوزي».

كانت هذه هي ورقته الأولى في لعبته الخبيثة، كما أراد أن يعزف على أهم أوتار مرسي حساسية، فأضاف كارته الثاني الأكثر قوة، كي ينهي لعبته مبكرًا.

مرسي: «وهتجيب لك الواد اللي نفسك فيه».

وقال وهو ينظر لداوود نظرة المندهش: «تصدق بالله يا

خواجة»؟

اكتفى داوود بالنظر إليه بتقزز ولم يجبه.

ردد جابر: «لا إله إلا الله».

قال مرسي وهو يقلب بين كفيه: «البت فارت، تقولش

أجدعها مرة، مع إنها مكملتش تمتاشر سنة!»!

نظر جابر لداوود مستنجدًا به ليقوي به ضعفه، بينما كان يفكر في محروسة زوجته التي يحبها، وإن كانت عاقرًا لا شك إنها ستأبى

الفكرة، وستخيره بين زواجهما وبين إيطاليا بنت حامد المراكبي، وماذا لو طلقها! أسيّسح له عم داوود بالسكنى مع إيطاليا في البيت أم سيطرده كرد فعل منه! فلولا ه ما وافق المعلم عليّ الفلكي أبو محروسة، الذي كان رافضاً للزيجة بحجة أنه مقطوع من شجرة.

انتبه جابر من شروده على صوت داوود.

داوود: «يا مرسى (عن قصد أرادها داوود أن يجرده من لقب معلم تحقيراً له)، الخلفة رزق والرزق بتاع ربنا».

مرسى كاتماً لغيظه، ومحاولاً رد صفة التحقير لداوود، فلم يلتفت إليه ولم يعقب على كلامه، كأن لم يسمعه، بل زاده تحدياً فتوجه إلى جابر مباشرة بإلحاح مستفز.

مرسى: «متنعاش هم الفلوس يا جابر يا خويا، أني رقبتنا سداة من جني لألف»، وربت على رقبته الغليظة برفق، للمرة الثانية.

لسبب غير مفهوم غضب داوود (الذي نادراً ما كان يغضب) ولاحت على ملامح وجهه الوسيمة أمارات رياح ما قبل نوة من نوات أمشير العاتية.

استغرب جابر جداً، فهو لا يذكر أن رآه هكذا من قبل، فأراد أن يمرر النوة العاصفة.

جابر: «نتكلم بعدين يا معلم مرسى».

فقام داوود فجأة، ولبس كوفيته والكسكيتة، وهو يردد: «لا بعدين ولا قبلين، قوم يا جابر يا بني نروح، متشكرين يا مرسى على حشيشك اللي مشربناش منه حاجة».

تمهل جابر في سيره، حتى تقدم داوود خطوات، فهمس لمرسي: «متأخذناش يا معلم حقك علينا، إنت عارف إنه مربيني وفي حكم أبويا ومنقدرش نزعله، هنكلمك بعدين لوحدنا».

سر مرسي بكلام جابر، الذي جدد له آماله، لكنه قال بجفاء: «أبوك مات يا شيخ جابر، بس معلش حصل خير، بكرة المغرب هنجيلك عند الشيخ فضل، في سيدي ياقوت ناخذ بركة الحضرة، وهنرسيك ع اللي فيها».

من على باب الخماراة أتي صوت داوود بحدة ينادي عليه: «ما تههم يا وله يا جابر».

حكايات عم داوود

في طريقهما إلى البيت الذي يسكنان فيه بشارع سوق السمك القديم، حارة اليهود سابقاً، بيت قديم مكون من طابقين ودكان الساعات أسفله، وللدكان باب مفضي إلى شقة داوود، هذا غير باب الشارع الرئيس، يسكن داوود في الطابق السفلي وجابر يسكن أعلاه مع زوجته محروسة.

بادر جابر بالحديث: «مكنش له لزوم اللي حصل».

داوود: «بس يا أهبل».

جابر: «ما برضك الراجل مغلطش يا عم داوود».

داوود: «يا جابر الحداية مش بترمي كتاكيت!»

جابر: «تبقى أنت عارف حاجة ومخبي عني أو فاهم ومش عاوز تفهمني».

الواقع إن داوود كان عارف وفاهم.

فهو يعلم أن الحارة كلها تتحدث عن شبها تـحيط بـ (حمو بن مرسى) مع إيطاليا، وأن بعضهم يقسم إنه رآهم بأـم عينيه يركبان حنطوراً عند القلعة.

كما أن إيطاليا تسير على درب أمها التي هجرها زوجها بسبب سوء سمعتها، وامتهانها لأقدم مهنة عرفتـها البشرية.

داوود بحسم: «يا بني لا عارف لا فاهم حاجة، فضها سيرة بقي».

كانا قد وصلا البيت وحينما هم جابر بفتح باب الشارع فوجئ بـداوود يفتح الدكان.

جابر: «مش هتدخل تنام»؟

داوود: «ما فيش نوم، بوظ لنا الكاسين ابن الهرمة، هات ربع القرش اللي معاك، واطلع أنت نام عشان تسرح بدري».

قفل جابر باب الشارع مجدداً: «هسهر معاك بس بشرط، تحكي لي حكاية حلوة من حكاويك اللي في كتابك العجيب».

داوود، وقد راق مزاجه من بعد تعكير مرسى له: «موافق فوت هات لنا بيرة ستلا وفحم من حنا البقال».

جابر: «طيارة»، وأدار ظهره مبتعداً.

ناداه داوود: «وله يا جابر كل إزازة بحكاية».

أشار جابر بيده أربعة.

حين عاد جابر حاملاً أربع زجاجات بيرة، وجد داوود مستعداً
للقص ممسكاً بين يديه بكتاب أسود ضخّم، مصنوع من جلد الماعز
الرقيق، وذوي غلاف نحاسي عليه نقوش مبهمّة له قفل عجيب،
مكتوب بلغة آرامية قديمة.

بدأ حكايته مع أول كوب بيرة، بينما كان جابر منشغلاً بإشعال
الفحم. ورص معسل السلوم لحجارة الحشيش.

وأنوبيس يستمع وهو راقد بجوار مبخرة الفحم مستمتعا
بالدفء.

قال داوود وهو يقرأ من المخطوط العجيب بين يديه:
«التمرد الأول. ليلث

تقف غاضبة صارخة في وسط عدن، وهي باسطة ذراعيها
كهيفة المصلوب، وتدور حول نفسها أحياناً، فيدور معها شعرها
الأحمر المجعد كشلال رائع الجمال رافعة رأسها نحو السماء.
مخاطبة الرب:

كيف لي أن أجمع بين الشيء ونقيضه؟
كيف تجعل لي تلك المفاتن والحسن، ثم تأمر آدم أن يعف
نفسه عني؟
وماذا جنيت أنا حتى تفطرنني على فطرة الشبق، ثم لا أجد من
يطفئ لهيبي؟

أيقال للعطشى إياكم والنهر؟
ألهذا قضيت أنا لا نجوع فيها ولا نعري؟
فأوجدت كل هذا الطعام الوفير، فيأكل ويتقوى، وخشيت أن
نتعري فيبصر أنوثتي مع فحولته فيخالفك؟
لكنني أفهمك، أنت لا تريد لنا ذرية، أليس كذلك؟
وهزت رأسها بعصبية، وأجابت نفسها بنفسها، نعم.. نعم هو
كذلك.

وواصلت حديثها كالمجنونة، فتكسونا بردائك الذي لا ينزع،
فلا هو يستثار ولا أنا أقضي وطري، وبالتالي لا حمل ولا ذرية،
وأحرم أنا من أمومتي.

**وبلغ جنونها مداه فصرخت: أمومتي التي تراها تدنيسًا لبقعتك
الطاهرة. إذا أنا ولدت في بقتك المقدسة.**

إذاً، فلتقضي أيضًا بنزع الشهوة منّا أو لتجعلني عاقراً، إن كانت
أمومتي تعدّها تدنيسًا لبقعتك الطاهرة. أو لتفعل الصواب وأمره أن
يروى ظمأ أنوثتي.

والأدهى والأمر أن هذا المسجى تحت الشجرة هنالك (آدم)
يراني تابعة له منقاداً بأمره لأنك حكمت بذلك.

أنى ذلك وقد خلقت من نفس طينته مساوية ولست ضلعاً من
أضلاعه؟

لذا سأكون دومًا كفأه ولست ذنبًا مجرورًا خلفه.
فلتخلق له إذاً من بعضه من تمتثل له طواعية، أما أنا فلن أفعل
ذلك ما حييت، فتبًا له كم أبغضه!

فما برحت حتى أتها ريح ذاب فيها جسدها الطيني رائع
الخلقة، والتي لم تضاهيها فيه إلا سارة بنت تارخ زوجة إبرام.
وغدت روحها روحًا شيطانية بصورة طائر البوم. وجسدًا يحمل
أجمل صورة يمكن لرجل أن يراه من امرأة، وأنوثة لو وزنت بفتنة
نساء الثقلين لرجحت كفتها، لكن كل هذا الحسن يحمل معه ما لا
تطيقه الأبدان من حقد ورغبة انتقامية من آدم وذريته المستقبلية،
إذا كانت له ذرية.

هامت في الأرض وحيدة تبحث لجسد ملؤه الشهوة الهادرة،
كشلال مهياً لكسر كل السدود التي يمكن أن تعيقه عمّن يلبي
رغباته ويشاركها بذات الوقت أحقادها.

فوجدت ضالتها المنشودة عند عزازيل، الذي لم يختبر العشق
إلا في أحضانها وأثمرت تلك العلاقة ذريتهما من شياطين الجن إلى
يوم الناس هذا.

ورفضت ليليث العودة مع الملائكة الثلاثة الذين أرسلهم لها
الرب، فوجدوها عند شاطئ البحر الأحمر، رغم إخبارهم لها أن
الرب قضى عليها بموت مائة من أولادها الشياطين كل يوم، فقبلت
العقوبة مفضلة إياها على العودة إلى آدم.

(كتاب الزوهار) (أبجدية بن سيرا).

الحكاية الثانية عزازيل

بعد محاولات مضنية من التوسل والإلحاح أن يستثنى من
الأمر الصادر للملائكة بالسجود.

قال طاووس ملك ملائكة الملك

لن أسجد ولمن أسجد؟ ولم أسجد؟ وكيف أسجد؟

وأنا سلطان الأرض الذي خُلق آدم من ترابها!

أنا من عاديت بني جنسي من الجن.

ودحرتهم هم وجحافل المردة والغيلان من أجلك، حتى كادوا
يفنون عن بكرة أبيهم، ولما فرُّوا إلى جزر البحور وأعالي الجبال،
وجوف الأرض وهناك سكنوها، أمرتني بوقف القتال، ولولا أنك
أمرتني بوقف القتال ما توقفت.

ثم إنك أذنت لي بسكنى عدن، رغم مجاورة ملائكتك، فكنت
لك خير عابد وشكورًا.

وكيف أسجد لغيرك وأنت من أمرتني حين خلقتني ألا أسجد إلا لك.

فقال الخالق: «هذا هو ما أردته، فلم يفز اليوم سواك»،
وفي اليوم التالي فوجئ عزازيل باختبار ثانٍ: سُئِلَ عن أسماء أعيان وعلوم لم يرها قبل قط.

وكان السؤال مصوغ بأول حرف من أسماء تلكم الأشياء، ولكن للأسف لم يتسن له الجواب، **فقال:** «من أين لي بعلم لأسماء أشياء لم ترها عيني قبل ذلك قط؟! هلا علمتني إياها قبل السؤال عنها كما فعلت مع آدم.

ألا يشفع لي الامتناع عن السجود لغيرك». **أجاب الجليل:** «لا أسأل عما أفعل وأنتم تُسألون.
هو خليفتي في الأرض، ومن اليوم ستكون له ولدريته من التابعين».

قال عزازيل: «بل سأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وشمائهم وسترى أن أكثرهم لي عابدين». ولما همَّ إسرافيل أن يتشفع لعزازيل معتذراً له عند الرب، منعه جبرائيل وميكائيل، فأقسم عزازيل في نفسه أنه لن ينسى لهم ذلك المشهد ما بقي.

أجاب الخالق: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين».

عزازيل: «أنظرني إلى يوم يبعثون».

أجاب الخالق: «إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، وأنت من اليوم يا عزازيل من المبلسين».

وأذن له بالقرب من شجرة الحياة، وأن له منها ثمرة واحدة، وأنه إذا أكل منها فإن له أجل إلى حين.

لم ينتبه عزازيل إلى أنه لم يُجَب إلى رغبته بالكلية، أي إلى يوم القيامة، وإنما بشكل جزئي. ولا باستبدال اسمه إلى إبليس. وإنما كان شاردًا بأمر آخر وعليه سأل.

عزازيل: «أثمة منظرين غيري؟

أأذنت لغيري بالأكل من شجرة الحياة»؟

فلما لم يلقَ من الخالق جوابًا، عزم على أن يأكل فقط نصف الثمرة المأذون بقطفها من شجرة الخلد، ويدع النصف الآخر لمن ستكون شريكه حياته الأبدية، لينجب شياطينَ، يفسدوا على آدم وذريته المستقبلية حيواتهم على الأرض.

لحق عزازيل بـ «سوميا» أمير أعداء عزازيل السابقين من بني جنسه من الجن في المكان السحيق، وسرعان ما قلب عزازيل جنود الجن على مليكهم «سوميا»، وتآمروا عليه، فتشيطن جلهم إلا النذر اليسير، واستدعى ليلث لتشاركه ملكه، وما كان قد انتواه من خطط، فوجدها أجمل من رآته عيناه، فلم تكتفِ ليلث أن تقتسم الملك معه والإمارة على جند الخطة فحسب، وإنما سلبته قلبه الذي لا يعرف

الحب، وعقله الذي لا يفقه إلا الشر، حتى وهبها نصف الثمرة الآخر
مهر الرباط طويل الأجل والغير مقدس، ليدشنا معاً قبيلة الشر.
فرضيت ليلث بنصف الثمرة مهراً لها، ولكن ليلث غلبها
كيد أنوثتها ومكرها الناعم الذي فاق مكر عزازيل، فأكلت نصف
النصف، وأبقت على الربع لسبطها النصف بشري، الدجال المتوقع.
ووجد عزازيل فيها الضلال، وعندها الضالة المنشودة، وجد
عندها من الحقد على آدم ونسله ما يفوق حقد عزازيل نفسه، خاصة
بعد أن أخبرها أن الرب خلق لآدم من أضلاعه أنثى، فأضاف إليها
الغيرة إلى الحقد.

فصارا كتلة من بركان حقد يمشي على الأرض، وهناك أسسوا
قواعد مملكتهم الشيطانية باعتبارهما ملكاً وملكة متوجين، وبايعهم
المردة والغيلان سكان جوف الأرض خلف جبل قاف، شريطة
الانتقام من آدم الذي من أجله طرد جلهم إلى الأرض، ونفوا من
ظاهرها إلى باطنها، تعاهدوا على ألا يألوا جهداً في سبيل الفساد
والإفساد، وأقسموا بالنار التي خلقوا منها على ألا يهناً آدم بيوم على
الأرض، وبينما كانت تدور كؤوس الأحقاد، إذ انسل عزازيل وليث
إلى مضجعهما الخاص، وبدأ نسل شيطاني جاحد. (التلمود).

الحكاية الثالثة

قال العم داوود وهو يقرأ من مخطوطه الأسود الضخم:
« كان اليوم هو أول أيام تشرين -أول شهور السنة العبرية المدنية، وهو السابع في السنة الدينية، وهو عادة جزء من سبتمبر وأكتوبر- حين تكلم الرب قائلاً لآدم: ستكون قدوة لبنيك من بعدك، فكما حكمت عليك في هذا اليوم وعفوت عنك، فكَذلك سأحكم على بنيك شعب إسرائيل في يوم رأس السنة هذا وأعفو عنهم.

وقال آدم لحواء: «انهضي واذهبي إلى دجلة، ثم توبي هناك، فما زالت شفافها نجسة من أثر الثمرة المحرمة.
وابْقَي هناك لسبعة وثلاثين يوماً».

وهناك جاءها الملاك سمائيل -شمهازي، أول من فتن بنساء البشر من الملائكة وجامعهن وكان من نسله العماليق- فقطع عن حواء توبتها. وتصور سمائيل بصورة الحية قبل مسحها، حينما كانت ذات قدمين كابن الإنسان، ولكنها كانت أشد وسامة.

وقدم سمائيل لحواء أول مولود للعالم.
وعند مولده صاحت حواء من وسط الألم.
لقد أنجبت إنساناً من ملك الرب^(١)!!
ودعت الرب ليساعدها فلم يصنع لها!
فسألت في نفسها، من سيبلغ سيدي آدم؟
أتوسل أيتها الأجرام المنيرة في كبد السماء، أخبري سيدي آدم
عندما تعودني إلى الشرق.
وفي الساعة ذاتها صاح آدم، لقد اخترقت نواحات حواء أذني.
فدعا الرب فأتاه اثنا عشر ملكاً، وفي الحال ولد ابنها مشرق
الهيئة.

وما لبث أن وقف المولود على قدميه وجرى مبتعداً، ثم عاد
ممسكاً بيده عوداً من القش وأعطاه لأمه، فسُمِّي (قايين) أي عود
القش بالعبرية.

ومرت سنة وأنجب آدم من حواء هابيلًا، أما آدم فقال بعدما
قتل قايين أخاه هابيل: لماذا إذاً أنجب الأطفال إذا كان مصيرهم
الموت؟

(١) كذب داوود الساعاتي فيما زعم زوراً فهو (أي قاييل) ابن آدم لصلبه بنص القرآن الكريم:

«وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ».

وهجر آدمُ حواءَ، وتفادى الجماع معها، فكانت تزوره في المنام
أرواح نساء، ومن جماعه معهن ولدن له أرواحًا وهوامًا وعفاريت،
وقد منحت تلك المواليد مواهب خاصة على التشكل بالزواحف^(١)،
ثم العودة لشكلها البشري إن أرادت هي ذلك.

وفي مساء ليلة صيفية مقمرة أتى الملاك (رزائيل) لآدم ومعه
كتاب من الرب.

قال: تعال يا آدم، وأصنع سمعك لما سأقوله لك عن أحوال هذا
الكتاب وقداسته.

**وحين قرأ (رزائيل) الملك من الكتاب سقط آدم مغشيًا عليه،
فقال الملك:** انهض يا آدم، كن شجاعًا ولا تخف، خذ الكتاب مني
واحفظ به وورثه لبكرِكَ؛ لأنك ستسقى منه المعرفة بنفسك وتصبح
حكيماً، كما أنك ستعلم ما فيه لكل من يستحقون معرفة ما يحتويه.
وفي اللحظة التي تناول فيها آدم الكتاب، انطلق لسان من النار
قرب النهر وارتفع معه الملك إلى السماء.

وأخذ آدم كتاب الملك القدوس نفسه واستخدمه في تقديس
وطهر، وهو الكتاب الذي يتعلم منه كل الأشياء التي تستحق المعرفة،
وكذلك حل كل الألغاز، كما أنه يعلم كيف نستدعي الملائكة،
ونجعلها تظهر أمام الناس وتجييب على كل الأسئلة، لكن ليس الكل

(١) كضفدع الربى حينما المذكورة في الهاجادة وهي قصص مقدسة لشرح التلمود.

يستطيعون استخدام الكتاب، إنما فقط من هو حكيم ويلجأ إليه (أي الكتاب) في خشوع، مثل هذا الإنسان سيكون محفوظاً من كل مشورة سوء، وستكون حياته هادئة، وعندما يأخذه الموت من هذا العالم سوف يجد الراحة في مكان ليس به أيدي شريرة. (من الهاجاده المقدسة).

الحكاية الرابعة

قال العم داوود، بينما كان يحدق في المخطوط:

«وكلم قايين أخاه، وحَدَّثَ أن كانا في الحقل، فقام قايين على أخاه هابيل وقتله، ثم ها هو يقف مغتاظاً جدًّا وساقطاً وجهه، فيسمع الرب يسأله: «لماذا اغتظت؟ ولماذا سقط وجهك؟

إن أحسنت أفلا رفع؟

وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة، وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها».

فاغتاظ قايين غيظًا على غيظه، وقال بسوء أدب جمّ: «لِمَ

تؤاخذني على ما في قلبي؟

ألهذا قبلت منه قربانه ومني لم تقبل؟

وقال الرب لقايين: «أين هابيل أخوك؟

قايين: «لا أعلم! أحارس أنا على أخي؟

وهل أحمله أنا في جيبِي.

إنك أنت الذي تراقب كل المخلوقات ومع ذلك تسألني عنه؟
غضب الرب: «فالآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت
فاها لتقبل دم أخيك الساقط من يدك، متى علمت الأرض لن تعود
تعطيك قوتها^(١).

تائها وهاربًا تكون في الأرض».

عندئذٍ تذكر قايين مشهد عزازيل، فاقتدى به، طمعًا في أن
يكون من المنتظرين مثله وهاد هودة زائفة^(٢).

قال: «يا رب العالم ليس هناك شهود يدينوني أملك؟ ليس
على الأرض إلا أبي وأمي، هما الشخصان الحيان الوحيدان، ولم
يريا ما فعلت. الوحيدان، وهما لا يعلمان عن صناعي شيئًا.
وأنت تقيم في السماء، فكيف تعرف إذًا ما يحدث في
الأرض؟»

أجاب الرب قائلاً: «أيها الغبي، إنني أحمل العالم كله، لقد
خلقته وسأظل أحمله».

وهنا بلغ قايين مراده الخبيث، قال: «إني هودت إليك،
أتحمل العالم كله ولا تستطيع أن تتحمل خطيئتي؟ لا شك أن جرمي

(١) قوتها، لأن قايين كان مزارعًا.

(٢) هودة = توبة، هاد، يهود، فهو هواد مثل، تاب يتوب فهو تواب، ومنها قوله تعالى حاكياً
عن موسى عليه السلام: «إنا هدنا إليك»، قالها صادقاً، في سياق قصة عبادة قومه للعجل،
خلاف هذا الدجال الأشهر، فقد قالها كذباً وزوراً.

عظيم لدرجة لا يمكن أن يحتمل معه أي شيء، ومع ذلك لقد طردت أمي من حضرتك، وها أنت اليوم تطردني أنا أيضاً، حقاً، سيقال عنك أنك لا تجيد سوى العقاب».

فانخرط قايين في بكاء كاذب، وصاح بصوت جهوري: «أين أذهب فراراً من روحك»، وأماط على رأسه من تراب الأرض، وصاح بصوت سمعته الملائكة: «والى أين أفر من حضورك!»

نجح قايين، أول شياطين الإنس، وابن الشيطان سمائل، والمتسمى شمهازاي في خطته الملعونة، قال الرب: «عقوبة قايين لن تكون كعقوبة من يخلفه من القتلة»، صحيح أنه أراق الدم الزكي، لكنه لم يكن يعلم، وأعطاه الكلب حمايةً له من الوحوش.

وكتب حرفاً من اسمه المقدس على جبينه وقال قايين: «وأنا ابن حمل الجنة، فلتكن أيامي بأيام الجنة لا بأيام الأرض».

قال الرب: «لذلك كل من قتل قايين فبسبعة أضعاف ينتقم

منه».

وجعل الرب لقايين علامة عليه كي لا يقتله أحد.

ابتسم قايين بخبث أفعى وهو يتحسس جبينه، وأخذ (إقليما) توأمته، وسكن أرض نود شرقي عدن، وبنى هناك أول مدينة في التاريخ، وسماها باسم ابنه حنوك فكان أول بناء حر في العالم».



أتاهما صوت مؤذن مسجد ابن خالدون القريب، فردد خلفه
جابر الأذان، ثم هَمَّ بالقيام للصلاة وهو يقول:

«الله يفتح عليك يا عم داوود، قعدتك مش بنشبع منها».

داوود وهو يغلق الكتاب الجلدي الضخم: «هتسرح بعد
الصلاة»؟

جابر: «إن شاء الله، هضرب غطس، أفوق نفسي، وأصلي
الفجر، وبعدين أتوكل على الله».

داوود: «طيب يا بني، ربنا يرزقك، إقفل باب الدكان من برة»،
ودلف من باب الدكان الداخلي إلى شقته لينام.

الحضرة الشريفة

اليوم التالي، مسجد ياقوت العرش

خلا المسجد من مصليه، إلا زمرة على اتفاق منهم، متحلقين في ثلاث حلق، يتوسطهم رجل كثر اللحية مشعثها، طويل الشارب على خلاف السنة الموصوفة عن النبي محمد ﷺ، على رأسه عمامة خضراء كبيرة، مزينة ببعض السبح من الكريستال الأبيض. وعلى كتفيه غترة حمراء بالية كَلَوْنَ لحيته المخضبة بالحناء.

أما الدائرة الأولى التي تليه، فكانت مجموعة يرتدون (اليونيفورم) المكون من عمامات خضراء، وجلابيب بيضاء ناصعة، مكحلين عيونهم بكحل الإثمد الحار.

أما الدائرتان التابعتان فكانتا مزيّجًا من الصيادين والصعايدة، وقليل من الأفندية والفلاحين كل حسب زيه.

كان البعض في الحلقات المتأخرة أحياناً، يسقط أرضاً من فرط التجلي؛ أي أنه الآن (يتطهر) ولا تدري ممّا يتطهر؟ قيل من الذنوب، وقيل من الدنيا في قلبه، وقيل من الأرواح الشريرة، المهم أنه يتطهر، لكن الأهم أنه إذا حدث ولم يسقط أحد المريدين، فتكفي نظرة عين مكحولة من الشيخ فضل للشيخ مبروك قائد الحلقة الأولى -ذوي اليونيفورم- ليصرع مبروك على الأرض مرتجفاً، متطهراً، فتسري في الصفوف موجة صرع من التساقط المطهر. فتقوى همة الباقين، ويزداد وتيرة الترنح والتمايل.

كان هذا هو الحال حينما دخل المسجد المعلم مرسى زعزوعة، وخلفه حمو ابنه ومعهما اثنان من صبيان مرسى، يحمل ثلاثتهم صواني الفتة الضاني تسبقها رائحة طشة الخل والثوم، مما جعل أغلب (الذاكرين) يلتفت نحو الرائحة الزكية، هنا صاح حمو زعزوعة: «نفحة».

جلس مرسى زعزوعة على كرسي في أواخر المسجد الموضوعة للعجزة والمسنين، بدون أن يصلي ركعتي تحية المسجد المسنونة، وأمر غلمان بالانصراف وهو يشير بيده للشيخ فضل الخليفة أن يوجز، وهنا نطق فضل كلمة السر المتفق عليها للختام.

(حبيبي يا دااايم)

عندئذ ثبت المترنحون والمتمايلون فوراً، فقام من كان مصروعاً، فوقف على قدم وساق، ومن كانت دموعه تسيل تقشفاً وزهداً، ها هو الآن يسيل لعبه طمعاً في قطعة من اللحم الشهي.

الحق أن الشيخ فضل كان أكثرهم سكينه ووقارًا، ليس لأنه من أهل السكينة والوقار، وإنما لأنه الوحيد الضامن لصينيته الخاصة التي لا يجرؤ أحد من المريدين على مسها، فما بقي منها فسوف يتصارع المريدون عليه ملتَمِسين فيه البركة، بنظام أشبه بنظام وادٍ من النمل، الذي يعرف فيه كل فرد واجبه بلا توجيه من أحد.

تحلق المريدون حول الصواني، وجلس الشيخ فضل إلى صينيته منفردًا تحت أقدام المعلم مرسي الجالس على الكرسي.

فضل: «بسم الله يا معلم».

مرسي بلهجة آمرة: «ألف هنا، إنده الشيخ جابر يا كل من صينيتك، واركن له هبرتين على جنب».

امتعض وجه فضل كونه يعلم أنه لا يجرؤ على رد الأمر الصادر من مرسي، فهو صاحب النفحة، وبصوت ملؤه الكرم الكاذب نادى **فضل:** «يا شيخ جابر! تعالى يا بني كل معايا، خير ربنا كثير والبركة في المعلم».

اشرأبت أعناق الجلوس ونظرات الحسد تخترق جسد جابر، الذي فاز فوزًا عظيمًا، ورُحِمَ من الصراع على قطع اللحم.

نهض جابر متجهًا إلى فضل وهو يقول: «يدوم العز يا معلم»، **فردد الحضور:** «يدوم العز يا معلم»!

وبينما جلس جابر إلى جوار فضل، إذ قال مرسي من فوق كرسيه: «أني زعلان من الشيخ جابر يا شيخ فضل، يرضيك يرد لينا طلب»؟

تغير وجه جابر، بينما قال فضل: «معاذ الله، طلباتك أوامر يا معلم».

مرسي: «طب عقله يا سيدنا الشيخ، باين الخواجة داوود أكل دماغه».

فضل: «أعوذ بالله من غضب الله، داوود! اليهودي الكافر!»
كان فضل قضى على لحم الصينية، ولم يتبق سوى الأرز الذي لا ينشغل به فضل كثيرًا، فأخذ يمسح يديه في الشال الموضوع على كتفه. مدعيًا أنه قد ولت شهته حينما سمع اسم داوود.

فضل: «يا شيخ جابر! ألم تسمع حديث نبيك، ﷺ: «عدوك عدو دينك»^(١)، ومن يستطع منكم الباءة فليتزوج؟»
ما توقع جابر أن (فضل) يعلم بأمر إيطاليا، لكنه لم يندهش، وفهم أن ثمة ترتيبًا مسبق لهذا اللقاء.

جابر: «وهي فين الباءة دي بس يا مولانا؟»
انتفض فضل فزعًا كالملدوغ: «أستغفر الله، أستغفر الله»، ثم قال بفصحى ركيكة: «أتأس من رزق الله يا جابر!» ثم تلا الآية وهو يهز رأسه متدروشًا بشكل فج: «يا جابر إنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون».

(١) هذا الإدراج ليس في الحديث، ولا في أي حديث أصلاً. (المؤلف).

لم يفهم جابر وجه استدلال فضل بالآية الكريمة ومدى مناسبتها بما يقولان، لكنه تعلم من قبل ألا يناقش ولا يجادل، فأثر الصمت.

علم فضل أنه قد حاصر (جابر)، ولم يدع له مجالاً للمقاومة، فارتدى ثوب الناصحين، في حين أن كلامه تفوح منه رائحة الذئاب. **فضل:** «بت زي الورد، وامها الست فتحية أختنا وعشرة عمر، وهتسكن معاهم، أحسن ما هما قاعدين من غير راجل في البيت، يعني هتاخذ ثوابهم».

ثم أراد فضل أن ينهي الكلام سريعاً، تأكيداً لسيطرته على مريديه أمام مرسي.

فأضاف: «ألم تعلم يا جابر أنه واجب على المريد نحو شيخه، أن يكون كالमित بين يدي مغسله»؟
جابر: «عارف يا سيدنا».

تبادل فضل ومرسي نظرات خبيثة وابتسامات أخبث، فقام منهياً لمادة الحسم، **واحضن جابر المذهول:** «يبقى توكلنا على الله، مبارك يا جابر يا بني، بالرفاء والبنين».

خشي جابر أن يغضب الله إن هو عصى ولياً من أوليائه، متمثلاً في الشيخ فضل الرحمن، فترك نفسه لقدره الذي غالباً يعلمه الشيخ (المبروك).

وجه فضل حديثه إلى مرسي قائلاً: «ربنا يقدرك على الطيب دائماً يا معلم، وجزاك الله خيراً كثيراً، بكرة إن أحيانا المولى تجيب

العروسة والست فتحة أمها نكتب الكتاب هنا، في المكان الطاهر ده». ثم تنهد وهو يقول: «الله يرحمك يا حامد يا مراكبي، الفاتحة على روحه يا جماعة الخير».

وضع ثلاثتهم أيديهم على وجوههم يقرؤون الفاتحة، حتى علا صوتهم بـ (آآآمين)، ثم همس فضل -ووجهه يعلوه ابتسامة سميحة- موجهًا كلامه لمرسي زعزوعة: «كنا طمعانين في فص أفيون يا معلم، مخبيش عليك النسوان في البيت جارت وعاوزين نعملو الواجب معاهم».

قهقه مرسي وأخرج من جيبه شيئاً ودسه في يد فضل المتلهفة على صنفه المفضل وقال: «عينينا عشانكم»، وغمز بعينه: «بس المهم نسوانك تنبسط يا مولانا»، فشاركه فضل الضحك.



عاد جابر للحارة مشغول البال على غير حالته المعهودة بعد انقضاء الحضرة، وحين تلقاه داوود بالدكان ولاحظ انشغاله. نبج أنوبيس كثيرًا وهو يشتم (جابر)، ويقفز عليه وحوله كأنه يلعب، ثم يذهب إلى داوود الذي يبسط له كفه فيلعبه أنوبيس، فينظر داوود إلى كفه كهيئة القارئ قبل أن يمسحه.

داوود: «مالك يا وله يا جابر»؟

جابر: «بارك لي يا عم داوود».

فهم مقصده فوراً وفهم ما دار بالحضرة.

داوود: «وحياة أمك»، قالها مستنكراً بهدوئه المعتاد، كان جابر يحاول إقناع نفسه وليس إقناع داوود، فقال جابر: «على العموم احنا قرينا فاتحة، وبكرة كتب الكتاب في سيدي ياقوت».

داوود: «وانت أد الحج عليّ الفلكي أبو محروسة وعياله! يا بني دي ناس قادرة، لِمَ الدور الله يهديك».

اصطنع جابر الشجاعة، وهو يقول: «مالهمش صالح بينا، كل حي ينام على الجنب اللي يريحه، وبعدين ما هي بنتهم متستة في بيتها»، ونظر لداوود بعد تلفظه لكلمة (بيتها)؛ ليرى رد فعله، فلما رآه لا يزال على نفس هدوئه، تمادى في شجاعته المصطنعة، «وأنى هنسكن في بيت عم حامد الفلكي الله يرحمه، وأنى هنكون بين البيتين بعدل ربنا».

قاطعہ داوود: «قصّدك بين بيتي وبين بيت توحة المومس أمها يا جابر! نسيت فتحة اللي جوزها هج من البلد بسببها! ومات هو طفشان من سمعتها الوسخة! نسيت يا جابر!»

جابر: «مالناش في اللي فات يا عم داوود! وبعدين أنى ماليش صالح بالمرة، أنى هتجوز البت، مش أمها».

ورقت ملامحه وهو يقول: «إيطاليا هتجيب لي الواد اللي هنموت عليه يا عم داوود، بالك يا عم داوود أنى لو غورت في نصيبة محدش هيحس بيا، يعني دخلت الدنيا من باب وطلعت من باب، أيوووه يا جدعان! مش كفاية لا عارف لي أصل ولا فصل،

كمان ميقاش لي ذرية زي مخاليق ربنا، يعني لا جذر ولا فرع يا عم داوود».

ربت داوود على كتفه بحنان أبوي وقال له: «هحلها لك يا جابر».

أشرق وجه جابر شديد السمرة فرحاً: «والنبي صحيح يا عم داوود؟»

داوود: «صحيح».

جابر: «إزاي؟»

داوود: «نص مشكل من بقش الحاتي، تيجي تلاقيها محلولة». لم يفهم جابر مراد داوود، أتراه يمزح في وقت لا يحتمل المزاح، لكنه طرد فكرة المزاح، فهذا ليس من دأبه، وإنما دأبه أنه إذا قال فعل، حَرَّكَه الفضول فسأله: «طيب قولي هتعمل إيه؟»

داوود: «مينفعش أقولك، يلا فز على بقش الحاتي، وشوف عنده شوية شغت عشان أنوبيس، قوم يلا عشان أشوف اللي ورايا». جابر: «طب آخذ ببس معايا يهيص هناك، ويشبع شغت وعضم؟»

قال داوود وعليه أمارات الجدية: «لا لا سيبه أنا عاوزه معايا، بس أوعى تنسى الشغت».

تحير جابر فيما قد يحتاجه داوود من ببس الكلب، لكنه لم يهتم كثيراً، فقد كان عنده أمور أخرى أخرى بالتفكير.

كاد جابر من الفرحة أن يطير، وما إن خرج من الحارة إلى أول الشارع حتى وجد ترام ستة يتحرك من محطته أمام باب عشرة - محطة الركاب البحرية بميناء الإسكندرية- وبرغم قصر المسافة بين الحارة وبين بقش الحاتي في شارع الحجاري، حارة فرن حبيب. وكان عادة يمشي تلك المسافة يوميًا، لكنه الآن لم يطق صبرًا، وكيف يصبر وقد وعده عم داوود بحل الأزمة.

كان الترام بدأ بالتحرك حينما قفز بداخله، لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فبعد المحطة الأولى وقبل الثانية سقط (برش التروماي)، وعم ظلام دامس، وأحدهم يصيح: «أيوووه يا جدعان، يا مستعجل عطلك الله»، ولأن الترام في نهاية خط سيرها، فعادة ما تكون فارغة إلا من النذر اليسير، ومن ثم فإن الظلمة، وكبح رغبة نفسه عن الغضب بسبب البرش، جعله شاردًا يفكر وهو ينظر إلى سور الجمرك بشارع (أم البحرية).

تُرى ماذا سيصنع عم داوود؟ أترأه سيأدر بالذهاب إلى حماه القوي وأولاده درءًا للمشاكل، من باب بيدي لا بيد عمرو، ويحاول إقناعهم بحقه في الزواج الثاني رغبة في الإنجاب، أم أنه سيضغط على محروسة حتى تقبل بزواجه من إيطاليا، ولكن كيف؟ وبِما سيضغط؟

لطالما اعتمد جابر على عم داوود في حلول مشاكله، التي ما إن يتناولها حتى تحل، كأنه ولي ذو كرامات، شغلت الفكرة ذهنه للحظات، وتساءل لنفسه أترأه حقًا وليًا؟ ولكن كيف؟ هو على

الغالب ليس مسلمًا، فلم يره يومًا يرتاد عتبات الأولياء للتبرك والدعاء مثلنا. والأغلب أنه يهودي، كما يقول عنه أهل الحارة، أيتخذ الله هذا اليهودي وليًا؟ أليس هناك بدمنهوور الشيخ أبو حصيرة اليهودي؟ بل وله مقام ومولد يحضره جمع غفير، إذا يوجد يهود أولياء.

وَجَدَ جابر نفسه يغوص بأعماق بحار أفكاره، أحيانًا يتلفظ بكلمة أو كلمتين لنفسه مع إشارة بيده، لكنه لم يهتم وواصل الغوص، ولكن ما أدراك أنه يهودي، هو نفسه نفى ذلك قديمًا، قال جابر لنفسه: «أنا نفسي طول عمري ما شفته عتب باب كُنَيْس ولا كنيسة»، بل إن الباقية المتبقية من يهود في الحارة أنفسهم منقسمون نحوه إلى فرقتين: فرقة -وهي الأكثرية- تجلُّه أيما تبجيل، كأنه ولي، وإن كانوا لا يزورونه إلا بإذن منه، لفض خصام مثلًا أو مشورة أو نحو ذلك. وفرقة ثانية لا يطيقون ذكر اسمه، وإن كانوا لا يذكرون السبب، خصوصًا عائلة الخواجة يعقوب وأقاربه الذين فروا من الهولوكوست أيام النازيين، حينما كان جابر صغيرًا، وسكنوا الإسكندرية زمان، قبل أن يهاجروا مجددًا إلى فرنسا.

إنه يتذكر ذلك اليوم جيدًا حينما كان صغيرًا، وأخذه عم داوود إلى محطة الرمل؛ ليشترى له ملابس العيد الجديدة، ومرةً بذلك المبنى الضخم الفسيح بشارع النبي دانيال، ولما سأله عن المبنى، أجابه أنه معبد النبي إيلاهو، فأجاب جابر ببراعة تلقائية: «يعني بتاعكو يابا»؟ (هكذا كان يدعوه جابر في صغره) فأجاب لا يا بني، ده بتاع بني إسرائيل، ثم ذكّرهم بالبلاهة وأنهم كالحُمُر الذين يسهل امتطأؤهم بلا جهد يذكر.

فلقنه داوود أول دروسه: «أمال إنت إيه يابا»؟

فلقنه داوود أول دروسه: «ميصحش حد يسأل حد تاني عن دينه يا جابر، ميهمناش إن كان يهودي أو مسيحي أو مسلم، اللي يهمننا هو بيتعامل معانا إزاي: صادق ولا كاذب، خاين ولا أمين، إعرف كده كويس يا بني».

من وقتها لم يسأل جابر أحدًا عن دينه، لا داوود ولا غيره، اللهم إلا مرة واحدة حين لاحظ أن الشيخ فضل لا يصلي ولا يصوم فرضًا ولا نفلاً، ولما سألته عن ذلك أجابه فضل: «إنت مش عارف يا أخ جابر إني مرفوع عني التكليف؛ لأن الله يقول: «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين»، وأنا يا جابر قلبي مليان باليقين».

أجابه جابر بأنه سمع الشيخ الشعراوي يفسر اليقين في الآية بالموت؛ أي أن الإنسان عليه أن يلزم العبادة حتى الرmq الأخير من حياته، ضحك الشيخ فضل حتى ظهر اصفرار أسنانه من التفسير الساذج للشعراوي (حسب تفسير الشيخ فضل الباطني العميق طبعًا)، وقال: «يا أخ جابر ده تفسير العوام للقرآن، أما نحن الخواص العارفين الأقطاب منا والأولياء لنا أحكام خاصة، اليقين يا أخ جابر هو مرحلة إيمانية نحن العارفين قد بلغناها: ألا وهي درجة حق اليقين، بعدما تجاوزنا مرحلة علم اليقين، ومرحلة عين اليقين، لذا فأمثالي لا صلاة عليهم ولا صيام، لأنه قد سقطت عنا التكاليف».

يومها انكب جابر على يد فضل مقبلاً ولم يعد يراجعه في شيء.
استفاق جابر على صوت الكمساري يأمره بالنزول: «راس
التين آخر التروماي يا ريس وداخلين جراش، إنت نايم ولا إيه؟»
نظر جابر من خلف زجاج النافذة، فإذا بقصر رأس التين يطل
على يساره، وأنه فاتته محطة فرن حبيب، وعليه العودة مسافة محطة.
هتف وهو يهرول: «أيوووه يا جدعان على أم التروماي، واللي
عاوزين يركبوه»، ونزل مهرولاً في الشارع، ولم يكن يعلم أن سقوط
البرش وشروود خواطره العميق، بل ركوبه الترام أصلاً لم يكن كل
ذلك وليد الصدفة. فإن عالم داوود الساعاتي ليس فيه أي مجال
للصدف.
وأن كل ما حدث لجابر الآن كان متعلقاً بما يحدث في الحارة.



في تلك الأثناء، وما إن انصرف جابر، حتى أغلق داوود باب
الدكان الخارجي، وولج لشقته من الباب الداخلي ومعه أنوبيس، وفي
بدروم سري بها، أخرج داوود طبقاً فضياً أثرياً، وقطع شريان معصمه
الأيسر، فسال الدم حتى ملأ الطبق المصنوع خصيصاً لهذا الغرض،
والعجيب أن داوود مسح يسراه بيمينه، فاندمل الجرح في الحال كأن
لم يكن، ثم قدم الطبق المملوء بالدم لأنوبيس الذي شربه متلهفًا.

ثم أشعل داوود المينوراه الذهبية المقدسة (الشمعدان ذو الشموع السبعة) وارتدى (كياه) على رأسه يتوسطها نجمة سداسية (قلنسوة صغيرة مستديرة) ووضع على كتفيه (تاليت) وهو شال أبيض مخطط بالأزرق.

وسجد داوود سجودًا بشكل مختلف عن السجود المعهود عند المسلمين، فقد وضع ظاهر كفيه على الأرض وباطنهما لأعلى، وضم بين ذراعيه ووضع جبينه عليهما، أما قدماه فقد ثنى أصابع اليمنى تحتها، ووضع اليسرى بنفس الوضع فوق يمناه، حتى كاد كعبه الأيسر أن يلامس أَلْيَتَيْهِ، وَهُوَ يترجح للأمام والخلف، ضاغطًا على جذره^(١) وفي أثناء ذلك كله، كان لسانه داخلًا في بلعومه أعلى سقف حنكه، واصلًا لخياشيم الجيوب الأنفية، عند مكان معين خاص جدًّا، مكان يسمى حسب الطقوس الكهف السري، لا يستطيع أحد أن يفعل ذلك إلا من استأصل الوتر الجلدي الرقيق أسفل اللسان، وهذا ما يسمى أيضًا حسب الطقوس الختان النوراني، أما ختان المسلمين واليهود المعروف فاسمه - عند داوود وحزبه - الختان الإبراهيمي، وهو مذموم لديهم.

ظل داوود ساجدًا لخمس دقائق ما تنفس فيها إلا مرة أو مرتين عن عمد منه، ثم فجاءه فتح جفونه المغمضة، فظهر بياض عينيه أسود تمامًا كالليل البهيم لأقل من ثانية، ثم عادتا لزرقتهما الجميلة، وهنا أطفأ شموعه السبعة، وهو يردد كلامًا بلغة غير مفهومة، وهي

(١) منطقة ما بين الخصيتين والشرح

لغة مزيج من الآرامية واليديشية، بأسلوب طقسي مترنماً، ثم خرج وفتح باب الشارع، وجلس في دكانه المغلق، بعد أن صف أربعة من الكراسي على شكل نصف دائري ووضع كرسيه مقابلهم بالمنتصف تماماً.

لم تمر سوى دقائق، وإذا بفتحية وابنتها إيطاليا تدخلان عليه من باب السلم متلحفة كل واحدة منهن ملأتهما اللف فوق ثيابهن المنزلية، وكأنهن تركزن البيت على عجلة من أمرهن، فلما وصلتا دكان الساعات جلستا من غير تحية، وبدأت فتحية بالكلام، وبدون أن يطرف لها رمش أو تحيد نظرها عن الزاوية التي كانت مثبتة عليها قالت: «البت إيطاليا ماشية مع الولا حمو زعزوعة من زمان وكان معشمها بالجواز، وأنا بصراحة كنت بشجعها على كده، عشان أبوه مقتدر، بس كنت بحرّصها دايماً، وأقولها يا بت شوقي من غير ما تدوّقي، لحد ما جه يوم واخدها في مطرح في الأنفوشي وضحك عليها، وما قلتش ليا الموكوسة، وفضلت معاه كذا مرة، لحد ما لاحظنا إنها متغيرة، ولما روحنا اسبتلية الأوقاف قالوا لنا البت حبلّى، وأول ما عرفنا أخذناها ورحنا للواد حمو عشان يشوف له حل في النصيبة اللي عملها لقيناه صاع علينا، **وقالي: بتك جاية لي رامية على جوازة من أساسه، ومكنتش بت بنوت، ودائرة مع فلان وعلان شوفي مين فيهم اللي حبلها، أني أصلاً عرفتها كده ومهوبتش نواحيها، هي المشرحة ناقصة قُتلة؟ ولا انتي جاية ترمي بلاكي علينا؟ وكرشني، ومسخرني وكان هيفضحنا بزيادة، يومها بالليل أبوه كان عندنا لا مؤاخذة يعني زي عوايدة، فلما جسينا نبضه على خفيف، لقيناه معندوش فكرة**

بالنصيبة اللي إحنا فيها، المهم بعد ما أخذ واجبه وروق، فاتحناه بالموضوع وحبينا على إيده يستر على البت، قال: جواز مش هنجوز، هنشوف حد يسقطها ويا دار ما دخلك شر».

أثناء حديث فتحية دخل الشيخ فضل وعلى وجهه آثار النوم الذي لم يتمه، دخل الدكان كالروبوت الصامت وجلس.

داوود: «كملي يا توحة»!

فتحية: «المعلم مرسى جانا البيت ومعاها أم السيد الداية وسقتها أعشاب، حاجة كده حمرا زي الزعفران، ولما سألتها هي دي خطرة يا ختي؟ **ردت وقالت:** متخافيش، دي قرفة هندي من عند ماضي العطار. المهم البت شربتها من هنا، وما فيش نص ساعة ونزل عليها نزيف لحد ما كان دمها هيتصفي، لما حصل كده أم السيد خافت وقالت للمعلم مرسى، إن البت باين عليها مستحملتش، وشكلها هتموت، وفضلت تولول وتقول، إنها مالهاش صالح باللي حصل، المعلم جرى بينا على الميري وعملوا ليها غسيل معدة، قعدنا هناك يومين لحد ما ربنا ستر».

أثناء حديث فتحية، سمعوا سعال المعلم مرسى من ناحية السلم، فأشار داوود لفتحية أن تتوقف عن الحديث، ودخل مرسى يسير كأموات الفودو على جزيرة تاهيتي. أو كفرد زومبي يسير ببطء، تكاد قدماه تتن من حمل كرشه الضخم، ولما دخل ملأ كرسيه الشاغر المعد سلفاً من قبل داوود، كان المشهد أقرب ما يكون للعلم التركي، هلال من الكراسي الأربعة يجلس عليها المذنبون الأربعة،

أما نجمتهم المقابلة لهم فكان داوود على كرسيه، ترك داوود فتحة وتفاصيلها الكثيرة التي كانت مأمورة - دون أن تدري - بروايتها، وتوجه إلى المعلم الذي كان لا يحرك ساكناً.

داوود: «إحكي لي يا مرسي بعد ما رجعتن من الاسبتلية بالبت، إيه اللي حصل؟»

مرسي: «قابلنا الشيخ فضل في سوق الحقانية وشار علينا شورة أباليس»، نظر داوود لفضل الذي كان لا يزال مثبتاً نظره أمامه إلى اللا شيء بشكل مستقيم كتمثال سعد زغلول الذي ينظر للبحر.

داوود: «قال إيه الشيخ خرا؟»

مرسي: «قالي وليه تسقطوا البت؟ خد ثواب جابر ولزق له العيل، هو جابر مش نفسه يخلف؟ أدينا جايين له عيل جاهز، ونبقى عملنا فيه معروف، وكسبنا ثواب».

نظر داوود ناحية فضل، واستجمع من لعابه ما استطاع، وبصقه على وجه فضل الذي لم يطرف له رمش، ولا رفع حتى يده ليمسح بصقة داوود التي تسيل على جبينه، وظل ثابتاً على ذات النظرة إلى اللا شيء.

وهنا أصدر داوود أولى فرمائه واجبة النفاذ، كوالي عثماني يتحكم في مصائر البلاد والعباد، متوجهاً بوجهه نحو فضل، الجامد في مكانه، **قال داوود:** «بكرة كتب الكتاب هيفضل زي ما هو، بس إيطاليا على حمو. مش على جابر الغلبان، اللي عاوزين تخربوا بيته، الله يخرب بيوتكم».

وتابع: «تاني حاجة، جابر شوية وجاي، هتعملوا نفسكم ما كنتم تعرفوا بالمصيبة دي، وإن الولا حمو يبحب إيطاليا، وإنه لما عرف أنها هتتجاوز بكرة، اعترف لأبوه بالمصيبة اللي هو عاملها، وإن المعلم مرسي والشيخ فضل مخلصهومش، فقرورا اللي احنا قولناه دلوقتي».

ثم استطرد: «ثالث حاجة ودي الأهم»، ثم صارت لهجته أكثر حسماً، «كل حد فيكم يروح ينام على طول، يقوم الصبح ناسي اللمة دي عشان، احنا دلوقتي بنحلم والقعدة دي ما تقعدتش، وكل كلمة حد قالها بخصوص الموضوع حتى لو لنفسه تتمسح من الدماغ».

لم يتوقع داوود منهم جواباً، فهو على يقين أنهم لن يجيبوا إلا إذا أمروا.

هكذا ظل حالهم كتماثيل شمعية بمتحف مدام سوتو الشهير بلندن، حتى أتى جابر من عند بقش الحاتي حاملاً طلب عم داوود ساخناً، ولما فوجئ أن الباب الخارجي للدكان مغلقاً ولج من باب الشارع، وهو ينادي على داوود، فما لبث أن لباه الصوت من داخل الدكان.

داوود: «تعالى يا وله يا جابر عندنا ضيوف».

جابر: «طب قاعدين في الضلمة ليه؟ ومد يده ليضيء لمبة الدكان الوحيدة، فما لبث أن رأى الجلوس ففرع وخطر بباله، اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، فاستدرك داوود في الحال: «فيه

ضيوف عاوزينك يا جابر»، ثم قام وأجلس (جابر) المذهول مكانه، وتناول منه الكفتة ودخل شقته دون أن ينظر للجالسين.

جابر: «خير يا جماعة إن شاء الله؟ جد جديد ولا إيه؟»
كان فضل يتكلم دون أي انفعالات، كأنه آله لقراءة الأسطوانات المسموعة: «بقي يا شيخ جابر الله يقول في محكم التنزيل بعد بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾». **جابر:** «صدق الله العظيم».

فضل: «ورسوله يقول: من أتلف شيئاً فعليه إصلاحه».

جابر: ﴿ﷺ﴾.

فضل: «بصراحة الأخ محمد (حمو) ابن المعلم مرسي، قلنا سر خطير يطير فيه رقاب، بخصوصه هو والأخت إيطاليا».

جابر -وقد فهم المعنى-: «الوله حمو زعزوعة؟ يا حول الله يا رب».

فضل: «وطبعا زي ما إنت عارف، ولا تزر وازرة وزر أخرى، صدق الله العظيم»، وبدون أن يرفع فضل بصره عن النقطة المثبت عليها نظره منذ أن جلس، أو يلتفت إلى مرسي قال: «ولا إيه قولك يا معلم؟»

فرد مرسي كأن أحدهم ضغط على زر النطق خاصته: «عداك العيب يا مولانا، واحنا ولاد بلد ونعرف الأصول، والمثل بيقول، اللي يحضر عفريت يصرفه».

وعلى طريقة الراحل توفيق الدقن، هز رأسه وهو يقول: «آه أحسن من الشرف مافيش».

ثم تجلت شهامته المجبر عليها تحت تأثير سحر داوود، فتحمس وقال: «طب وسيدي أبو العباس ده يبقى حرام، أيوووووه يا جدعان! بقى حمو يعمل الأثيمة، وجابر يشيل الجريمة، ده حتى يبقى حرام يا خلق هوو!» والتفت مرسى ناحية توحة، وهو يقول: «عمومًا ولا تنعي هم أستاذ فتحية، بكرة بعد العشاء نكتب الكتاب، واللي انكسر ينصلح».

كان داوود يسمع حديثهم من داخل شقته أثناء تناوله النص مشكل، ويبتسم لما يسمعه.

فتحية: «يستر ربنا في الدنيا والآخرة يا خويا»، ثم توجهت بكلامها نحو جابر، «والنبي أمانة يا شيخ جابر، تكفي على الخبر ماجور، أكنش سمعت حاجة، احنا ولا يا خويا، وربنا يستر على ولاياك».

قبل أن يجيبها جابر أو يستفيق من غيبوبته، دخل داوود قائلاً بحزم: «يالاً كل حي يشوف حاله».

وكانت تكفيهم جملة ليقيموا كطابور من الإبل تسير في قافلة بلا قائد، بينما بقي أنوبيس ينبح وهو ينظر في عيني داوود، فقد كانت بينهما لغة معينة!! لغة تسمى التلبائية، وهي لغة قيل عنها -

كذبًا وزورًا- إنها مجرد تخاطر ذهني روحاني وحسب، والحق أنها أعم وأشمل من هذا المصطلح الضيق الساذج، فمن يتقن التلبائية تحدثًا وتخاطرًا، يتقن كل اللغات الحية والمنقرضة، بل لغات الإنس والجن والطير والحيوان، وأهل جوف الأرضين السبع، اللهم إلا لغة ملائكة السماء، ويتحدث بها حاليًا خواص ورؤوس القبيلة الملعونة من معتنقي الشليما حسب اللغة الإغريقية أو ما يعرف سفيككاشارا حسب المصطلح السنسكريتي.

نبح أنوبيس وهو ينظر لداوود، فانتصب داوود قائمًا كمن تذكر شيئًا مهمًا.

داوود: «بت يا إيطاليا! استني انتي».

استدارت إيطاليا بكامل جسدها، كعبد أصم أبكم وأعمى، ينظر إلى مولاه منتظرًا الأمر.

داوود: «تعالى يا إيطاليا متخافيش».

سارت بخطوات بطيئة إلى داوود، الذي أخذها ممسكًا بمعصمها إلى الداخل، وأغلق الباب، وسط ذهول جابر وصمت الواقفين طابورًا كأنهم بنيان مرصوص.

لبث داوود دقائق قليلة مع إيطاليا ثم خرجا، واتجه داوود إلى كرسيه بجانب جابر المتسائل بعيونه، والذي أسكته داوود قائلاً برحمة مزعومة: «بت غلبانة إديتها اللي فيه النصيب».

أما هي فانتظمت في مكانها الشاغر في صف القطيع، حتى أخذوا الإذن بالانصراف حين قال داوود آمراً: «كل حي يشوف سبيله».

وما إن انفض الجمع حتى نظر داوود وجابر لبعضهما طويلاً، وفجأة انغمسا في نوبة ضحك هيسيرية، حتى سعل جابر من شدة الضحك، وصار غير قادر على التنفس، وسالت دموعه التي جاهد أن يخفيها، وكأنها من إثر السعال، لكن ليس داوود من ينطلي عليه مدارة جابر، فقد كان قادراً على سماع صمته وترجمة سكوته لكلمات.

فضمه داوود إلى صدره بحنان صادق غمر جابر الذي ترك العنان لأهاته باكيًا على صدر داوود، وقال: «الظاهر مش مكتوبة لي يابا الخلفة، دخلت من باب وخرج من باب ولا مين شاف ولا مين دري».

همس داوود في أذنه: «كام شهر وهيكون لك ولد».

ظن جابر أن داوود يواسيه فقال: «الله يجبر بخاطرك يابا ويراضيك».

نزع داوود (جابر) من صدره، كي يجعل مسافة بينهما، لينظر خلالها لعينيه مباشرة ومسكه بقوة من كتفيه، وسأله، وقد كست ملامحه أقصى درجات الجدية: «بقولك كلها كام شهر وهيجي لك الواد اللي نفسك فيه!» وبنفس اللهجة الجادة قال لجابر: «هو أنا عمري قلت لك كلمة ونزلت الأرض»!

احترار جابر في جدية داوود المفاجأة، فتلعثم: «بصراحة لا!
بس... أصل... بس إزاي»؟

انفجرت أسارير داوود لما رأى إيمان جابر به فمازحه: «من
جمعية التعاون يا روح أمك»، ولم يرغب أن يطول الحديث في
الموضوع، فقال: «هو مين اللي عليه النوبة يدفع النهاردة»؟
ضحك جابر: «علينا ومش هنعاسبك على الكباب والكفتة
كمان، بس والنبى تحكي لي حكاية سيدنا الخضر يا عم داوود».
داوود: «طب هم بينا على خمارة حمو زعزوعة».

ميتاترون
شباب لكل العصور

[illegible]

كان صوت عزت عوض الله في الراديو يبدع في رائحته:
نواره حارتنا.. يا زايد حيرتنا
يا ريت باب بيتكم.. بابه جنب بيتنا
قدم لهما حمو الشراب المعتاد حمو: «مسا مساع الناس
الكويسة».

جابر: «ما تروح يا بني تستحمى وتحلق شعرك ده، عشان
بكرة».

فقال بسماجته المعهودة: «ماله بكرة؟ وهو بكرة العيد ولا
إيه؟ ولا أكونش هنتجوز بكرة وأني معرفشي»!
جابر: «أيوة يا حدق هنتجوز بكرة، ولا يكونش أبوك شكله
عملها لك مفاجأة».

ظن حمو أن جابر يمازحه، فأجاب وهو مندهش: «أبويا نايم
من بعد العشا، أول مرة يعملها. من ساعة ما وعيت ع الدنيا».
أراد داوود أن يشغل جابر عن حديث حمو.

داوود: «يعني مافيش حشيش»!
ارتدى حمو ثوب الشعراء الذي يبدو عليه كقرد يرتدي السموكن
في حفلة سواريه، وهو يقول: «حشيش مافيش.. مافيش حشيش..
متلاقيش تمز ياميش»، ثم مدح نفسه بسماجته المعهودة: «والنبي
حلوة يا ض يا حمو».

فقال داوود حاسماً: «امشي إنت يا حمو». انصرف حمو وهو يصرخ لمساعديه حاملاً أطناناً من السماجة، مع كوز منقوع البراطيش في يده: «زود السبرتو يلاااااا، خلي الغلابة تسكرررر».

وليشغل داوود (جابر) عن تعجبه من أمر عدم معرفة حمو بأمر زواجه بإيطاليا غداً، ونوم مرسى مبكراً جداً، وهو الذي لا ينام حتى يشرق الفجر، قال: «حلو أوي صوت مرقص عوض الله».

فقال جابر بعد ما بلع الطعم: «مرقص مين يا عم داوود. أنت سكرت قبل ما تشرب! قصدك عزت عوض الله»؟

داوود: «مين اللي يسكر ده؟ وحياتك لو شربت المالح كله ما هنسكرك، اسمه مرقص عوض الله باسيلي يا أبو جهل»!

جابر: «طب واللي خلق الخلق، أراهنك أنه مافيش حد في إسكندرية يعرف إن اسمه مرقص باسيلي اللي إنت بتقوله ده غيرك إنت. مع إنه أشهر مطرب فيكي يا إسكندرية.. بس هو ليه مخبي اسمه يا عم داوود»؟

داوود: «عشان ده قانون اللعبة يا جابر لو عاوز ينجح». لم يفهم جابر مغزى داوود فعلق قائلاً: «يا سلام عليه لما يقول: يا بنات إسكندرية.. ماشيكم على البحر غية... ولا لما يقول: يا زايد في الحلاوة عن أهل حينا.. ما تبطل الشقاوة وتيجي عندنا». ثم قال لداوود وهو يناوله كأسه الأول: «احكي لي عن الخضر يا عم داوود».

داوود: «هو احنا وقفنا فين»؟

جابر: «لما أبيل قتل هبيل، وربنا كتب حرف من اسمه على قورته».

داوود: «ما هو الخضر ده ابن قايين يا جابر».

جابر كاد وهو يشهق حتى كادت أن تفضي روحه إلى بارئها، من أثر سماعه الجملة الأخيرة، ومن نسبة الكحول الموجود في كينة رأس العبد التي كانت تحرق جوفه.

جابر: «على كده، كايين ده ولا أبيل ولا اسم أمه إيه! كان كويس أدام خلف ولي.. صح يا عم داوود»؟

داوود: «مش إنت بتقول أبو إبراهيم النبي كان كافر، وابن نوح النبي كان كافر»؟

جابر: «مش أنا اللي بقول، ده الشيخ فضل الرحمن الله يباركله اللي حكى لنا حكاية نار سيدنا إبراهيم، وحكاية الطوفان ومركب سيدنا نوح».

ثم تساءل جابر وهو يهمس خشية أن يسمعه فضل أثناء نومه في بيته بسبه كراماته العديدة كونه وليًا من الصالحين: «هي حكايات الشيخ فضل دي مش بجدي يا عم داوود»؟

ضجر داوود لسماعه اسم فضل مسبوقًا بلقب شيخ.. فقال بعصبية واضحة: «تعرف يا بغل تكتم ومسمعش صوتك عشان أحكي لك»؟

جابر: «صحيح إيه المانع إن الخضر هو ابن قايين؟ وعلى رأي المثل يخلق من زهر الفاسد عالم، ومن العالم فاسد! خلاص احكي يا عم داوود».

قال داوود: «بعدما سكن قايين شرق عدن بأرض نود، منعت الأرض عنه خيرها، فاحترف البناء بعدما كان مزارعًا وبني هنالك مدينة وسماها باسم ابنه الأول...».

جابر: «اسمه ايه يا عم داوود»؟

كست ملامح داوود خشوع جم، وعرت أنامله رجفة اهتز لها السائل الأصفر داخل كأسه، وأرخی جفونه كمن سيتلو صلاة، وقال بصوت هائم، حالم، حتى انسلخ عن مستحكيه: «هومولاي، الوهيم هاقطون، هو مثلث النعمة، الوجود والحكمة والحياة، هو النور الأول والآمل والمُأْمَل والمتأمل والمأمول لكل الآمال.. هو النور، وأس وأساس النور وكل نور أساس، هو أصل وأصيل ومؤصل النور، هو كل درب موصل لكل أصالة نور، هو منه النور وبه النور عليه وبه وفيه النور، هو أصلي ونوعي، وجذري وفرعي، هو أصل البهاء والضياء والسر والخفاء والنور.. الحي الخالد ميتاترون».

استفاق داوود من هيامه على صوت جابري تساعل: «هو الخضر

ولا ميتاترون يا عم داوود»؟

داوود: «له أسامي كثير يا جابر، مثلاً هوخنوخ، وإخنوخ، أو إدريس أو أوزريس، أو إلياس، أو الياسين أو تحوت أو توت أو

هرمس أو جارجيئوس أو جريس.. بس ميتاترون، ده أصح اسم له يا جابر، وكلهم أسماء لشخص واحد».

جابر مزهواً بنفسه: «جريس ده اللي هو جرجس، صح؟ عشان تعرف أنني بفهم ومتقولش عليا أبو جهل تاني».

اندهش داوود وضحك وهو يسأل (جابر): «صح وهو جورج كمان، بس جبتهها مين يا وله، معقولة يكون فضل قالها لك؟»
جابر: «لا أنا شفت صورته عند عم حنا البقال على الحيطه، وهو اللي حكى لي حكاية الوحش التين، وقال لي إن الكفار قطعوا رقبتة في الآخر، الله يرحمه».

أراد جابر أن يقرأ الفاتحة على روح جرجس عندما عرف أن كلام عم حنا صحيح، وأن جرجس فعلاً قديس، فقد كان داوود هو المصدر الأول والأخير للصواب والخطأ عند جابر، لكنه خجل من المكان المعبأ بسحب الحشيش ورائحة الخمر، أن يُتلو فيه أم القرآن.

داوود: «وحنا مقالش ليك قتلوه في بيروت لبنان ولا اللد في فلسطين ولا في بلدة سيريني بلييا؟»
لم يفهم جابر سؤاله، واكتفى بنظرات الفضول.

داوود: «بص يا جابريابني، هتقابل في حياتك ناس كتير بتقول كلام أكثر، هقولك معادلة وافهمها كويس يا جابر، ١٪ من البشر هو اللي بيحكم العالم وهما آل قابيل ومليكمهم الدجال المتحالف مع عزازيل، و٤٪ عارفين الحقيقة وهما اليهود وأذانبهم، و٩٤٪

مسيرين ومغفلين، و١٪ من البشر بحثوا عن الحقيقة ووجدوها، ودول اللي الناس بتهزأ بهم ويسموهم أصحاب نظرية المؤامرة». «الصراع الأبدي يا جابر بين ٤٪ اليهود و١٪ أصحاب نظرية المؤامرة على وعي ٩٥٪ من المسيرين».

جحظت عينا جابر المشربة بحمرة من أثر السكر ولم يعقب، فأردف داوود: «بس اعرف كويس إن الحق واحد، لا يتعدد، وإن التاريخ ده كله، فيه قبيلة معينة كتبتة والقبيلة لأنها تتحكم في كل شيء، تعمدت إنه يوصلنا بالشكل اللي وصلنا به النهاردة، حسب ما كتبتة القبيلة دي، واللي هي قادرة إنها تقول إيه يتكتب وإيه لا».

أبتسم داوود حينما رأى جابر ينظر إليه ببلاهة من لا يفهم، ومع ذلك أكمل جابر يقول: «يعني حكاية عم حنا البقال عن القديس جرجس صح ولا غلط»؟

داوود: «أصلها صح جداً، بس القبيلة اللي بقولك عليها حطت عليها وشالت منها».

جابر: «تحريف يعني، زي الشيخ فضل الرحمن ما بيقول».

داوود وهو يبتسم: «صدق وهو الكذوب».

جابر: «يعني إيه»؟

داوود: «يعني مثلاً يا جابر، ناس هتقولك إن إخنوخ (إدريس، ميتاترون، الخضر) هو الجد السابع لجيل ما قبل الطوفان، وناس هتقول إنه أبو جد نوح، وناس تانية تقول أبو جد نوح، وناس هتقول هو بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم..

داوود قالها بيقين: «إدريس هو ابن قايين، وانه محور تاريخ العالم واللي بيحصل فيه من آدم لحد الساعة، وأنه كان قبل الطوفان وبعده».

استعاد جابر همته لسماع لحكاوي داوود: «أيوووووه يا عم داوود للدرجة دي؟ بس إزاي قبل الطوفان وبعده؟»
داوود: «لأنه حي وهو المنظرين، وهو الند لعزازيل».
جابر: «أني كنت سمعت حاجة زي كده زمان، وأنه جاء في عزاء النبي».

داوود: «أمال يا جابر يا بني! إنت فاكر إيه! يا بني ده الموضوع كبير أوي».

جابر بغباء مفرط: «وده علاقته إيه بالخضر يا عم داوود؟»
قطع داوود شربه للكأس، وأنزله من على فمه وظل ينظر إلى جابر نظرة من أوشك على سكتة قلبية، أو شلل نصفي على أقل تقدير.
جابر بغباء: «مالك يا عم داوود فيك إيه؟ أني بنسألك ع الخضر».

منع داوود نفسه عن صفع جابر بشدة، لكنه لم يمنع صوتاً خرج من أنفه، بعده قال: «أحا يا جابر، أمال إحنا بنحكي عن مين من الصبح؟»

جابر وهو يتنفس نسيم الفهم أخيراً: «أيوووووه! يعني قصدك إن إدريس هو خنوخ ومنوخ، ومطاطرون والحاجات دي كلها هي سيدنا الخضر؟»

داوود: «أيوه يا سيدي، كل الأسماء دي لإدريس اللي هو سيدك الخضر»، ثم قال وهو يتنهد ليحدد طاقة الصبر عنده: «بص يا جابر! عشان نخلص من حكاية النسب والاسم دي، ذرية قايين لحد الطوفان هي خنوخ وده اللي بنحكي عنه، وبعدين عيراد أبو مهويائل أبو متوشائل أبو لامك، أبو توبال قايين، وإخوته يوبال ويابال وإخوتهم وبعدين الطوفان.. تمام؟»

جابر: «تمام».

داوود: «إنما نسل شيث هو يانش بالعبرية، مش أنوش، اللي هو هينوس باللغة الجعزية السامية القديمة جدًّا، أبو قينان أبو مهلائيل أبو أنوش، أنوش ده بقى اللي ضحكت عليكم القبيلة الملعونة اللي كتبت التاريخ وفهمتكم إنه هو إدريس، وكتبت أن أنوش بن شيث، وهو مش كده؛ لأن ترجمته هتبقى أنس مش إدريس، أنوش ده أبو متشولح أبو نوح، أبو يام وسام وحام ويافث، يام ده مات في الطوفان، وبقيت ذرية إخوته الثلاثة».

كان جابر مغمضًا عينيه، حتى تكف رأسه عن الدوار، ليس بفعل الخمر والحشيش وإنما بفعل كلام داوود.

داوود: «فهمت حاجة؟»

جابر: «إني مال أمني بده كله، أني عاوز حكاية الخضر»، ثم مد بها صوته «الخالل الخضر الله لا يسيء إليك يا عمنا».

داوود: «وأنني هاريحك، هنسميه بالاسم اللي أنا بحبه، أبونا ميتاترون، عشان ترتاح من الأسماء الكثيرة له».

جابر: «أدام ميتاترون هو هو الخضر يبقى تمام، أني معاك، ومقام سيدي ياقوت ما هنقاطعك تاني، دي شكلها حكاية جامدة أوي».

ثم نادى جابر على حمو: «حمووو! طبق جبنة تركي وطماطم هنا للخواجة. خليه يمز وينجلي».

أزاح داوود كتابه ليضع حمو أطباق المزة، ثم بدأ داوود القراءة: «لما استقر قايين بأرض نود، جاءه الملك عزازيل والملكة ليلث، وسمياه ملكًا على الأرض الدنيا، وارتضي عزازيل بالأرضين الست الأخرى كمملكة له، كما ارتضي عزازيل أن يشاركه قايين زوجته الملكة ليلث المقدسة، لكن كل ذلك كان له شرط واحد، وهو أن يأتي له قايين بكتاب الملك رزائيل، الذي يحوزة أبيه آدم، بعد أن فشل هو والملكة في سرقة، خاصة أن آدم استأمن ابنه (شيث) على الكتاب، وقام شيث بإخفائه في مكان فشلت كل المحاولات في الوصول إليه، وافق قايين على تلك الصفقة بلا تردد، ومرت الأيام وأنجب قايين من زوجته إقليما وليث أولادًا وبناتًا كثيرين، وأمه عزازيل بكل بناء وغواص من الشياطين.. بنى قايين بعدئذ مدائن كثيرة، وانتشر أولاده فيها، كان أهمها مدينتين: أولهما مدينة أور ومعناها النور بين النهرين وسكنتها ليلث، وامتألت المدينة بنسلها من زوجها عزازيل وقايين، وعشاقها من الملائكة الساقطة، وكانت ذريتها عجيبة يا جابر».

«كانوا ثلاثة أصناف يحملون قدرات وصفات مختلفة حسب مادة الخلق للأبوين: الأول، أبنائها من قايين، كانوا يحملون نصف صفات البشر للنصف الطيني عند الأب، وأصل الطين عند الأم، وباقي الصفات شيطانية نظرًا لأن أبوهم ابن سمائل تجسد لحواء في صورة الحية. الثاني، أبنائها من عزازيل، كانت صفاته وقدراته ربع بشري لأصل أمه الطيني قبل مسخها. والثالث أرباع ناريين لأبيهم عزازيل.

الثالث، أبنائها من الملائكة الساقطة، كانوا مزيّجًا من طين ونور ونار، ربع من أصل الطين اللي اتخلق منه آدم وليث في الأول خالص قبل حوا، وربع نار من أمهم بعد مسخها شيطانًا، ونص نور من آبائهم الملائكة الساقطة».

«وكان فيه عماليق يا جابر وملكهم كان اسمه عوج بن عوق، عوق دي تبقى أمه، بت آدم وأخت شيث، وقايين اللي رفض سابقًا أن يتزوجها لقبحها وفضل توأمة إقليما عليها، ليث لاف على عوق دي وبقت صاحبته، وفضلت وراها لحد ما غوتها وقدمتها لزوجها لعزازيل، تعلق عوق بعزازيل وليث، وحب حياتهم وطريقة حياتهم المتحررة من كل القيود اللي أبوها آدم وأخوها شيث حطينها عليها، حبت تعيش معاهم على طول، فطلبوا منها إنها تنفذ شريعة مذهبهم، وترجع لأرض آدم، وتنام مع شقيقها شيث.

بس شيث أخوها الشقيق رفض إنه ينام معها وطردها من أرض آدم، وقتها ضاقت الأرض على عوق لا هي عارفة تعيش مع الملك والملكة اللي عشقتهم، ولا عرفت ترجع لأرض آدم.

عشان تعرف تعيش تأكل وتشرب، اضطرت تمشي على حل شعرها مع إنها بت ناس، فاهمني طبعًا يا جابر؟

جابر: «فاهم يا عم داوود، والنبي كمل»!

داوود: «القبيلة كان ليها قوانين معينة للانضمام، عشان كده عدل عزازيل في جزء من القانون المقدس وسن شرع ومن يومها شغالين به، كان اسمه وقتها قانون وعاء الأصل والفرع، حاليًا اسمه قانون الوعاء المقدس.

رمزه ٧ وده رمز الأنثى في الشريعة، وفوقها ٨ رمز الرجل، و٧ و٨ متصلين رأسياً، بداخلهم مسلة مقلوبة.

الـ ٧ و٨ لو قلبتهم على بعض وأدمجتهم في بعض تبقى النجمة السداسية».

جابر: «والمسلة رمز إيه»؟

داوود: «عنتر جينة يا كحووول».

واعترتهم نوبة ضحك من نوباتهم التي يوشك أن يتوقف في إحداها قلب داوود، أو تفشل رثتي جابر عن التنفس من فرط السعال.

ثم جرع داوود نصيبه من كينة رأس العبد دفعة واحدة، وقال وهو يمسح جانب فمه بظهر كفه، مستدرِّكاً حوارَه، وفرَّ منه تركيزه لثوانٍ معدودات مجرد ثوانٍ فقط.

«ده أول طقس للانتماء لقبيلتنا الملكية، هو قانون الوعاء المقدس المتصل، زي التعميد عند النصراني والشهادة عندكم، والملك عزازيل كتب لعوق كتاب بالكلام ده، لأنه يعتبر هو أستاذها المباشر، القانون نص على أنه يجوز تخطي الأقرب فالأقرب، بشرط موافقة الأستاذ المسؤول والمباشر لطالب الاقتران بالقبيلة الملكية العليا، تسهلاً للدخول في القبيلة».

جابر: «أستغفر الله العظيم، إيه القرف ده يا عم داوود؟»
تدارك داوود ما قاله فشخصت عيناه، ثم ابتسم كأفعى مستخدماً واجب التقية التي ابتدعوها وألبسوها على فرقة من فرق المسلمين العديدة.

وهز رأسه متعجباً وهو يقول: «اللي يعيش ياما يشوف، يا سيدي إحنا مالنا ومالهم، سيرتهم وسخة زيهم، يا راجل خيلنا نغير النجاسة دي، ونحكي حاجة تانية، أحكي لك حكاية أبو قير وأبو صير»؟

جابر: «لا والنبي يا عم داوود كملنا الحكاية دي، بس عشان ابقى ماشي معاك صح ومتهش منك.. تقصد إن الناس دي سلوهم أن الشخص لازم» -ثم همس أعوذ بالله من غضب الله- «إن لازم يكون عندهم زنا المحارم»؟

طربت أذنا داوود حينما سمع (جابر) يتكلم بصيغة الغائب، فأراد الوقوف عندها لتثبيت الفكرة، فهو تعلم من صغره، إنه ما تكرر تَقَرَّر.

داوود: «صح يا جابر! الناس دول سلوهم وعادتهم كده يا بني».

جابر: «عَمَلْتُ إيه عوق بت آدم بعد كده»؟

داوود: «بعد ما طردها أخوها شيث من أرض آدم، وعدَّ الملك عزازيل قانون الأخ الشقيق، أخذتها ليلث لأخوها الثاني قايين، قبلها ورحب بها في أرضه، ودخلت دين القبيلة».

جابر: «متفسرش يا عم داوود، أستغفر الله العظيم، أنا فاهم».

داوود: «بعدها لما خلفت عوج ده مباقوش عارفين مين أبوه، عزازيل ولا قايين؛ لأن الاتنين جامعوها في نفس الوقت، فنسبوه لأمه، وده طقس من جملة الطقوس.. بالك يا وله يا جابر عشان تفهم الصورة صح، أهو عوج بن عنق ده كان يمد إيده في قعر المحيط يطلع الحوت الكبير، وبعدين يرفعه يشويه في عين الشمس، وياكله على لقمة واحدة».

دول كانوا أعمارهم طويلة جدًّا، آلاف السنين، ولا يمرضون ولا ينامون، ولا يشيخون ولهم صفات وقدرات لا يتخيلها أحد.. إنما كل ولاد ليلث، سواء من عزازيل أو قايين أو من الملائكة الساقطة، شكلهم الأصلي شنيع جدًّا، حاجة كده شبه الزواحف، بس عندهم القدرة على التشكل بأي شكل يريدونه، فكانوا يظهرون للناس في

أجمل وأبهى شكل بشري سواء أكانوا رجالاً أو نساءً.. فاهم يا جابر؟
ولا تهت مني؟

جابر: «فاهم، بس مش عارف يعني إيه ملائكة ساقطة يا عم داوود؟»

داوود: «عارف هاروت وماروت يا جابر؟»

فرح جابر جداً لما سمع الاسمين المذكورين في القرآن، وأن
لهما علاقة بالحكاية، فقال بحماس: «طبعا عارفهم يا عم داوود،
مالهم؟»

داوود: «دول ملاكين ساقطين، زي اللي بحكي لك عنهم.
هحكي لك حكايتهم كمان شوية».

عاش جابر بوجدانه كاملاً مع الحكاية، حتى إنه -وتحت تأثير
الخمر وسحب الحشيش- كان حينما يغمض عينيه يبصر الأحداث
كفيلم سينمائي.

جابر: «ماشي! كمل يا عم داوود».

داوود: «أما المدينة الثانية فهي مدينة تنيس عند بحيرة المنزلة
بوادي النيل، ولذلك سميت المنزلة بهذا الاسم، لما نزلها قايين
وسكنها مع زوجته وأخته إقليما، وهناك أنجب ميتاترون، ابنه البكر
وأحب أبنائه إليه، وإيزيس من إقليما.. وست وأخته نيفتيس من
ليلث.

وقضى الملك عزازيل أن يتزوج الإخوة الأشقاء حسب قانونه
الذي يخالف قانون آدم،

فتزوج ميتاترون إيزيس، وست نيفتيس».

جابر: «مش إيزيس دي بتاعت أوزيريس اللي أخذناها في إعدادي يا عم داوود؟»

عم داوود: «هي هي يا جابر، مش أنا قلت لك إن الخضر اللي هو إدريس من جملة أسمائه أوزيريس وميتاترون! بص يا بني، متشغلش بالك بالأسامي عشان كل شخصية من دول له اسم مختلف في الحضارات القديمة، حسب لغتهم. زي ما حكيت لك على الخضر في الأول له أكثر من عشر أسماء، فكذلك إيزيس وكل شخصية من دول نفس الحال».

ثم نظر إلى جابر فوجد عليه إمارات الفهم، مما شجعه على الاستمرار، فقال داوود: «يعني يا جابر مثلاً إيزيس دي حضارات سمتها إنانا وحضارات سمتها فينوس، ومناطق تانية سمتها أفروديت، وعشتار، وتانيت وعشتروت، والعرب سمتها اللات والزهرة.. من ده كتير يا جابر على كل الشخصيات، وده اللي حصل لما عبدوهم، قايين بقى آمين.. وبعدين آمون، وفي مناطق تانية بقى زيوس، وجب، وجوبتر.. وزي عزازيل ما بقى رع وغيره كتير، على مدار السنين واختلاف الحضارات، وهو الجبت الأول يا جابر، ومنه اتسمى الوادي الخصب جبت أي قبط ومنه إيجبت، عشان كده قبطي معناه مصري مش نصراني.

وعموماً لو شغلنا بالناس بالأسماء وطريقة اللهجات واللغات في نطقها مش هنخلص، بس لو قارنت يا جابر في تاريخ الآلهة وقصصهم تلاقيهم هم أنفسهم، بس الواحد منهم له عشروميت اسم».

جابر: «هما الناس عبدوهم يا عم داوود»؟

داوود: «طبعاً يا جابر! ودي كانت بداية السلالات الملكية المعبودة، عشان كده عزازيل أصدر قانون أنه ممنوع على حد من نسل قايين إنه يتزواج مع حد من نسل آدم أو شيث».

جابر: «ليه يا عم داوود»؟

داوود: «عشان هم كان فيهم مزايا من أصلهم لسمايل أبو قايين لما تمثّل لحواء في صورة الحية، وكذلك الملائكة الساقطة التي تزوجت مع بنات قايين، فكانوا زي أولاد ليلث في أور، مش بيمرضوا وأعمارهم طويلة جداً آلاف السنين، ويتشكلون بأشكال جميلة جميلة جداً، وأذكي بمراحل عن أبناء آدم، مزايا كتير أوي يا جابر».

جابر: «بس شكلهم الأصلي زواحف، صح»؟

داوود: «صح».

جابر: «تمام! وبعدين يا عم داوود»؟

داوود: «بس لما كان حد منهم يتجوز من بنات آدم كان المولود بيحمل نص المزايا بس، يعني نص ملاك ونص آدمي، يعني لما المولود يتجوز اللي شبه يبقى هتقل المزايا، وكده نسله المميز ينتهي، وتروح منهم صفاتهم الملائكية، ويغلب عليهم الصفات

الآدمية البشرية، فكان يزوج الأخوات الشقايق للبعض. فإن كان مافيش ييتقي لأقرب قريب.. بس ساعات كان بيحصل غلطات، مثلاً، أمير من نسله مع آدمية أو العكس، المواليد دول بقى أنتجوا طبقة العبيد المحكومين والشغالين وأبناءهم كذلك يتزوجون فقط من بعضهم، اللي أنت شايفهم حواليك دول يا جابر».

جابر: «حاجة كده زي كلاب الشوارع، المتجھنة، صح»؟

تقزز داوود من تشبيه جابر الفج المشمئز، لم يفهم جابر سبباً لاشمئزاز داوود، ولم بدا على وجهه التقزز.

داوود: «الملافظ سعد ياجاموس أبيض! تقدر تقول نسل عزازيل وليلث وقايين والملائكة الساقطة، هما خيل نادي سبورتنج المأصلة، وباقي الناس حمير وبغال وحصنة عربي الكارو، عشان كده كان لازم يحافظوا على نقاء سلالتهم ويمنعوا الهجين. اللي كان بيتكاثر أسرع، رغم أعمارهم القصيرة بالنسبة للنسل الملكي».

جابر: «والسلالة النضيصة دي فين دلوقتي يا عم داوود»؟

داوود: «موجودة يا جابر، آمال إنت فاكر إن مين اللي بيحكم العالم يا حمار».

ثم انتابته هيسستيريا من الضحك المفاجئ والغير مبرر لجابر، مثلما انتابه تقززاً مفاجئاً غير مبرر، حينما شبه جابر نسل عزازيل بـكلاب الشوارع الهجين.

شعر داوود بانفلات جملته الأخيرة من بين شفثيه، فاستدرك على الفور ليشغل جابر عنها.

داوود: «عاوزين حشيش يا جابر، قوم بينا نقضي من السيالة أو الطابية».

جابر: «أدام مرسي زعزوعة نايم بدري كده، يبقى فيه كبسة وهتلاقي المخبرين مرشقة في الحارات كلها».

ابتسم داوود من استنتاج جابر لنوم مرسي، وطبعًا أيده عليه، فمن يظن أن داوود هو سبب نوم مرسي وليس كبسة الحكومة.

داوود: «عندك حق يا جابر، نمشيها مية بس النهاردة، أطلب لنا ربعين ٨٤ كماله».

جابر: «ماشي يا عم داوود.. كمل»!

داوود: «المهم ميتاترون إتجوز أخته إيزيس، وعشان هو البكري ومن إنسية فصار المقرب لقلب أبيه قاين، على عكس ست الذي كان مقربًا لأمه ليلث، فأبوه خلاه يحكم الأرض.. وعاش في صعيد مصر وحكم بالعدل والرحمة».

وأخوه ست، إتجوز أختهم نيفتيس، بس طلع عاقر ومش بيخلف، غير إن نيفتيس كانت كارهة لأخيها وزوجها ست، وعاشقة لأخيها ميتاترون وحملت منه بطفل سمته أنبو (أنبويس).

جابر: «ههههه على اسم ببس بتاعنا ههههه»!

لم يعقب داوود على ملاحظة جابر، واكتفى بكأس شربه قبل أن يستكمل قصته.

داوود: «زاد حقد ست على أخيه عشان الملك والنسل، من ناحية أخرى، كان آدم قد وُكِّل إلى ابنه شيث إدارة شؤون الأسرة

والأرض بتاعتهم البعيدة في الجنوب بلاد البونت أو فير -حسب التعبير التوراتي- اللي هيا أفريقيا، وسلمه كتاب رزائيل، وأنوش أنجب قينان وقينان أنجب مهلائيل... لحد ما جه يوم وعزازيل اتعارك مع قايين عركة جامدة أوي يا جابر».

جابر: «ليه»؟

داوود: «عشان موضوع كتاب رزائيل المقدس اللي فيه كل العلوم، والمعارف، واتهمه إنه مشغول بالمباني والأرض والنسوان والهلس، وعمال يجوز في عياله على بعض وناسي الاتفاق، وليث وقفت مع جوزها الجني عزازيل في صفه، وجت على جوزها الإنسي قايين. سِخِنْ عمنّا قايين وشغل الخبائث القديمة بتاعته، وراح واخد ابنه الكبير سيدنا ميتاترون، وراح يزور أبويه آدم وحوّا بحجة إنه عاوز يعرّف ابنه البكري على عائلته».

جابر: «كانوا بيسافروا إزاي المسافات الطويلة دي يا عم

داوود»؟

داوود: «يا بني الناس دي كانت عندها علوم وأدوات أعلى من وقتنا الحالي».

جابر: «يعني حدوتة الإنسان أصله قرد. وكلامهم هونجا بونجا

وماشين عريانين في الغابات، كل ده أونطة يا عم داوود»؟

داوود: «طبعًا أونطة، مش أنا قلت لك إن فيه قبيلة واحدة

بتحكم العالم، وهي اللي بتكتب التاريخ المعتمد، وتتحكم في الاقتصاد والتعليم والسياسة وكل شيء يا جابر»؟

جابر: «أيوه!»!

داوود: «أهي القبيلة دي هي متعمدة يكتبوا التاريخ بالشكل اللي وصلنا النهاردة، وإن الحضارات بتطور مع الزمن، مع إن العكس هو الصحيح».

جابر: «قصداك إن آدم والناس دي كانت عندها طيارات»؟

داوود: «وأكثر بكثير يا جابر».

جابر: «عرفوها إزاي الحاجات دي كلها»؟

داوود: «آدم عرفها من الخالق، وعلم آدم الأسماء كلها، وولاده نفذوها بواسطة كتاب رزائيل المقدس».

جابر: «طب وقبيلة عزازيل وليث وقايين عرفوها إزاي»؟

داوود: «يا بن العبيطة، مش قلتلك إنه قبل آدم عاشت الجن على الأرض بقيادة سوميا ستة آلاف سنة قبل آدم، وكان فيه مرده وغيلان لحد ما فسدوا في الأرض وأساءوا استخدام العلوم دي»؟
جابر بغباء ملاحظ: «أيوة باين قلت لي كده»!

داوود: «طب يا حمار إذا كنا إحنا مكملناش ستة آلاف سنة من

بعد الطوفان، وعندنا الحاجات دي كلها: نووي، وذري، وصواريخ بتطلع القمر، يبقى اللي عاش ألف سنة أكثر منا، تخيل هيكون وصلوا لإيه؟! أينعم مكنش عندهم العلم اللي عند قبيلة آدم، وعشان كده عزازيل كان عاوز يسرق الكتاب، بس كان عندهم علوم حضارة ستة آلاف سنة، ده غير إن الواحد منهم عمره بيوصل لألف سنة وأكثر، وبيشوف آلاف من أحفاده في حياته، فبتتراكم الخبرات عنده».

قاطعہ جابر لیثبت فہمہ لما یقال: «زی سیدنا نوح کدہ، ۹۵۰ سنۃ قبل الطوفان بس، غیر بعدہ».

داوود: «جدع یا جابر، اللہ ینور علیک، وعشان کدہ ربنا غرق الأرض کلہا بالطوفان عشان البشریۃ تبدأ من جدید بعلوم أقل، وما بقاش حد محتفظ بالعلوم الأصلیۃ القدیمۃ إلا أبونا میتاترون الیہی کتب حکمۃ إدريس، علی الجانب الآخر عزازیل وماشیحہ لما سرقوا کتاب الملائک رزائیل زی ما ہتعرّف بعدین، بس إنت بطل رگی وسینی أحکی لک».

جابر وهو یہز رأسہ کھیئۃ الفاہم: «کلام موزون، کمل یا عم داوود».

داوود: «قایین عمل حیلۃ إنه تاب تانی، زی ما عمل زمان وإنہ حن لأخواتہ وأمہ، وعاوز القبیلتین یكونوا علاقات طیبۃ مع بعضہم البعض، عشان صلۃ الرحم، وأخذ ابنہ الکبیر میتاترون وراح یزور أرض آدم فی (البونت) البعیدۃ علی أمل إنہم یعرفوا طریق الکتاب عشان یعطیہ لعزازیل.. آدم وحوہ وکل قبیلۃ المؤمنین، فرحوا بیہم جدًّا خصوصًا إنہم شافوا میتاترون (إدريس) بأخلاقہ النبیلۃ الشبیہۃ بجدہ آدم.. خلافًا لقومہ المنکبین علی الشهوات والفسوق ولا یعرفون للہ حقًّا، وإنما یعبدون عزازیل ولیلث. تقرب میتاترون من شیث، وطلب منہ إنه یقرأ فی الکتاب! ووافق شیث، هنا میتاترون عمل حاجۃ لأول مرۃ فی التاریخ».

جابر: «عمل إیہ یا عم داوود»؟

داوود: «روحه الزكية رفضت إنه يسرق الكتاب، فطلب من شيث إنه ينسخه، ووافق شيث عن طيب خاطر، فكان ميتاترون أول من خط بالقلم على الأرض، وعكف على قراءة الكتاب ودراسته، فتغير حاله من حال لحال، وبدأ يتعرف على الخالق من خلال نسخة الكتاب اللي نسخها، ويتقرب إليه، وفي نفس الوقت ينبذ ما كانت عليه قبيلته من فسق وفسوق وفسادهم الذي لا ينتهي، وتاب إلى الخالق من كل ما فعله في القدم.. وعلم الخالق صدقه وإخلاصه وحسن توحيده، وأناره بنوره فكان هو النور الأول. وهنا بالذات تغير اسمه من إدريس (أوزريس) إلى ميتاترون يعني ملك الملائكة، واصطفاه رسولاً من الخالق لقومه الفجار، عبّاد الشمس، كل هذا لم يطلع عليه أحد من قومه. فقط علم به آل آدم.

فرح قايين جداً لما علم أن ابنه حاز نسخه من الكتاب، وطلب منه أن يسلمها لعزازيل حسب الاتفاق المبرم بينهم، لكن الابن رفض لما وعي كل الأشياء على حقيقتها بعدما قرأ الكتاب وعرف حق الرب، باءت كل توسلات قايين لابنه بالفشل الذريع، حتى وعيد عزازيل ووعود ليلث لميتاترون لاقت نفس المصير.

وجهر ميتاترون (إدريس، أوزريس) بدعوة الحق مما جعلهما يستعينا بسِت ابن ليلث المقرب، وحامل كل جينتها الخبيثة، فلدیه من المكر والدهاء ما ليس عند عزازيل ذاته، فضلاً عن حقه الدفين لميتاترون».

جابر: «هنا بقى حصلت الحدودة اللي خدناها في إعدادي،
صح»؟

ابتسم داوود: «مش بالظبط يا أبو العُريّف، اللي يهمنى في
الموضوع ده إن حدودة الإعدادية دي إحنا اللي حكيناها من زمان
أوي».

**وقف جابر عند كلمة (إحنا)، فسأل داوود بعفوية بريئة وهو
يناوله كأسًا:** «إنتم مين يا عم داوود»؟

**ثبتت يد داوود على يد جابر المناولة للكأس وقال بلهجة
جادة وحادة غير مناسبة للجلسة وهو ينظر لعيني جابر المستفسرة:**
«لو عاوز تسمع، تبطل رغي عشان لو سألت أسئلة غبية زيك تاني،
هقوم أسيبك وامشي».

**احتار جابر لحدة داوود المفاجأة، وأين الغباء في سؤاله! لكنه
آثر تكلمة الحكاية على أي شيء.**

فقال جابر وهو يضع يده على فمه ويتكلم من خلفها: «حقك
عليا، وربنا هكتم سكتكم بكتم ومش حفتح حنكي، بس والنبي كمل
وقولي الشيطان ده عمل إيه»؟

داوود: «الحدوتة إن ست عمل صندوق، ولما أخوه قفله
وبعدين رماه في البحر ولما رسي نبتت عليه شجرة والكلام الخايب
ده، وإن مراته أحيته وحبلت منه، صح»؟

**أجاب جابر برأسه موافقًا، ولم يشأ أن يتكلم حتى لا يحث
قسمه.**

داوود: «طيب إنت تصدق إن حد بعد ما يموت يرجع تاني، مش قرآنكم بيقول: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾»!

قال جابر في سره: «صدق الله العظيم»، ثم أوماً برأسه موافقاً لكلام داوود.

داوود: «القصة الحقيقية واللي عمرك ما هتسمعها إلا مني وهي كالاتي: رجع ميتاترون إلى بلده وملكه بحال غير الذي رحل به، تقياً، زاهداً، ورعاً، من الآخر كده وعشان تفهم يا جابر، الخالق اختاره أن يكون رسولاً وكان أول رسول للبشر، لأن آدم كان نبياً لأبنائه، وشيث تبعه على شريعته، فكانوا أنبياء».

فرغ جابر فاه عجباً، لكنه لم ينبس ببنت شفة.

داوود: «ظل ميتاترون يدعو الناس إلى عبادة الخالق، ونبد عبادة أسرته اللي كانوا كل شوية يزيدهم إله، سادوس مقدس، وسبوع، وبعدين ثامون، ولحد ما وصلوا تاسوع مقدس، زي ما هحكى لك بعدين، إله للأرض وواحد للسماء، وإله للشمس وإله للقمر.. لكن قومه عصوه وظلوا على كفرهم وفسادهم ومتعهم المحرمة، لحد يوم الحفلة الكبيرة بتاعت الصندوق، فعلاً ست أقنعه إنه يدخل التابوت، وبعد كده كمل خطته الشريرة ورماه في البحر لحد هنا بس القصة صحيحة، إنما الحقيقة إنه اللي حصل بعد كده يا جابر غير اللي بتقوله الأسطورة خالص، والكلام الفارغ ده، اللي القبيلة أملتة للناس وضحكت به عليهم، الحقيقة إن الخالق رفعه إليه، يا جابر، ثم تلا

داوود الآية الكريمة: «وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾».

جابر: «صدق الله العظيم».

داوود: «فيه مجموعة صيادين طيبين زيك يا جابر، شافوه محمولاً على أجنحة الملائكة مرفوعاً إلى السماء، وفضلوا يقولوا للناس، إنه صار مع الله ولن يوجد لأن الله أخذه، ولكن لم يصدقهم أحد من الناس وصدقوا الأسطورة».

وعلمه الخالق كل شيء حتى إنه أطعمه من شجرة الحياة وأصبح عنده من العلوم ما يفوق كتاب رزائيل المقدس، لدرجة إنه جعله ملك على الملائكة يساعده ويخدموه، وملكه على عطارده، ويكلفه الخالق بمهام على مدار العصور على الأرض وغيرها، ثم يعود إلى كرسيه في السماء بإذن الخالق، «وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ».

جابر: «صدق الله العظيم».

داوود: «وكانت أولى المهام الموكلة إليه هي محاربة ست الشرير، فنزل ثانية إلى الأرض ومعه الصحف المقدسة، فأول من أمن به كانت زوجته ومجموعة الصيادين الذين رأوه مرفوعاً إلى السماء محمولاً على أجنحة الملائكة، وتسموا بالصابئة أو المندائيين أو بالهرامسة، ومجموعة صغيرة من عوام الناس، في الوقت ده كانت أوزريس حاملاً في ابنها المسيا القدوس الماشيح (المسيح الدجال) المنتظر».

أراد جابر أن يسأله عن معنى الماشيح المنتظر لكنه مكبل بقيد قسمه الذي أقسمه بعدم الكلام.

وكاد الفضول أن يمزقه فأشار بيده، كمن أراد دخول الخلاء.

داوود: «عاوز إيه يا وله؟ انطق؟»

جابر: «يعني إيه الماشيح المنتظر يا عم داوود؟»

داوود: «أعظم ملك عرفته الدنيا يا جابر، بس خلي الكلام عليه في وقته، عشان أرتب لك دماغك وما نفوتش حاجة».

جابر: «ماشي».

داوود: «وفي عز الصراع على عرش مصر.. أمر الخالق أن يذهب ميتاترون إلى أرض آدم، وأن يصطحب معه الصابئة المندائيين المؤمنين بدعوته، وزوجته الحامل في ابنها الأول، وأن يترك الصراع مع أخيه ست مؤقتاً؛ لأن هناك ما هو أهم، ومن هناك يكون جيشاً ضخماً من اتباع دعوة شيث وادم، والصابئة المندائيين بقيادة مهلائيل حفيد شيث، وأن يذهب هذا الجيش إلى مدينة أور معقل عزازيل».

كانا: أي داوود وجابر، قد وصلا بفعل جرعة، ربعين الخمر ماركة الـ ٨٤، الزائدة عن الكم المعتاد تعويضاً لفقدان الحشيش، لحالة من السكر لم يصلا إليها منذ فترة، فقال داوود وهو يشير بيده **في الهواء:** «كفاية كده النهاردة، حنكي وجعني من الرغي، وبعدين بكرة يوم دوشة عشان فرح البقف ده».

كان جابر قد هام في حكاوي داوود، حتى إنه نسي أمر الزيجة التي فشلت في آخر لحظة من إيطاليا، وتعاثته البالغة منذ سويغات، قال وهو يضحك ضحكة بائسة، وكان واضحًا عليه تأثير الجرعة الزائدة: «تبقى في إيدك وتقسم لغيرك»!

داوود: «مالك يالا يا جابر؟ البت إحلوت في عينك ولا إيه؟»
جابر: «مش دي الفولة يا عم داوود، الحكاية وما فيها، إنه جت الحزينة تفرح ملاقتش لها مطرح»، ثم ضحك لسبب غير مفهوم، ولا مناسب لمقالته في شيء، فهم داوود أنه قصد الإنجاب، ومع ذلك بادلته ضحكه بضحك أشد: «لا وأنت الصادق، المنحوس منحوس ولو علقوا على راسه فانوس».

دوى صوت ضحكهم في صمت الحارة الراقدة.

الفرح

استيقظ مرسى زعزوعة مبكرًا على غير عادته، كان بداخله صوت لا يعرف له مصدرًا يملئ عليه ما يجب فعله هذا اليوم، فكان أول ما فعله هو أن أخبر زوجته بإطلاق الزغاريد إعلانًا لزواج حمو من إيطاليا، شهقت سميرة زوجة مرسى الجديدة، وهي تضرب صدرها بباطن كفها وتهمس بنغمة فرعة.

سميرة: «يا لهوي! يا لهوي!» ثم سارعت من وتيرة اللحن «يا لهوي يا لهوي يا لهوي»،

حتى جاءها الأمر المتوقع.

مرسى: «اخرسى يا بت الكلب».

سكتت سميرة باستكانة خبيثة وابتسامة شماتة في ضرثها أخبث، عبثًا حاولت سعدية أم العريس أن تستيقظ من الكابوس والخبر الذي سمعته، فلما تيقنت أنه واقعًا وليس كابوسًا فتحت شباك الغرفة المؤصد وهتفت.

سعدية: «والنبي لرقع بالصوت الحياني! ألحقوني يا خلق هوو المعلم إتجنن».

مرسي: «اصطبحي يا سعدية وقولي يا صبح». واصلت سعدية هواية الرده المفضلة لديها.

سعدية: «توحة الأحبة؟! هتبقى حماة ابني! راسها براسي؟! وهنمسح نجاسة بتها بهدومنا الطاهرة».

مرسي: «ادخلي يا مرة يا مجنونة، أمر الله نافد».

سعدية: «يا ناس أطم بالمنتوفي على وشي»!
استيقظ حمو، الذي لم يمض على نومه إلا سويغات بعد غلقه للخمارة على صوت صراخ أمه.

حمو: «إيه يا امه فيه إيه ع الصبح»؟

سعدية: «قوم يا عريس الغفلة شوف أبوك عمل إيه»!
مطت سميرة شفتيها يمنة ويسرة شماتة في ضررتها التي طالما أذلتها، كانت الآذان من خلف شبابيك الحارة، تتصنت بمتعة غريبة، يعجز عن تفسيرها أكثر علماء النفس دراية بعلمه، فضلاً عن الفلاسفة والمنطقة وعلماء السلوك الإنساني والاجتماعي.

حمو: «صح الكلام ده يا بابا»؟

كان حمو يفكر في كلام جابر ليلاً، والذي ظنه مزحاً وكلام سكارى.

مرسي: «أيوة صبح، يعني إنت مش عارف اللي أنت نيلته يا جعر! أهى البت حبلى يا سبع البرمبة».

حمو: «طب والنعمة ما لمستها، وهي كانت بتحوم وتحك في جوازة».

زادت سميرة من مط شفتيها. وهي تشق بمكر استنكارًا: «يا فضحيتي!»

سعدية: «والمرسي أبو العباس لأكون مولعة في نفسي بجاز». كان مرسي يتمزق بين أمرين أحلاهما مر بمرارة العلقم، أن يقبل نسبًا سيجلب له خزيًا وعارًا، وقوى داخله لا يقوى أن يقاومها، ولا تدعه يملك من زمام إرادته شيئًا.

وبالفعل انتصرت تلك القوى الخفية الكامنة داخله، فصرخ حاسمًا لسعدية وسميرة: «عليا الطلاق بالتلاتة منكم إنتم الجوز، اللي هتفتح بقها بكلمة تاني لكون داخل فيها اللومان، خلص الكلام».

سعدية: «أشق الهدمة يا هوو»!

وبالفعل مزقت ثوبها نصفين، فأنكشف نهدها الضخم، قبل أن تسقط مغشيًا عليها، مما استدعى سميرة أن تلقي بجسدها عليها لتستر عورتها وهي تصيح: «هات جلبية لأمك يا حمو».

هكذا كان صباح عرس حمو زعزوعة الذي أرادوا به ستر الفضيحة، فكانوا هم أول الفاضحين، ذهب لعاشور الفراش ليجهز له النصة والكوشة والكهرباء، ثم إلى جمعة الطباخ الذي قال له أثناء عد النقود المخصصة لشراء ذكر الجاموس «إنت مصرع نفسك ليه معلم»؟

نظر إليه مرسي وأجاب بكلمة واحدة فيها كل الردود:
«هتستعبط»؟

والحق أن جمعة الطباخ كان (بيستعبط) حسب قول المعلم مرسي، فهو قد عرف سبب، الصريعة -على حد قوله- من زوجته التي أدت دور المراسلة الإخبارية على أتم وجه له من خلف المشربية أثناء رقاذه في السرير.

جمعة الطباخ: «مش القصد والله يا معلم! كان قصدي نأجل يوم ولا اثنين ألحق اشتري حطة نضيفه من البحيرة»!

مرسي: «أهو اللي حصل يا سيدي! عندك مانع»؟
ثم تركه وسار هائماً على وجهه، مر مرسي من أمام دكان الساعات، فلمح داوود جالساً على بابه، وبطرف من عينيه، حياه دون أن يلتفت.

مرسي: «صبحك بالخير يا خواجه»! ثم سار في خطوات قليلة لا يلوي فيها على شيء.

داوود: «يسعد صباحك يا معلم، اتفضل»!
لم يتيقن مرسي من الأمر الصادر إليه من سيده الغامض، أهو فعلاً أمر بالدخول للدكان، أم هي الكلمة المعتادة عند رد التحية عزومة مراكية كما يطلقون عليها، كاد هذا الأمر التافه جداً أن يميزه إرباً من فرط الوسواس القهري، الذي انتابه، والحيرة التي اعترته.

قطعاً للشك باليقين، تحجر ثابتاً في مكانه، لا هو التفت إلى داوود، ولا أكمل خطواته البطيئة، وهو يقول: «يزيد فضلك يا خواجة».

أراحه داوود من حيرته بجملة أعادت له القدرة على السير: «تعالى يا مرسى عاوزينك»، استدار بكامل جسده، كجندي سمع أمراً من قائده (لليمين دُر)، فلما جلس قال له داوود: «على فين العزم»؟

مرسى: «أمرك يا خواجة».

مرسى: «عاوزينك تخطف رجلك لشارع النصر وتستقضي للغلبانة شوارها، يعني اللي ربنا يقدرك عليه يا معلم».

مرسى: «حاضر يا خواجة، هأخذ حد من العيال معايا وننزل نجيب لها، باجور جاز على طشت نحاس، وكام هدمة جديدة، مرضي يا خواجة»؟

داوود: «حلمك علينا بس يا معلم لسة أهم حاجة! بدي إنك تنزل العطارين تتفق لها على أوضة نوم محندقة كده، وخليهم يبعثوها على بيت الست فتحية، وأنا هبعت أجيب حسن المنجد عشان يلحق يخلص، الوقت ضيق يا معلم، ولا إيه! يا سيدي وأبقى حاسبه على مهلك. خلينا نعدي اليوم ده، وأهو برضه عشان ابنك ينبسط».

تمعر وجه مرسى وهو يُجيب: «حاضر، بس يعني لا مؤاخذا أصل...».

فطن داوود لما يجول ببال مرسي.

داوود: «متعاش هم عكنة النسوان أنا هتصرف، هترجع تلاقهم مبسوطين على سنجة عشرة».

بدت الراحة على وجه مرسي ذي الملامح الصخرية.

مرسي: «منتحرمش منك، يا خواجه».

ما إن استدار مرسي ذاهبًا حتى أخرج داوود من أحد أدراج الدكان ورقة حمراء من ذلك الورق الذي كان قديمًا تباع فيه اللحوم، ورسم عليها - بدون قلم - فقد كان سبابته اليسرى قلمه ولعابه كان المداد، رسم داوود على ورقة اللحم الحمراء نجمة سداسية كبيرة، بطريقة رسم مثلثين متوازيي الأضلاع؛ أحدهما عكس الآخر رأسياً. فتج عنهما ستة مثلثات على الأطراف بشكل مستدير، وبالوسط دائرة، كتب بداخل المثلثات الستة أسماء ستة بالترتيب الآتي: سعدية في المثلث الأعلى، يقابله اسم مرسي في المثلث المقابل في الأسفل.

محمد (حمو) في المثلث الأول من ناحية اليمين، يقابله إيطاليا في المثلث المقابل.

سميرة في المثلث الثاني من ناحية اليمين وتحت مثلث محمد، ويقابله فتحية في المثلث المقابل لسميرة وتحت مثلث إيطاليا.

ثم كتب على رأس كل مثلث من الستة حروفاً عبرية وأرقاماً عربية، أما الدائرة بوسط النجمة فقد قسمها شطرين بشكل طولي،

وعلى شطر الدائرة الأيمن أعاد كتابة أسماء الإناث الأربع، وأضاف وفاق واتفاق ورفق الوفاق.

أما شطر الدائرة الأيسر فكتب اسم محمد منفردًا، ثم كتب حصار حاصر وحصر محصور، وكل هذه الكتابة بعضها فوق البعض، لذا فهو لا يكتب بواسطة حبر وإنما بلعابه الشيطاني.

ثم أحاط النجمة بدائرة تأكد جيدًا أنها أغلقت. ثم أخرج موس حلاقة كان بنفس درج الورق الأحمر، فجرح إبهامه الأيسر، ومزج لعابه المرسوم على الورقة بدم إبهامه، كأنه يصمم على عقد ما، ثم طوى الورقة على شكل مثلثات حتى خلصت إلى مثلث واحد.

أثناء كل ذلك كان أنوبيس يبدو متوترة جدًا، على غير هدوئه الصامت دائمًا، فقد كان يهز ذيله بشدة، وهو ينظر إلى رفيقه بترقب ويحثه مستعجلًا الأمر، ويسيل لعابه غزيرًا وهو يدور بشكل دائري.

وما إن أتم داوود طي الورق بإحكام، حتى وثب أنوبيس فاتحًا فاه على ركبتي داوود الجالس الذي ألقمه الورقة بعد أن نفث فيها بعمق، دخل أنوبيس الشقة من خلال الباب الداخلي للدكان. وشرب من طبق به سائل أصفر حتى ارتوى، ثم خرج إلى الخرابة القريبة، وحفر فيها حفرة عميقة، وبال فيها ثم وارى عليها التراب، ما إن أنهى داوود عمله، حتى انطلقت أصوات زغاريد سعدية مدوية من بيت مرسى زعزوعة، وأغاني سميرة ذات الأصل الريفي.

العجل هد الصطبة

العجل هد الصطبة

يا منجد علي المرتبة

عشان البوس والشقبة

يا منجد علي المرتبة

عروستنا حلوة مؤدبة

مسح داوود على رأس أنوبيس وابتسم في صمت، ذهبت محروسة إلى إيطاليا ومكثت معها طوال اليوم، قامت فيه بدور الحفافة بعد أن أقسمت توحة أن أم السيد الداية ما هتعتب باب البيت، بعدما كانت (هتмот إيطاليا بالسّم الهاري اللي شربته لها). بدأت مراسم الحفل بالزفة الإسكندراني المميزة، نزلت العروس من بيت أمها القريب ومعها صديقتها وبنات الحارة، مرتدية الفستان ذاته الذي استعارته ثلاث فتيات من بنات الحارة قبلها، للداعي الذي يقال دائماً - ليه نشترى فستان هيتلبس مرة واحدة ويتركن بعدها في الدولاب - وليس لداعي الفقر - لا سمح الله - مع العلم أن أغلبهن لا يملكن دولابًا أصلاً.

لتجد كارتة المعلم مرسي المسحوبة بواسطة الحصان عتريس مزدانة بقبة من سعف النخيل، والورق السوليفان الملون، الذي يستخدمه المعلم في تغليف الصنف، والكثير من الورود المثبتة على السعف والكارطة، وعلى الحصان عتريس نفسه بل والكرباج أيضًا الذي يضرب به عتريس.

استقبلها حمو بسرواله - أبو تكة - التركي الفضفاض، متقمطًا بقمط على وسط مزين بقطع ذهبية لزوم الوجاهة، وسترة إفرنجي

شبيهة ببذل الخواجة داوود الساعاتي، وعلى رأسه طربوش أحمر
تعتمد حمو أن يجعله مائلاً، وأن يجعل الزر من الجانب وليس من
الخلف كونه شاباً وليس مسناً.

ساعد حمو عروسه على ركوب الكارثة، وسط زغاريد النساء
التي تألفت فيها سميرة زوجة أبيه، والتي أبهرت كل صديقات توحة
الغريبات عن الحارة بزغروقتها المتقطعة الشهيرة بالحارة - صدقاً
حاولت كتابة كيفيتها لكنني فشلت - سارت الزفة يتقدمها المعلم
مرسي زعزوعة، وعن يمينه ويساره فتوات الحوارى المجاملين له:
وكان أهمهم المعلم منصور أبو شجر كبير حارة الشمرلي، والمعلم
محمد البنداء كبير حارة السكة الجديدة، والمعلم عبد العزيز أبو
خطوة كبير المنشية، أما عن مساعديهم فيسيرون خلفهم وهم يغنون
الزفة الإسكندراني.

صلي صلي.. ع النبي صلي.. واللي ما يصلي

أمه يهودية.. وأبوه أرمني

وأقروا الفاتحة لسيدي يا اقوت واللي يعاديننا يطق يهوت

وأقروا الفاتحة لأبو الدرار واللي يعاديننا يولع نار

وأقروا الفاتحة لأبو العباس.. يا إسكندرية يا أبجدع ناس

أما النساء فمكانهم في ذيل الزفة خلف الكارثة، قاصرات على
التصفيق والزغاريد، من خلف الملاءة، والبرقع الشبكي المزين
بقصبة نحاس والخلاخيل الفضة في أرجلهن، حتى وصلت الزفة إلى
بيت العريس، والحقيقة أن عاشور الفراش لم يدخر جهداً رغم ضيق

الوقت، فها هي اللببات الملونة تغطي الحارة والكلوبات المضاءة والكثير من سعف النخيل، ونشارة الخشب الملونة على أرض الحارة تشكل سجادة على هيئة هلب المركب.

وسرادق جانبي للأكل بجواره رجل يمسك كراس كبير لتلقي وكتابة النقوط من الخارجين من شادر الأكل.

ما إن وصلت الزفة حتى صعدت العروس لسطح بيت زعزوعة وجلست على الكنبه البلدي المخصصة لها، ذات المنظر القطني، وهي شبيهة بالمرتبة الصغيرة، والمفروش باللبادة الملونة من قصاصات القماش القديمة التي تخاط بعض أطرافها ببعض، ثم تكور حتى تصبح كرة كبيرة، ثم يذهب بها إلى النّوال، فيضمها جيداً وينسجها فتصبح فرشاً للأرض والأسرة، وهي الآن تباع بالبازارات على أنها تحف.

وللكنبه ثلاث مساند للظهر مصنوعة من خيش بالات قطن مينا البصل، المحشو بقش الأرز مكسوة بقماش العبك المصبوغ.

فما إن جلست العروس على كنبتها والنساء خلون بأنفسهن، حتى خلعن البراقع والملاءات اللف وظهرت الجلابيات الملونة (المقورة) والتي تصنف بأنها عارية و(محزقة) بمقاييس زماننا هذا. واستبدلت سميرة أغانيها الريفية بزغرودتها المتقطعة المصنفة الأولى على مستوى الحارة، وعلى طبله محروسة أخذت تشدو رائعتها

الحلة على الباجور عشي عيالك

أنا راحمة عند أبويا مش قاعدة لك

وبناء على طلب سعدية أبدعت سميرة في أنشودتها المفضلة:

تحت بيت أم فاروق الشجرة طرعت برقوق

وتحت بيت عبد الفتاح الشجرة تفاح

لكن للأسف هذا الفولكلور الفلاحي - على حد وصف توحة
وصديقاتها من العوالم والعهات - لم يعجبهن، خاصة أنه غير
مناسب لرقصاتهن الخلية، التي لم تتوقف لحظة، فانبرت نرجس
الغازية وجلست بجوار توحة، ونحت سميرة عن الكنة بقولها:
«انزاحي يا شابة»، وشرعت تغني أغاني نساء بحري بصوت أعلى
من صوت سميرة حتى أسكتتها:

آه يا واد ولعة.. خدتها ونزل الترعة

هلف ما ياكل صوبع الوز.. إلا لا محضن ويبوس

بس وهي قالعة.. آه يا واد يا ولعة

تعالى ضحكات النساء استحساناً وتصفيقاً، فتحمست نرجس

الغازية أكثر وأكثر بأغاني أكثر ميوعة وخلاعة مثل:

سيبي نفسك يا بت.. سيبي نفسك يا بت

هيدلعلك ويشخعلك ويفرقعلك.. ولخليكي واحدة ست

وسكسك.. آه يا وله سكسك.. آه يا وله

لا أكل الدبوس.. قام عشان محضن ويبوس

وأما أكل ورك الديك.. قام عشان محضن و....

علا صوت النساء الضاحكات بخلاعة ودلال بنات بحري،
أكثر من صوت نرجس الغازية، فلم يتبين بماذا أنهت وصلتها
الغنائية، هذا ما كان يحدث على سطح المنزل، أما ما كان يحدث
بالشارع فمختلف تمامًا، فقد كان جابر وداوود جالسين أمام بيتهما
منتظرين قدوم الزفة التي رفض داوود أن يمشي فيها، ومنع جابر من
ذلك.

فما إن وصلت الزفة وصعدت العروس لسطح البيت، ذهب
العريس إلى الكوشة وجلس منفردًا يُحيِّي الحضور بالإشارة بـكلتا
يديه، بوضعهما مرة على صدره والأخرى على رأسه، في هذه الأثناء
كان الشيخ فضل قد انتهى من تناول لحم العجل الطازج حديث
الذبح، وطلب من جمعة الطباخ كوبًا من الحلبة الحصى لزوم جلاء
الصوت، كان فضل مرتديًا ثوبًا ملائكيًا، مناسبًا للحدث، فهو يعرف
جيدًا أن لكل مقام مقالًا، ولكل حدث حديث.

كان يرتدي قفطانًا حجازيًا، وقلنسوة بيضاء ناصعة عليها غرة
بيضاء حريرية، وبلغة بيضاء في قدميه، وما إن صعد فضل للكوشة،
هنا العريس وجلس بجواره وهو يشير بيديه للحضور الذين بادلوه
تحيته قائلين: «هيه».

بدأ فضل فقرته الأولى، مداحًا في نور النبي:

كل القلوب إلى الحبيب تهيل

ومعي بذلك شاهد ودليل

أما الدليل فإذا ذكرت محمدا

- 1.9 -

تمتم جابر، وهو يجلس بجوار داوود منفردين: «الله يفتح عليك يا مولانا ويزيدك».

رد عليه داوود: «يزيده من إيه يا خويا هو ناقص، في الأفراح مأذون ومداح، وفي العزاء تربي ومقرئ، ده غير شغل العفاريت والتلات ورقات».

جابر: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يا عم داوود».

داوود: «إتلهي على خيبتك».

أما جلسة المعلمين والفتوات، فكانت طبقاً لبرتوكول الوقار المتبع، فكانوا يكتفون بهز رؤوسهم استحساناً، مثلما فعل مرسى زعزوعة الجالس بين حفنة من الفتوات، الذين طالما حلم أن يكون واحداً منهم، ولكن منعه كرشه الضخم من تحقيق حلمه، كان مرسى يستمع إلى المعلم محمد البنداء صاحب الخواتم الكثيرة في كلتا يديه، وهو يحكي عن خالد الذكر حميدو الفارس فتوة السيادة وذكرياته معاه.

كان البنداء يحكي و(المعلمين) يستمعون لسيرة سلفهم وملهمهم الراحل بشغف شديد لدرجة أن أحدهم كان من الممكن أن يتوقف عن سحب الأنفاس ليستفسر من البنداء عن تفصييلة معينة، مثل شكل نبوت حميدو أو خاتمه.

فقال البنداء: «المعلم -الله يرحمه- اسمه الحقيقي عبد الحميد عمر، واتعودنا ننادوه بالمعلم حميدو، لحد ما جه يوم السبق بتاع القوارب والبلانسات، والناس كانت سخنة نار يا جدع، وكانت

المنافسة بين قوارب راس التين وقوارب السيالة، فواحد من السيالة قال: قفة ملح وقفة طين على رجالة رأس التين.. قام واحد منهم قال: سيالة يا سيالة يلي مافيكش رجالة.. مين سمعه؟! حد يقولي مين يا عم بنداء؟

الفتوات: «مين يا عم بنداء»؟

البنداء: «المعلم حميدو الله يرحمه».

الفتوات: «أيوووووه يا جدعان! وبعدين يا معلم بنداء».

البنداء: «المعلم الله يرحمه كان جدع ويعرف أصول المجدعة، وعشان ده سبق يبقى الرد في سبق، ولا إيه يا جدعان».

الفتوات: «صح كدهون، عين العقل، الأصول أصول».

البنداء: «يومها طلبة السماك كان راكب فلوكة ونازل عن رأس التين، والسيالة كانت منزلة الأسطى جريش المراكبي قصاده، قوم إيه، تعالي يا معلم حميدو شيل جريش وقوله أنا اللي هسابق».

الفتوات: «أيوووه، يا راجل! وبعدين يا معلم»؟

البنداء: «المعلم أول ما ركب الفلوكة، هما دراعين اللهم صلي ع النبي. وكانت الفلوكة طائرة، تقولشي حوت يا جدعان، مطولش عليكموا! قولوا طول يا بنداء».

الفتوات: «طول يا معلم».

البنداء: «المعلم أول ما رجع البر والخلق هايصة، فضل مستني
طلبة وركبه في المية لحد ما وصل طلبة، وراح المعلم فقعه دماغ يا
جدع أيوووه، طلبه مشافش نور بعدها، قاله قول لرجالتك السيالة
فيها رجالة».

الفتوات: «صح كدهون! المهم بعد السبق، والله عفارم عليه!
أحسن برضه هما اللي بدؤوا».

البنداء: «مش ده المهم، عارفين إيه المهم، طب حد يقولي
إيه المهم يا بنداء!»!

مرسي: «إيه المهم يا معلم بنداء»؟

البنداء: «المهم إن أفندينا عباس كان متابع السبق من قصر
رأس التين وعجبه السبق، فبعت واحد من عبيده بريالات فضة،
قوم العبد الزنجي الغشيم يجي عند المعلم ويرمي له الريالات على
الأرض، قوم المعلم قاله وهو واقف زي الأسد: لم يا جدع إنت
حاجتك دي وغور في داهية! وقول لسيدك مش حميدو اللي يوطي
على الأرض، ولو كان مال قارون! عارفين يا رجالة حصل إيه، طب
حد يقولي حصل إيه يا بنداء».

الحضور: «حصل إيه يا معلم بنداء»؟

البنداء: «أفندينا في التو والحال بعته له تشريفة تطلبه، ولما
راح له، قاله: عاوزك تكوم لي العبد الغشيم ده بروسية واحدة زي
المراكبي، رد المعلم حميدو قاله: أيوووووه يا أفندينا ده أنت جيت
ع الوجيعة، ده أنا مبقوق منه من ساعة ما رمى الريالات على الأرض

وبما إنك أمرت فأمرك واجب يا غالي.. وبالصلاة عالنبى هووبا كان
العبد مفيص على الأرض، ضحك أفندينا وخلع عليه لقب فارس،
ومن يومها بقى اسمه حميدو الفارس».

المعلمين: «هي دي الجدعنة ولا بلاش، الله يرحمك يا معلم
حميدو».

البنداء: «إيه دووونيا، وآخرة المتمة، فتح قهوة في المينا
الشرقية، وقعد فيها لوحده يشرب الحمية طول النهار».

مرسي: «ليه بقى يا معلم»؟

البنداء: «الناس يا خويا هايية تعتب عتبة القهوة حد يغلط أو
يهجص بكلمة كده، ولا يعمل حركة ما تعجيش المعلم، يقوم يكسر
القهوة على دماغه».

أحد الحضور: «إييه روحه حاضرة وطالبة الفاتحة يا أخونا،
وجبت الفاتحة على روحه يا رجالة».

**رفع الجمع أكفهم يقرؤون الفاتحة، وقبل التأمين كانت
النساء تصرخن على سطح المنزل:** «إلحقنا يا معلم مرسي سميرة يا
معلم.. دستور يا سيدنا».

أبصر جابر زوجته محروسة تشير إليه بالصعود، وهي تصرخ:
«الأسياذ يا جابر.. إزق ع الشيخ فضل».

لم تكن محروسة تعلم أنه لم يكن لينتظر أن يستدعي أحد، فهو
الآن بالفعل يهرول على سلم البيت صعودًا، جابر: «ما تيجي نطلع
نشوف فيه إيه يا عم داوود»؟

داوود: «فيه أنه شغل أونطة يا فالح، وفضل بتاعك هيعمل
شوية البكش بتوعه وبعدين يلم الليلة».

ثم تأفف من زحام الحارة والفرح والضوضاء، فقال: «قوم
بيننا نمشي يا جابر من الخنقة دي»!

جابر: «هنروح فين بس والخمارة قافلة»؟

داوود: «نجيب بيرة وناخد الفلوكة لحد لسان البوغاز نهدي
أعصابنا».

جابر: «وتكمل لي حكاية النبي إدريس اللي هو الخضر»؟
ضحك داوود: «وهكمل لك حكاية إدريس اللي هو أوزريس
يعني ميتاترون».

ضحك الاثنان وقاما متأبط كل منهما الآخر.

مهلائيل

طقس الإسكندرية ما بين النوات هو أفضل أوقات السنة لأهلها، خاصة حوارى بحري، فهم لا يحبذون الصيف الجالب للغرباء، ولا النوات المانعة -مؤقتًا- لأرزاقهم. فى مثل هذا الجو جلس داوود وجابر فى البلانس المملوك لداوود، والذي يعمل عليه جابر ويقتسمان ربحه، هربًا من ضوضاء الفرخ، جدف جابر حتى وصل إلى البراميل ثم رسا. وهناك أضاء داوود الكلوب، بينما انشغل جابر بتجهيز الشيشية الصغيرة وإشعال الفحم.

جابر: «الله يسامحك يا عم داوود! كنا عاوزين نتفرج ع الشيخ فضل وهو بيطلع الأسياذ اللي على سميرة».

داوود: «أسياد مين يا أبو أسياد، فضل ده برمجي».

جابر: «حرام عليك يا عم داوود، ده راجل صالح، مشفتش شكله وهو لابس أبيض ف أبيض»؟

داوود: «يا وله دي عدة الشغل، زي العمة الخضرا بتاعت
الحضرة والجبة النبي بتاعت شوادر العزاء».

جابر: «مش عارف ليه إنتم الاتنين زي ناقر ونقير، مش
بتيجوا على سكة بعض».

داوود: «إنت هتعمل راسه براسي يا جابر».

ناول جابر أول أحجار الحشيش لداوود وهو يسترضيه:
«المقامات محفوظة يا عم داوود»!

**لفحت داوود نسمة هواء باردة، فأحكم كوفيته على عنقه،
والكسكيتة على رأسه وهو ينشد:**

وإن قيل لي فضل عليا على الوري

هن أطاع وهن عصى

قلت هو سيف الله لست مفضل

علاه من بالنقائص تقصا

ألم تر أن السيف يزري بقدره

إذا قيل إن السيف أفضى من العصا

وإن كان جابر لم يفهم المراد من الأبيات إلا أنه استحسنة،

فقال: «الله على كلامك الموزون يا عم داوود، بس اتقل عليا خمسة
نرمي الطراحة ورزقي ورزقك على الله».

ألقى جابر شبكته متوسطة الحجم، وهو يهمس: «ياا مسهل

الحال يا رب، توكلنا ع اللي بينجي الجحش م الوحش ويرزق النمل

بالأكل»، ثم أفرغ آذانه ووجدانه للإصغاء: «كَمْلي بقي سيدنا الخضر عمل إيه بعد ما جهز الجيش».

سحب داوود أنفاس أول حجر واعتدل وهو يقول: «وقفنا لما الخالق أمر أبانا ميتاترون بوقف صراعه على الملك، وأنه ياخذ الصابئة المندائيين وزوجته إيزيس الحامل ويروح لأرض آدم، وإنه كون جيش ضخّم من المؤمنين بقيادة مهلائيل والذهاب لمدينة أور». **جابر:** «تمام يا عم داوود! بس إنت قلت لي هتفهمني حكاية هاروت وماروت ودخلهم إيه بالقصة».

داوود: «ما هما دول واللي معاهم اللي الجيش رايح يحاربهم يا جابر».

جابر: «واحدة واحدة يا عم داوود عليا».

داوود: «بص يا جابر، لما ربنا رفع إليه أبونا ميتاترون، مش إحنا اتفقنا إن كتابكم قال: إن إدريس لم يمت، ورفعناه مكانا عليا!»

جابر: «صح».

داوود: «عليًا يعني علو مكان ومكانة، المكان مع الخالق فوق راسي عند العرش، والمكانة أنه بقي ملك على الملائكة، هنا بقي حصل تمرد من شوية من الملائكة ورفضوا المكانة دي لأبونا ميتاترون في السماء، وقالوا كيف يملك علينا من ولد من رحم امرأة، فهبطوا للأرض عند جبل حرمون المقدس بالشام، اللي هو جبل الشيخ حاليًا، معترضين على رئاسة أبونا ميتاترون عليهم في السماء».

جابر: «آه كده أنا فهمت، اللي منهم هاروت وماروت، صح؟»

داوود: «صح، بس مكانوش لوحدهم كان معاهم قادة وأتباع».

جابر: «أسماءهم إيه يا عم داوود؟»

داوود: «كان أهم القادة، نسروخ (مردوخ، ماروت) وهولا، (هاروت)، وسطانييل (الشيطان) ويعلزابول (بعل) وانضم إليهم شيمهازاي (سمائيل) اللي حكيت لك عنه ومعاه أعوانه، أرماروس، وباركئيل، وكوكبئيل، وأبوليون، وغيرهم بس عمومًا هما اسمهم النيفليم، والناس أعطت ليهم ألقاب، زي رئيس هذا العالم، رئيس سلطان الهواء، إله هذا الدهر، أسد زائر، المشتكي، قتال الناس، الحية القديمة، التنين العظيم، وكان معاهم ٣٠٠ من أتباعهم، استقبلهم عزازيل بحفاوة بالغة وقدم ليهم متعة لم يذوقوها من قبل، النسوان يا جابر!»

تنهد داوود مع أنفاس الحشيش وهدوء البحر والليل، ثم

قال: «آه من النسوان يا جابر، هما اللي صنعوا التاريخ يا جدع، من أول ما طلّعوا آدم من الجنة، ولحد يومنا ده».

جابر: «قصديك إنه قدم لهم نسوان؟»

داوود: «ده اللي حصل أول ما ناموا مع بنات الناس.. اتعلقت

قلوبهم بيهم وما عادوا قادرين يستغنوا عنهم، وعلموهم كل الأسرار: الفلك والسحر وعلوم التأمل والطاقة الروحية وعلم التنجيم والترميل والطب والكيمياء وعلم أسرار الأرقام والحروف، وعلم الفلسفة وعلم الكلام والألسن وعلم السيمياء والخيمياء، وعلوم لم

نسمع بها حتى يومنا هذا، علموهم علم يجمع خلاصة العلوم دي كلها في علم واحد».

جابر: «اسمه إيه العلم ده يا عم داوود»؟

داوود: «علم الغنوص اللدني (البراسيكولوجي). إلا علم واحد عجزوا عنه ولسة القبيلة شغالة عليه».

جابر: «علم إيه يا عم داوود»؟

داوود: «خلق الروح يا جابر، بس الملك عزازيل، حجب العلوم دي على عوام الناس والعبيد، وأنشأ معابد للنيفيلم وسماهم آلهة، واختار من السلالات نقية الدماء الملكية، كهنة وسدنة، واختصهم بالعلوم دي، بالمناسبة تعرف إن كل الكتب بتحكي موضوع الملائكة ده؟ كتاب النصارى مثلاً يقول، إن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا، وبعد أن دخل أبناء الله على بنات الناس وولدن لهم أبناء، صار هؤلاء الجابرة المشهورين منذ القدم، والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم، بل تركوا مسكنهم وحفظهم إلى دينونة العظيم بقيادة أبدية تحت الظلام، وكتابك كمان يا جابر، مش الآية بتقول: «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْكَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾».

قال جابر رغم عدم فهمه للاستدلال بالكتب المقدسة بما

يقال: «صدق الله العظيم».

وبما أن داوود قد قال فهو أدرى بما يقول.

داوود: «بس إنتم فيكم حاجة، القبيلة إياها مساعدكم عليها».

جابر: «إيه هي يا عم داوود»؟

داوود: «إنكم مش بتقروا ولو قریتوا مش بتفهموا، ولو فهمتوا، مش تعملوا باللي فهمتوه».

ثم أخرج من جيب سترته الداخلي زجاجة ويسكي صغيرة مستوردة، وقال بعد أن شرب نصفها جرعة واحدة: «يا اخويا يعني إنتم تقدروا تعملوا حاجة؟ ما خلاااص اللي عمل عمل».

لم يفهم جابر مغزى كلام داوود لكنه كان ازداد شغفاً.

جابر: «عملوا إيه بعد كده الملايكة دول يا عم داوود»؟

داوود: «لما حقق عزازيل غرضه والملائكة اتعلقت ببنات الناس، عرض عليهم خطته الجهنمية، قال إنهم هيفهموا عوام الناس إنهم هم الآلهة الخالقين منذ الأزل، وإن اسمهم الأنوناكي، وأنهم عايشين على كوكب اسمه نيبورو، والكوكب به ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من كل شيء، الراحة والمتع والصحة والشباب، وأهم حاجة أن اللي بيروح كوكب نيبورو، بيعيش آلاف السنين؛ لأن اليوم الأرضي هناك ٣٦٠٠ بمقدار سنة، لاختلاف مدار الشمس على كوكب نيبورو، عن مدارها على الأرض، يعني اللي عمره على الأرض خمسين سنة مثلاً، لو عاش على نيبورو إضرب ٣٦٠٠×٥٠ وإن اللي يعبدهم ويطيعهم، هيرسلوه هناك».

وافق النفيليم على خطة عزازيل، وعمَّ الكفر أرجاء الأرض، واتخذت كل منطقة إلهًا من المجموعة وعبدوه، نسروخ بقى الإله مردوخ، بعزبول بقى الإله بعل، وغيرهم من النفيليم، اللي صاروا آلهة عند الناس، واتغيرت الأسماء لنفس الإله حسب اللغات واللهجات على مدى الأماكن والأزمنة، بس نفس القصة، هي هي».

جابر: «وأرض مصر يا عم داوود»؟

داوود: «مصر الوقت تملك عليها ست مؤقتًا، وبرضه كانت الناس بتعبده لأنه من القبيلة الملكية، ومكانش لسة حصل الصلح بينه وبين ابن إخوه الماشيح، اللي بنا عليه هيعملوا التاسوع المقدس، عموماً اصبر وهتفهم».

جابر: «ماشي، يا عم داوود، وبعدين»؟

داوود: «الأرض الوحيدة اللي كان بيعبد فيها الخالق البونت أرض آدم. وزى ما كنت بقولك إنهم كونوا جيش ضخمة بقيادة مهلائيل، في الوقت ده مات آدم، ودفنه ابنه شيث وأبونا ميتاترون، وقينان مرحبًا ابن شيث، وكانت جنازة مهيبة، وبعد الجنازة رفع أبونا ميتاترون إلى مكانه في السماء، ونبي شيث بعد آدم وصار يحكم بلاد البونت بشرع أبيه، وسار جيش مهلائيل، وتسلم مهلائيل كتاب رزائيل ليستخدمه في تصنيع وتجهيز أسلحة متقدمة، وعسكر بالقرب من أرض أور وبني هناك مدينة بابل العظيمة، ومدينة أخرى اسمها السوس الأقصى، في أقصى الأرض على شاطئ بحر الظلمات، اللي هو المحيط الأطلسي دلوقتي يا جابر.. لتدريب الجند وتجهيز الآلات والمعدات الحربية، وحصن المدينتين تحصين شديد.

وأثناء كل هذه الأحداث، تزايدت أعداد الناس في المملكتين، وكان يحصل مناوشات من حين لآخر بين الطرفين، من ناحية مملكة عزازيل رفض فكرة القتال التي عرضها عليه الساقطين وأبنائهم العماليق، وفضل هو ووليث الملكة الأم، الغواية عن القتال، مع إنهم كانوا قادرين على سحق جيش المؤمنين لكثرة، عتادهم وأعدادهم، خاصة كتيبة العماليق، لكن الملك والملكة كانا دوماً يقولان: ما فعلنا الذي فعلناه، لنقتلهم ونجعل منهم شهداء، فيذهبون بأيدينا إلى عدن، وإنما غايتنا إخراج المؤمنين من دينهم حتى لو لم يلتحق بنا. وفعلاً رفضا شن الهجوم. أما مهلائيل، فكان يتحرق شوقاً إلى المعركة، خاصة حينما كان كلما يرى ثلة من جنوده قد سقطوا في بئر الغواية، ولما استبطأ الأمر من الخالق ببدء الحرب، صار يهرع لصلاته متضرعاً إلى الخالق أن ينزل الأمر، متعجلاً إياه. إلى أن جاء يوم واستجاب الخالق لدعائه وأوحى إلى شيث أنه قد أذن لمهلائيل ببدء الجهاد ضد عزازيل وحزبه، وهنا وضع القائد مهلائيل خطته وفعل الآتي: بدأ هجومه من مدينة السوس وليس من بابل كما كان يتوقع الجميع، بما فيهم عزازيل وجنده. وجهز أسطولاً قوياً بشاطئ بحر الظلمات، وأمر عليه ابنه يارد، وبقي هو ببابل الذي زادها تحصينا على حصونها، سار الأسطول بحذا ساحل البحر الوسيط (المتوسط) حتى وصل إلى مدينة قوريناثة (طبرق) وكان بها مجموعات همجية بربرية يطلقون على أنفسهم الليبو، وكانوا على دين قبيلة عزازيل بوداي النيل، ولم يكن ست بن

قايين - حاكم وادي النيل - باسطاً نفوذه على المنطقة دي، لأن أباه (قايين، جت الإله الأعلى للبلاد) أمره بالاهتمام بالزراعة.

لذا فلم يهتم ست بأرض طبرق كونها قاحلة وشحيحة الماء، وهناك نزل يارد مصطحباً معه نصف الجيش بمعداته البرية كاملة، واستولى عليها بسهولة، ثم زحف عبر الصحراء الغربية القاحلة حتى وصل واحة سيخت آم (أرض النخيل سيوة حالياً) ودخلها من ناحية الغرب، واستولى أيضاً عليها بسهولة، عسكر يارد في سيخت آم وحصنها جيداً، وانتظر قدوم أعدائه إليه ولم يذهب هو إليهم، وبالفعل بدأ جند ست يأتون إليه من الشمال والجنوب وحاصروه في سخت آم، وهنا حدث ما أراده يارد بن مهلائيل باجتماع جيوش ست عليه كاملة محاصرة له فاستمر بالمقاومة، حتى وصل الأسطول من الشمال فنزل جند مهلائيل بجزيرتين صغيرتين، اسماهما راكتوس (راقودة) وفاروس (الإسكندرية).

فوجدوا الطريق مهيئاً للزحف لانشغال كل جيوش وادي النيل بحصار يارد بن مهلائيل بالواحة، ففتح البلاد من شمالها نزولاً إلى الجنوب، وما إن شعر به جيش الوادي حتى فك الحصار عن يارد، فقاتلهم الجيش الزاحف من الشمال، وهرب قايين وست للصحراء الحمراء (الصحراء الغربية) ومعه الناجون من الأسرة الملكية.. وتكفل يارد بالجيش الجنوبي حتى أجبرهم على الهروب إلى بلاد البونت، وهناك تلقاهم شيث وقينان - حسب الخطة الموضوعة سلفاً- بجيش صغير من أرض آدم، وأفنؤهم عن بكرة أبيهم، ثم

التقت الجيوش المنتصرة جميعًا، وكمنت في جبال توشريت (سيناء) أرض الجذب والعراء حوريب بعد ذلك.

وما إن وصلت الأخبار إلى الملك عزازيل والملكة ليلث في أور بانكسار حليفهم قايين وأبنائه وانتشار عقيدة آدم التوحيدية في وادي النيل، حتى جن جنونهم وقررا القتال الذي كانوا يرفضونه من قبل، خرج عزازيل بجيش ضخم وترك في أور كتيبة بقيادة شمهازاي، وهنا جاء دور القائد مهلائيل والنصف الثاني من الخطة، التي كانت كالآتي: حينما هاجم جيش عزازيل بابل الحصينة تظاهر مهلائيل بالمفاجأة، وأنه أخذ على غرة، وفتح الحصون وسلم بابل بدون خسائر تذكر، وتظاهر بالفرار عبر النهرين ثم ركب بحر الشروق السفلي (الخليج العربي)، فزاد النصر (المتوهم) الملك عزازيل المغرور غرورًا، وترك حامية على بابل بقيادة نسروخ.

وصار بجيشه الضخم إلى وادي النيل، في ذلك الوقت كان مهلائيل يطوي البحر طيًا، فانعطف من بحر الشروق السفلي إلى بحر إرثرا ثالاسا (البحر الأحمر)، حتى وصل إلى توشريت (سيناء)، وكمّن هناك مع جيوش قينان ويرد وتولى مهلائيل القيادة العامة للجيوش، وما إن وصلت جيوش عزازيل، حتى انقضت عليه جيوش المؤمنين مجتمعة عليه كفكي الرحي، واستعرت الحرب وكان يومًا من أيام الله.

وفوجئ عزازيل بجند مهلائيل يخرجون عليه من البحر الأحمر ويهبطون عليه من أعالي جبال سيناء، وتنشق عنهم السهول

والوديان، وتطاييرت الرقاب والأعضاء، وأثخت كالسيول الدماء، وتنثر الملعونون أشلاء أشلاء، وقبل أن تدنو الشمس من مغربها، ولى عزازيل الأدبار يتبعه البقية الباقية من فلوله المهزومين، وكان جيش مهلائيل في أعقابهم يعيشون فيهم ذبحًا وتقتيلًا، وهنا حدث أمر مهم.

أثناء فرار عزازيل كان الفكر أشد عليه من سيف مهلائيل ورمحه، فأخذ يحدث ليلث: تُرى هل هذا اليوم هو الأجل المعلوم الذي ذكره الخالق، لما طلب منه عزازيل الإنظار ليوم الدين فأجابه **الخالق:** بل إلى أجل معلوم، ولم يصرح إلى يوم يعيشون، كما لم يفصح متى هذا الأجل؟ يا ويلتي ليتني سألت ولم انشغل حينئذٍ بشجرة الحياة، أم ترى أنني سوف أقع أسيرًا مثلما حدث في الحروب الأولى مع الملائكة.. حينما قاتلت في جيش الملك سوميا.

ازداد فزعًا حينما تذكر أن تلك المرة لن ينفع نفاقه وتظاهره بالتوبة وتكثيف العبادة، **أخرجته ليلث من حيرته المقطعة لأحشائه حين قالت:** «سأطير إلى أتباعك من المردة والغيلان بجوف الأرض وسأتيك من عندهم بمدد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه».

راقت الفكرة لليائس عزازيل، فشرعت ليلث أجنحتها النارية متجهة لجوف الأرض والعالم السفلي، وجد قادة المردة والغيلان في عرض ليلث فرصة للانتقام من بني آدم الذي كان خلقه، ومن ثم نزوله إلى الأرض، سببًا لنفيهم من وجه الأرض من قبل الخالق، كي يورثها آدم ويجعله عليها خليفة دونهم.. غير أنهم سيكسبون مرضاة

عزازيل الذي طالما أمدهم بثلل من بنات الناس الحسنات اللاتي تبدو نسائهم عند المقارنة ببنات قابيل كالقرود، حتى أنجبوا منهم نسلًا غفيرًا، فكان بني يأجوج أول نسل تزواج الآدميات مع الغيلان، وكان بني مأجوج أول نسل تزواج الآدميات مع المردة، وبعد قبول أهل جوف الأرض بالمشاركة في القتال، خرج جيشان كبيران من جوف الأرض وقادتهم ليلث متجهين إلى أور وبابل، وعلى أبواب المدينتين التقت جحافل جيوش مهلائيل المنتصرة بجيوش المردة والغيلان التي انضم إليها عزازيل وقلوله.

دقت الطبول وسقطت الجموع من القتلى والجرحى في جيوش المسوخ الكافرة، وأوشك فسطاط الإيمان على الفتح المبين، وهنا فتح نسروخ أبواب بابل للمهزومين، والتجأ جيش الطاغوت المنكسر لبابل المنيعه وغلقوا الأبواب، حاصر مهلائيل مدينته التي بناها وأحكم تحصينها جيدًا، لكن طال الأمر سنوات عدة من المحاولات الفاشلة حتى دب اليأس في أنفس الجند وقالوا: متى نصر الله؟ تضرع مهلائيل في جوف الليل الآخر حتى أتاه أمر الله أن نصر الله قريب، مع بزوغ أول خيوط الفجر، أتاه المدد السماوي، سبعة من رؤساء الملائكة العظام، يقودهم أبونا ميتاترون، الذي كتب اسم الرب الذي لا يتلفظ به أحد على سيف مهلائيل، وهُمْ: ميخائيل وجبرائيل (غبريال)، وروفايل، وسورثيل (سوريال)، وسداكييل وأنائيل، وكان الفتح العظيم والانتصار الساحق والفوز المبين، بقدرة الله وقدره وبأيدي العظام السبعة وأيادي المؤمنين.

فتحت أبواب الحصون بالتكبير والتهليل وكانت الأوامر الإلهية، بعدم الأسر بل الثخن وقطع الرقاب، وهذا ما كان، بعد أن دخل الجيش بابل بقيادة مهلائيل وتحت لوائه أبونا ميتاترون والملائكة السبعة، حتى عاثت السيوف في رقاب رؤوس الكفار وأذناهم والمسوخ، كما يعوث قطع من الذئاب في الغنم المستفزة، حتى فني جيش الغيلان عن بكرة أبيهم ولم يبقَ لهم عقب بعد ذلك. ولما رأى المردة فناء إخوانهم من الغيلان، وأنهم على وشك تلقي نفس المصير لاذوا بالفرار إلى جوف الأرض، ومعهم نفر قليل من الجيش والساقطين.. هنا تيقن عزازيل من الهزيمة فلاذ بالفرار بصحبة ليلث إلى أقصى غرب الأرض في بلاد أتلانتا، فيما وراء بحر الظلمات، أما النيفليم فانبرى فيهم نسروخ (مردوخ، ماروت) خطيئاً وحثهم على التوبة والاستغفار عسى الله أن يقبلهم من جديد.

رفض نابو ابنه دعوة أبيه إلى التوبة. فقط من اتبعه كان هولاً (هاروت) وشمهازاي (سمائيل) وتبعهم من بقي من الثلاث مائة من النيفليم وذرائعهم، وذهبوا إلى أبينا ميتاترون، مستسلمين ونادمين ليشفع لهم عند الخالق، فدعا أبونا ميتاترون كثيراً، ولكن الخالق أجابه بأنه لا أسر ولا استسلام، وليس لهم إلا العذاب، ولكن أبونا ميتاترون لم ييأس من رحمة وظل ستة أيام بلا نوم أو أكل وإنما الصلاة والدعاء والبكاء حتى اخضرت الأرض تحته، وأنبت من طول سجوده وبكائه، فسمي الخضر يومئذٍ.. وأخيراً أشفق عليه الخالق وأوحى إليه أن يخيرهم بين عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة،

قَبْلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ بعذاب الدنيا دون الآخرة، وتردد شمهازاي،
ورفض سطنثيل -الشیطان الذي تمكن بحيلة مأكرة الفرار من بابل
ولحق بإخلاص رهيب بمليكه إلى أثلاتا- وسكت باقي النيفليم،
أما هاروت وماروت فجُعلا في بكرات من حديد في قلب من نار
عاليهما أسافلها إلى يوم الدين.

فلما رأى شمهازاي عذابهما ارتد مرة أخرى، وتمكن من
الفرار، واللاحق بعزازيل وسطنثيل، عند بحر الظلمات.

أما الباقية المتبقية من النيفليم فلم يقووا على فعل ذلك، فقتلوا
بسيوف جند مهلائيل، ومسح الخالق النيفليم الفارين منهم، فصار لهم
رؤوس حيوانات وطيور على أجسامهم، فكان منهم ذوي رأس القطة،
وأبو منجل، وابن أوى، وكلاب وتماسيح وضباع وقرود وغيرها، أما
سطنثيل فمسح برأس عجل وسمي شيطاناً، (مينوتور عند الإغريق)
وأما شمهازاي، فمسح في جسد حصان وسمي قنطور (أوروس).
وأما عزازيل فمسح لرأس تيس وسمي (طاغوت: ساتير بعد
ذلك عند اليونان) كونه تجاوز حده ودعا إلى عبادة نفسه وعبادة
غيره من الملائكة الساقطة.

وفيه شخصيتين كمان يا جابر هيتسخطوا واحد برأس ابن أوى،
والثاني برأس صقر، ويسمى بالجبت أي الساحر الأكبر».

جابر: «مين هما يا عم داوود»؟

داوود: «ما تسبقش الأحداث عشان تفهم، المهم، رفع أبونا ميتاترون إلى السماء مجددًا بعد أن أوصى مهلائيل بزوجه إنانا (إيزيس) التي أسمته أمه حور (حورس). ولقبته بـ (جب) الثاني، الذي هو لقب أبيها مؤسس المملكة والأسرة الملكية؛ آملة بذلك أن تعود لبلادها ويجمع شمل الأسرة تحت حكم ابنها حور (حورس) وريث أبيه أوزيريس (إدريس) في ملك الوادي الخصيب.. وترك أبونا ميتاترون لوريثه حورس، كل علومه السماوية وعلم كتاب رزائل الذي نسخه من شيث، وعلم الغنوص اللدني (البراسيكولوجي) في كتب ضخمة، بأسلوب رمزي ذي شفرة غاية في التعقيد والألغاز، وبنى الأهرامات الثلاثة، رمزًا له ولزوجه وابنه.. ووضع في بنائها كل تلك الأسرار، من خلال المكان والأبعاد والمقاييس وعدد الأحجار وأوزنها ورموز تانية كثير، وجعل تلك الأسرار والعلوم حكرًا لمن استطاع فك تلك الشيفرات نظيرًا لاجتهاده بدون الكتب المدونة مع حورس، التي بها مفاتيح تلك الأسرار.

وبينما هي تتصفح في إحداها إذ وقعت عيناها على كتاب اسمه سفر الأسفار لخلق النور وكشف الأسرار، ووجدت فيه فصلًا بعنوان (شجرة الحياة) مكتوبًا بأسلوب رقمي تكعيبى، أسمته إيزيس مكعب ميتاترون، ولأهمية الكتاب وخطورته، خبأته إيزيس بالتابوت الذي حاول فيه ست قتل زوجها وأسمته تابوت العهد، وأسمت الكتاب علم القبالة نسبة لآل قابيل، وعزمت أن تجعل

ما فيه قاصراً على ابنها حورس الذي سيحكم آل قابيل يوماً ما، فيقودهم إلى ملك العالم بأسره، كما أوصى ميتاترون أيضاً بأخته نيفتيس وابنهما أنبو (أوبيس)، ثم صعد مرحباً مجدداً إلى السماء حتى حين.

وتسلم مهلائيل مقاليد الأمور في بابل وأور وسائر الأقاليم السبعة، وولى ابنه يارد على إقليم وادي النيل، وتسلم كتاب رزائيل، ليكون شرعاً ودستوراً للأقاليم السبع.

جابر: «أيوووه يا جدعان! ده ولا في الأفلام».

ثم هم بجمع شبكته متوسطة الحجم الذي كاد أن ينساها مع سهرة الليل الطويلة في عرض البحر، ولما بدأ بال جذب ابتسم بسعادة طفولية.

جابر: «إيدك معايا يا عم داوود يا بركة، رزقه واسع النهاردة». وفعلاً كانت كمية السمك أكثر من المعتادة، كان أغلبها من نوع البطاطا والشراغيش، وإن كانت لا تخلو من أنواع أخرى مختلفة كثيرة. وأمسك داوود إحداها وهو يسأل (جابر): «اسمها إيه دي يا جابر»؟

جابر: «سلامة الشوف يا عم داوود، ما إنت عارف إنها سمكة موسى»!

داوود: «طيب عارف ليه اسمها كده»؟

جابر: «منكم نستفيد يا عم داوود».

داوود: «لما الرب فلق البحر لموسى، تصادف مرور سرب من السمكة دين وكانت تخينة أوي مش زي كده، بس لما اتزنقت بين الشط اللي اتخلق على سهوة والمية، بقت كده مبطة ولونين، جنب لون بتاع شمس البر، وجنب لون للبحر، فلما فتحوا قناة السويس جت من البحر الأحمر لعندنا، وكرهت هناك».

جابر: «أيوووه ع دماغك المتكلفة يا عم داوود، بحر مالوش أرأر، تستاهل تفطر شوية فول عجب من محمد أحمد، بس اعدى على الحلقة أبيع رزق النهاردة».

عطية الأولياء

دكان الساعات شارع سوق السمك القديم صيف ١٩٧٠ م

بدكانه العتيق، يقف عم داوود الساعاتي بملامحه الوسيمة التي لم تنجح تجاعيد السنين أن تمحوها، يدخل عليه جابر الصياد، على وجهه ملامح سعادة لم يعرفها طيلة سنوات عمره الخمس والعشرين، التي عاشها يرتدي لباس الصيادين الجديد الذي اشتراه من سوق لبيبا خصيصًا لهذا اليوم، يدخل على داوود من باب الدكان الداخلي نازلًا من شقته، يبتسم له **داوود مُرَحَّبًا: «صباح الخير يا جابر يا بني! على فين العزم؟»**

جابر: «مكتب الصحة اكتب الواد».

داوود: «هو فين؟»

جابر: «محروسة فوق بتلبسه تقيل».

داوود: «خدها معاك يا جابر عشان الواد لو عيط ولا حاجة

تتصرف هي».

ينظر جابر إلى داوود نظرة يفهمها الأخير جيداً، ثم يسترسل
جابر: «يعني هي ترضعه يا عم داوود، إيش حال لو مكتتش عارف
الفولة؟»

داوود: «لآخر مرة بقولك يا جابر، حسك عينك حد يعرف».

جابر: «هو أنا مجنون!»

داوود: «تمام يا بني ربنا يصلح حالك، وناويت تسمي الواد
إيه؟»

جابر: «إيه رأيك في عطية؟»

داوود مبتسماً: «إشمعنى عطية؟»

جابر فرحاً: «ده عطية الأولياء يا عم داوود».

داوود كَمَن لا يروق له الاسم: «لا لا الاسم ده بيان حريمي
يا جابر».

فكر جابر في اسم عطية ولا يدري كيف طرأ إلى مخيلته صورة
الشاويش عطية، رغم حبه للشخصية التي كثيراً أضحكته إلا أنه هز
رأسه كمن يطرد الفكرة من رأسه.

داوود: «هحكي لك حكاية لحد محروسة ما تنزل!»

جابر: «يا ريت.. مش بنشبع من كلامك الحلو».

داوود: «كان فيه واحد اسمه سالم بن عبد الله بن عمر، وإنت
طبعا تعرف الفاروق عمر وابنه، أكثر واحد ماشي على سنة نبيكم،
يعني أبوه وجدته من أكبر الصالحين، تمام؟»

جابر: «تمام».

داوود: «وهو كمان مش كان أقل منهم، حتى إنه كان واحد من الفقهاء الخمسة، وفي يوم طلبه السفاح الحجاج بن يوسف الثقفي الوالي الظالم، هو وأبوه عبدالله بن عمر، لما راحوا إليه لقي في مجلسه ناس متجهزة للإعدام، فلما دخلوا على الحجاج ناول سالم السيف وقال له: ادبح الرجل المتكثف ده! لم يهتز سالم للموقف وأخذ السيف وراح ناحية الرجل وسأله: صليت الصبح النهاردة؟ أجاب الرجل: نعم صليت. فاستدار سالم ناحية الوالي السفاح وقال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله»، ولا أجرؤ على قتل رجل في ذمة الله، إذا كان الأمير يجرو فليفعل هو.. وناول الحجاج السيف، ارتعش السفاح وانصرف من المجلس... هنا احتضن عبد الله بن عمر ابنه (سالم) وقال: والله إني سميتك سالمًا لتسلم في مثل هذ المشهد».

لم يعد جابر يندهش كأول زمانه مع داوود حينما يكلمه في أمور تتعلق بالدين الإسلامي من كثرة ما حدثه عن الأديان السماوية وغيرها، بل وحفظه لها عن ظهر قلب وتفسيره الخاص لها، بل إنه يفوق الشيخ فضل نفسه.. **أفاق جابر من شروده على صوت عم داوود:** «فهمت الحديث يا جابر ولا حمار زي كل مرة؟»

جابر ضاحكًا: «زي كل مرة».

داوود: «الحديث بيقولك تختار اسم كويس لابنك عشان الواد ياخذ منه.. مثلاً لو سميته كريم يطلع الواد يحب الكرم، أو عادل فيحب العدل، فهمت يا جابر؟»

جابر: «فهمت يا عم داوود».

داوود: «ها! هتسمي إيه؟»

جابر وهو يحك رأسه أسفل طاقيته: «هسميه ولي الله، عشان يطلع مبروك زي الأولياء»

داوود يضرب كفيه ببعضهما: «اعمل اللي إنت عاوزه يا جابر».

في تلك الأثناء تدخل عليهما محروسة زوجة جابر بملاءتها اللف السوداء، وعلى رأسها إشارب ذو ألوان مبهجة ودلايات معدنية (بوقية) تحمل على ذراعيها طفلاً نائماً بهدوء الملائكة، لا يشارك ملامح أبويه في شيء، بل العكس هو الصحيح، كان أبيض البشرة، مشرب بحمرة على خديه، له شعر أحمر وهَّاج، وكذلك الحاجبان مع عينين زرقاويتن بلون سماء يوليوا الصافية والخالية من السحب. كانت قد سمعت أواخر كلامهما حول الاسم، فشاركتهما الحوار فوراً استغلالاً للفرصة، معتصدة بالعم داوود التي تعرف قدره عند زوجها جيداً.

محروسة: «يسعد صباحك يا خواجه».

داوود: «إزيك يا محروسة.. مبروك ما جالك».

محروسة: «الله يبارك فيك، والنبي تعقله يا خواجه وتخليه يسمي أي اسم حلو وبلاش عطية ده».

جابر: «خلاص مش هسمي عطية».

سكت جابر دقيقة، استبشرت فيها محروسة خيراً إلى أن تكلم.

جابر: «هسمي الواد ولي الله».

محروسة: ولي إيه يا راجل؟

وربتت برفق على صدر جابر: «أنا سامعة الخواجة بيحكى لك عن سيدنا عمر، ما تيجي يا خويا نسميه عمر، وهو عمر ولي برضه من الأولياء».

واستدارت نحو داوود: «ألا مش سيدنا عمر ولي برضه من الأولياء يا خواجة؟»

لم يجب داوود على سؤالها وإنما قال: «كلنا ممكن نكون أولياء يا محروسة، ربنا هو بس المطلع على القلوب وعارف هيتختم لينا بإيه».

فهمت محروسة أن داوود أجاب بنعم على سؤالها عن الفاروق، فقالت بعدما استصدرت صكا بالولاية لفاروق الأمة ولثاني الخلفاء الراشدين من عم داوود، الذي يعرف كل شيء.

محروسة: «شفت يا جابر! أهو عمر أهو طلع ولي أهو.. يبقى نسمي الواد عمر».

جابر متسائلاً بشغف: «هو عمر فعلاً ولي يا عم داوود؟ طب كراماته إيه؟ وفين مقامه يا عم داوود؟»

داوود: «يا بني متبقاش سئيل كده، ويا لا روح مكتب الصحة». شعر جابر بحرج أمام زوجته التي كان يحدثها بأحاديث العم داوود ويتعالى عليها.

جابر: «سئيل!! الله يسامحك يا عم داوود».

لم يشأ داوود أن يُخزَن (جابر)، ويفسد فرحته بيومه هذا، فاستطرد وهو يخرج جنيتها من جيبه، نقطة المولود غير متوقع أبدًا من داوود المشهور بالبخل: «سئِل دي حاجة حلوة يا جابر».

جابر: «إزاي»؟

داوود: «هو لما حد يكون غاوي أكل بنسميه إيه»؟

أجابت محروسة بلا تردد: «طفس»!

اتسعت ضحكة داوود وعقب: «لا بنسميه أكيل، صح»؟

أجاب الزوجان معًا: «صح».

داوود: «أهو سئِل زي أكيل يعني كثير السؤال، وده شيء كويس، ألم يقل نبيكم: إنما شفاء العي السؤال».

الزوجان: ﴿﴾.

جابر: «يعني إيه العي»؟

داوود: «يعني الجهل يا أبو جهل».

ضحك ثلاثتهم حتى قالت محروسة، وهي تضع الجنه في

صدرها، موجهة سؤالها لزوجها: خلاص استبيننا على عمر»؟

جابر: «اسمه ولي الله إن شاء الله».

تدخل داوود سريعًا ليفض النزاع المتوقع، فهو يعرف عصبية جابر رغم طيبته المفرطة، كما أنه يعرف عناد محروسة التي طالما استكثرت نفسها على جابر، كونها من عائلة معروفة، وجابر مقطوع من شجرة على حد تعبيرها.

داوود: «بلاش دوشة خلاص، سيبه يسمي اللي هو عاوزه..
وناديه إنتي بالاسم اللي إنتي عاوزاه يا بنتي».

محروسة: «طب والنبي كنت عارفة إنك هتنصره عليا، ما هو
زميل إزازة»، وخرجت وهي تتمم بكلمات لم يسمعها.

جابر: «بتبرطمي بتقولي إيه يا بت دين ال...»؟

قاطعہ داوود: «بس يا وله يا جابر واحترم وقفتي عيب».

جابر: «حقك علينا يا عم داوود، متزعلش من بت الهبله
دي، راسك نبوسها». وَهَمَّ بتقبيل رأسه فمنعه داوود، فاستطرد
جابر: «طب وسيدي ياقوت ما هسمي إلا ولي الله، وتضرب نفسها
بالمنتوفلي».

داوود: «سمي يا جابر اللي تسميه، المهم إنك مبسوط وده أهم
شيء».

كان داوود يكذب، فهو لم يهتم بالاسم لأهمية جابر لديه، بل
لأنه يعرف أن اسم الولد سيكون اسمًا مؤقتًا، طالت المدة أو قصرت.
في المساء كانت نسوة الحارة وأطفالهن في شقة جابر العلوية
من أجل عمل سبوع ولي الله، وقد أحضرن كل اللوازم، ووضعت
سعدية المولود في المنخل (غربال) مصحوبًا بالسبع حبات من
البقوليات، وحلوى الطوفي والورد البلدي، ثم وضعته على الأرض
وأخذت تدق الهون بنغمة السبوع المبهجة والمزعجة بذات الوقت،
وتصيح بدلال جميل:

اسمع كلام أمك.. ما تسمعش كلام أبوك

كان صوتها يكاد ألا يتبين من أصوات النساء حولها، واللواتي يقلن عكس بخلاف ما تقول.

أم محروسة: «سمع كلام ستك، وما تسمعش كلام سيدك».

أخت محروسة: «اسمع كلام خالتك ومتسمعش كلام أمك».

ثم تدوي ضحكات بنات بحري بسبب وبلا سبب.

ثم وضعت سعدية المنخل على الأرض، وبدأت العد مع خطوات محروسة من فوق المنخل، الذي يرقد فيه الطفل بهدوء غريب، فقط ينظر إليهم، وإن تعجب، فهو لم يبكِ ولو لحظة.

سعدية: «الأوّل بسم الله.. والثانية بسم الله.. والثالثة بسم الله..

والرابعة بسم الله.. والخامسة بسم الله.. والستة بسم الله.. والسابعة رقيتك بالصلاة على محمد بن عبد الله».

ثم وضعت المنخل على الطبلية، وتحلقوا حولها والأطفال

تحمل الشموع الملونة وبدأن بالغناء:

صلي عليه صلي عليه.. أمه تعبت ياما فيه

صلي عليه صلي عليه.. ابن الباشا وجدو البيه

حتى غلب على سميرة طبع الفكاهة الريفية فزادت: «أمك

ولدت في الكبانية»، فضحك من جديد، ورفعت محروسة المولود من المنخل إيداناً ببدء هجوم الأطفال على الطوفي، وانتهت توحة من إعداد مشروب المغات الذي يصنع للوالدة حديثاً، بما فيه من مكونات غذائية - كما يعتقد الكثير - تساعد الوالدة حديثاً على

استرداد صحتها من أثر الولادة. ثم نادى لمحروسة بتجهيز الصواني والأكواب، وناولت محروسة إيطاليا الصواني وهي تدعو لها.
محروسة: «عقبال عوضك يا إيطاليا ويخلف عليكى».
إيطاليا: «والنبي يا أبلتي تخليى الشيخ جابر يدعى لي بالعوض».

محروسة: «معلش يا حبيبتى متزعليش نفسك! طلعي الكوبيات للرجالة ع السطوح وخدي البت سميرة معاكى».
دارت أكواب المغات على رجال الحارة الذين يستمعون لتواشيح الشيخ فضل، الذي أخذ كوبه من إيطاليا وبعد أن تأكد من أنه مصنوع بالسمن البلدى قال: «عقبال عوضك يا إيطاليا»، ثم أخفض من صوته تمامًا، وهمس: إيه؟ حمولة مش عارف برضه؟

إيطاليا: «لسة يا مولانا».

فضل: «يعني العسل اللي قريت له عليه معملش حاجة برضه؟»
إيطاليا: «لأ ما فيش فايده».

فضل: «خليها على الله، أنا هتصرف».

ثم أخذ كوبه من المغات، وجلس على الكرسي الشاغر بين جابر ومرسى، والمقابل لداوود.

فضل: «بكرة إن شاء الله تجيب لنا الوله نطهره يا شيخ جابر».
جابر: «إن شاء الله يا سيدنا».

نظر داوود بتقزز من طرف عينيه لفضل ولم يعلق بكلمة.

مرسي: «يا عم خليك في مستوصف ابن خلدون.. الحكماء هناك أنصف، لا مؤاخذه يعني قصدي الدم والجامع يا مولانا».

فضل: «نضافة إيه بس يا معلم، هما الحكماء بتوع اليومين دول يعرفوا يعملوا اللي إحنا بنعمله! وبعدين لوع الدم، ما هو طول عمرنا بنحط الواد في الطشت وبنخلص».

مرسي: «خلاص اللي تشوفه يا مولانا».

طفح الكيل بداوود، فقال منفعلًا: «إيه اللي بتقوله ده يا شيخ

فضل»؟

قاطعه فضل: «وانت إيش دخلك إنت يا خواجه! دي لا مؤاخذه حاجات في ديننا يا خواجه».

لم يكن الجاهل يعلم أن إبراهيم الخليل أبو الأنبياء أول من اختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم، وأن بني إسرائيل تعظم الختان وتعدده الميثاق بين العبد وربّه.

داوود: «إنت يا جدع إنت راكب في أي مصلحة؟ بنا ومناول».

مرسي: «مالهوش لزمة الكلام ده يا خواجه، إحنا قاعدين برضه، ما يصحش كده».

جابر: «صلوا بينا ع النبي يا أخونا».

فضل: «لا حصل، وأنا صاحب حق ومش هتكلم عشان خاطر قعدة المعلم مرسي».

قام داوود واقفًا: «طب إيه رأيك هيفضل الوله على حاله، ومش هيطاهر من أساسه».

فضل: «أعوذ بالله من غضب الله، وإنت مين إنت عشان تحكم عليه، يكونش ابنك مش ابن الشيخ جابر؟»
ازداد انفعال داوود: «طب عليا الحرام ما هو مطاهري يا فضل».
جابر: «خلاص يا عم داوود محصلش حاجة لكل ده».
مرسي: «خد الشيخ فضل يا جابر وانزلوا أقرأوا الفاتحة لسيدي يا قوت عشان يهدى شوية».

داوود: «لا فاتحة ولا غامقة، أنا اللي نازل».
أراد فضل أن يفجر الموقف بتحريض مرسي على كلمة داوود:
«عجبك الكفر ده يا معلم؟ فأشار له مرسي بالسكوت.
ونزل داوود وعلى السلم كان جابر يسترضيه.

داوود: «ولا عارف له شغلانة، ابن فردة المنتوفي ده مداح ولا كودية زار ولا معددة؟ حبة حبة وهيشغل داية».
وكعادة جابر وداوود سوياً دوماً ما تنتهي قمة انفعالاتهم الغاضبة أو حتى الحزينة بنوبة ضحك، فما إن سمع جابر وتخيل فضلاً كودية زار حتى انفجر ضاحكاً، فأضحك معه داوود الغاضب.

داوود: «عكرني ابن الجزمة.. بس معلش يا جابر يا بني مترعلش! اطلع إنت شوف ضيوفك وأنا هدخل أنا»؟
جابر: «تنام مين يا عمنا ده أنا عازمك على طاجن ترسة وشوية ملوخية بالجمبري هنخليك تنور في الضلمة، وتكملي حكاويك، اللي وحشتني».

داوود: «طيب اطلع شوف ضيوفك وهنستاك في الدكان».
جابر: «استبيننا».

المحفل الأول

ودع جابر مهنئيه بسبوع ابنه، ولم ينس أن يقدم أحر الاعتذارات
لشيخه فضل والمعلم مرسي والحضور، ثم نزل إلى دكان الساعات،
واصطحب داوود إلى مطعم الحاج قدورة لتناول طاجن الترسة
الموصى عليه سلفاً.

تناولا عشاءهما وذهبا إلى الخمارة، فلمحا حمو جالساً على
إحدى المناضد يشرب وعليه آثار الحزن، وقد أوكل مهام الخمارة
لمساعديه، فجلسا على منضدته مواسيين له.

داوود: «معلش يا حمو يا بني ربنا يعوض عليك»!

جابر: «كله قسمة ونصيب يا حمو».

حمو: «هنقول إيه بس؟ الحمد لله.. بالك يا خواجه لو سقطت
في الأول مكنتش هبقى كده، أني بس اللي حازز نفسي تي إن العيل
نزل ميت بعد ما اتعشمتنا تسعة تشهر».

داوود: «يا وله إنت وايطاليا لسة عيال والعمر قدامكم بدري،
بكرة تخلفوا عيل واتنين».

حمو: «منين بس يا خواجة».

جابر: «فيه إيه يا حمو! إنت معلول ولا تكونش مربوط؟»

قطع داوود الحوار سريعًا قبل تطوره وقال: «قوم بس إنت
وبطل فكر وشوف شغلك، خلي الدنيا تلهيك».

حمو: «على قولك يا خواجة، واللي في علمه يتمه».

وانصرف نحو البار، وهو يردد: «صحيح اللي ما يعرفش يقول

عدس».

جابر: «يا سبحان الله، مش ده اللي كان بيحلف أيمانات
المسلمين إنه ما لمسها وتنكر للي في بطنها!»

داوود: «متشغلش بالك يا جابر».

وأراد داوود أن ينشغل جابر عن موضوع إجهاض إيطاليا كي لا
يرتبط في ذهنه بمجيء ولي الله حسب سرهما المشترك.

داوود: «عارف أصل حكاية مثل العدس ده؟»

جابر: «لا».

داوود: «مرة كان فلاح عجوز ومتجوز واحدة عيلة، والبت

مرافقة شاب من دورها، صاحبها كان بيخلص معاها في الجرن، لحد
ما يوم الفلاح قفشهم، وفضل يضرب في الوله لحد ما جري مدغدغ
في العزة والفلاح وراه، والناس تسأله يقولهم كان يسرق عدس

من الجرن.. فضلت الناس تقول كل ده عشان حبة العدس ويلومون الفلاح، يرد الفلاح يقول، ما هو اللي ميعرفش يقول عدس».

ضحك جابر كثيرًا ثم قال: «لا إنت كده بتخم وتهتسبها عليا حكاية، والترسة والملوخية بالجمبري، لسة ما بردتش، كملي حكاية مهلائيل يا عمنّا».

قال داوود: «بعد ما خلصت الحرب وحصل اللي حصل، ذهبت إيزيس لمهلائيل مرات تطالبه بعرش الوادي لابنها حورس، رفض مهلائيل؛ لأن ابنه القائد يارد كان واليًا عليها منذ أن فتحها، ولا يرى مصلحة في عزله، خاصة حين علم أن عزازيل وليث ومساعديه سطانيل وشمهازي، كونوا حضارة قوية في أثلاثا في الغرب (ألمايا وألانكا والأزتيك) وإنهم قد تمكنوا من تحويل المعادن البخيسة إلى ذهب خالص، وبذلك قد يتمكنون من شراء النفوس الضعيفة من أهل وادي النيل؛ ليقوموا بثورة، ومن ثم قد يغزون الوادي.

اضمرت إيزيس في نفسها الغضب ولم تبده له، مرت السنون ولم يغزُ عزازيل الوادي، فقد قدر نفسه قدرها، وعلم أنه لا يفقه فنون الحرب وخططها، وإنما يجيد فن الغواية والإغواء، وهذا ما فعله على أرض الواقع.. فقد ظل عزازيل بأهل الوادي من المؤمنين حتى ارتدوا على أعقابهم وانقلبوا على يارد بن مهلائيل، وعاد قايين وست ومن فر معهم للصحراء إلى الوادي مجددًا كآلهة، كما توج ست على ملك الوادي من جديد، وسُمِّي عزازيل رع للمرة الأولى، وصار معبود المصريين الرسمي.

لم تطق إيزيس -التي هي إينانا، وإيشتار، وإيستهار، وكلها أسماء لشخصية تاريخية واحدة، ويختصرها اليهود بأستير- لم تطق صبرًا بعدما علاست ملك الوادي الذي هو حق أصيل لحورس ابنها، صحبت إيزيس ابنها حورس، وأختها نيفتيس وابنها من أوزيريس أنوبيس، إلى مصر رغم معارضة مهلائيل.

وهناك قابلهم ست بجفاء شديد ونكران، ولولا شفاعاة الأب قايين والأسرة لكان قتلهم، ورغم الحالة التي خرجت بها إيزيس من مجلسه، وقتها أتاها عزازيل مصاحبًا معه مساعدته الثاني شمشازاي، وعرض عليها عرضًا سخياً؛ كان العرض ينص على أنه يساعدها على اعتلاء حورس عرش الوادي، مقابل تسليمه تابوت العهد والإقرار به إله. رفضت إيزيس العرض رغم محاولات نيفتيس بإقناعها.. وكانت نيفتيس ضعيفة الإيمان فنجح عزازيل في كسبها لصفه سرًا، وفرت هي وأختها وابنيهما إلى أحراش النيل، ومن هناك استطاع حورس استقطاب مجموعة من بقايا المؤمنين بدين إدريس، وشكل كتيبة وبدأ حرب عصابات على جند ست، وطالت الحرب لسنوات بلا منتصر أو مهزوم، إلى أن طالبت نيفتيس من الأسرة -بإيعاز من عزازيل- بالتحكيم وقبول هدنة، ووافقت إيزيس على مفض.

بعد سنوات من الشد والجذب والحكم لحورس مرة ول (ست) مرة والاستئنافات الكثيرة، قضت المحكمة أخيرًا بأحقية حورس بملك الوادي، وهو الأمر الذي رفضه ست رفضًا قاطعًا، وعارض فيه حكم المحكمة المكونة من كبار الأسرة، بل وقاد حملة كبيرة على

الأحراش، قضى فيها على أغلب أتباع حورس، وفي تلك المعركة فقد حورس عينه اليسرى، وكاد أن يهلك لولا إنقاذ أنوبيس أخوه لأبيه وتابعه المخلص له، وأتى عزازيل لإيزيس مصطحباً معه شمهازاي للمرة الثانية عارضاً المفاوضات، وكان شمهازاي قد شغف حباً بإيزيس منذ اللقاء الأول.

عزازيل: لو وافقتي على العرض من المرة الأولى ما فقد ابنك عينه. وبحسرة قال: وما قُتل من جيشه من قتل على الإيمان.

إيزيس: عندي شروط إن قبلتها قبلت عرضك.

عزازيل: ما هي؟

إيزيس: أولاً، لن نوقع حتى يتسلم حورس الحكم ويتوج ملكاً. وافق عزازيل على الفور، فهو يعلم ضعف ست أمامه، كما أنه هو من أتى به طريداً من الصحراء وجعله ملكاً

عزازيل: حسناً هذا الأول، والثاني؟

نظرت ملياً بعيني عزازيل الوسيمة (وليس كما يعتقد الكثيرون بقبحهما)

إيزيس: ليس ثمة تسليم للتأبوت.. فهو حق لحورس وإرث أبيه وليس لأحد حق فيه سواه حتى أنا.

نظر عزازيل للشابين الجالسين -أنوبيس وحورس- فرأى في عين الأخير تردداً ولقمة سائغة رغم قوله: الرأي ما قالت به أُمي.

حاول شمهازاي -المحب الصامت لإيزيس- إثناءها عن ذاك
الشرط دون جدوى، أصر عزازيل على تسليمه تابوت العهد ثم قام
وهو يقول: حسنًا فلتهيئي نفسك للحداد على وحيدك بأيدي ست.
وقع الرعب بقلب إيزيس، لكنها لم تبد ذلك لأي من الحضور،
في الطريق إلى أتلانتا سأل شمهازاي عزازيل: لمَ كل هذا الإصرار
على تحويل إيزيس وابنها لدينا؟

انفعل عزازيل عليه قائلاً: أيها الغبي الأحمق، ألا تدري مدى
أهمية كتب ألد أعدائي إدريس؟ خاصة إن انتزعتها من ابنه الوحيد
وحامل لوائه من بعده، وجعلتهم من الكافرين بدينه.

ثم لمعت عينا عزازيل: وحق النار، لأجعلنه رأساً في ديني،
ولأسلبه كتب التابوت ولأعملن بما فيها بضد ما كتبت لأجله.

وما إن وصلا أتلانتا حتى عقد اجتماعاً حضره رؤوس الكفر
الأربعة بأتلانتا: عزازيل ولييث وشمهازاي وسطائيل.

ليث: الرأي أن توافق على شرطي إينانا.

عزازيل: كيف؟ والتابوت؟

ليث: إينانا هي حجر العثرة وقد دنى أجلها، حينئذ سيكون
حورس لقمة سائغة سهلة البلع، هو والتابوت.

شمهازاي: مولاتي ما لنا وأجلها! وليس لنا به سبيل إلا إذا
قصدي قتلها؟

تكلم سطانئيل (كبير الشياطين) وذراع عزازيل اليمنى، ردًا على شمهازاي، ولكن دون أن يلتفت له، بل وجه الكلام نحو مولاه عزازيل.

سطانئيل: سيدي جاءني الأخبار من أور أن نوح بن لامك بن متشولح قد نبئ، وأنه يبشر بطوفان سيعم الأرض بالغرق، لذا دبرت الأمر مع مولاتي ليلث وانتهينا من كل تفاصيل العقد أثناء غيابك، وأرجو من جلالتكم أن ترسل في طلب إينانا وابنها، لتوقيع العقد، ريثما نشرح لكم تفاصيل العقد، وكلّي ثقة بأنه سينال رضا فخامتكم.

سُرّ وجه عزازيل من كلام سطانئيل المخلص الأمين له على الدوام، وشرع في طلب إينانا، فوجئ الحضور بشمهازاي يقول:
هل لنا أن نضيف على العقد شرطًا آخر.

رد الجمع الملعون بذات الوقت معًا: ما هو؟

أجاب شمهازاي بهدوء غير مناسب لمجلس الشر: أن أتزوجها.
اكتفى سطانئيل بنظرات شرر لو نظرت لغير شمهازاي لأحرقته، وصعق عزازيل من شرط مساعده الثاني، وقبل أن يتفوه أسكتته ضحكة من ليلث وهي تقول: سيكون هذا شرطنا الأول عزيزي شمهازاي.

حضرت إيزيس وابنها حورس ونيفتيس وابنها من إدريس أنوبيس، ودار جدل ونقاش حُسم أخيرا بمفاجأة كبرى: أخرجت ليلث الربع المتبقي من ثمرة الحياة».

داوود: «فاكرها يا وله يا جابر»؟

جابر: «أيوووووه يا جدعان! فاكرها طبعاً أمال إيه.. الحتة اللي خبتها لما خدت نص الثمرة مهر ليها، يوم جوازها من عزازيل.. صح يا عم داوود»؟

داوود: «عفارم عليك يا جابر».

جابر: «وبعدين يا عم داوود».

داوود: «خلص الاتفاق على الآتي، الموافقة على شرطي إيزيس مقابل الآتي:

- سجد حورس، وأمه، ونفتيس وابنها إنبو، للملكين ليلث وعزازيل والإقرار لهما بالألوهية.
- تتنازل ليلث لحورس بن أوزيريس بن جب، بن سمائل (شمهازي) عن آخر أجزاء ثمرة الحياة، مما سيمنحه الحياة حتى آخر الزمان.
- يتولى حورس ملك الوادي بلا قتال، وعلى عزازيل أن يضمن ذلك، وحماية حورس من ست وجيشه، وجيوش الشرق في بابل وأور.
- يسمى الوادي بأرض جبّت، وعلى حورس أن يدعو إلى عبادة الشمس، فيكون الدين الرسمي للبلاد، وعلى حورس إنشاء المعابد بطول البلاد وعرضها.. وإنشاء مدينة خاصة للدين الجديد.

- يُسر شمهازاي بالسر الأعظم إلى إيزيس، وهو اسم الخالق الذي لا يلفظ.. والذي به يصعد إلى السماء، ويعلم السحر الكامل، ثم يعلن زواجهما زواجًا ملكيًا.
- يعلن مجلسًا من تاسوعا مقدسًا للآلهة ليجمع شمل كل المتخاصمين والمكون من الآتي حسب الترتيب:

١. رع عزازيل، أتوم إله الشمس وخالق الأرض.
٢. جب، قايين إله الأرض.
٣. نوت، ليليتو، ليلث الأم ربة السماء.
٤. شو، شمهازاي - سمائل المنسوب له قايين من حواء - إله الهواء.
٥. تفنوت، إقليما الأم ربة الشمس والقمر (إيزيس وأوزيريس).

٦. ست، إله الظلام والصحراء.
٧. إيزيس، إلهة القمر وربة السحر (السر التي تلقتة من زوجها شمهازاي).

٨. أوزيريس، إله وحاكم مملكة الموتى.

٩. نيفتيس، إلهة وربة المنزل المقدس.

هذا وبعد أن أقسم الآباء والإخوة الحضور القسم الرهيب، قسم شهب النار الأبوية وأشعة الشمس الأم أصل النور الأسمى الابن، والذي كان منهما نور (حورس) فهو من شمس مقدسة (إيزيس) لنار هي قدس الأقداس (عزازيل).

هذا وقد بارك الحضور ملك العالم الجديد ببصمة دم، ومسح حورس بزيت الزيتون على جبينه ناصع النور، وتسميته الماشيح، ملك ملوك العالم والعهد الجديد.. وابن حامل لواء نور العلوم، والأمين على تابوت العهد والعلم.. وحفيد حامل لواء النور، وممثله على الأرض، على أن يصنع تماثيل ضخمة في أنحاء الأرض تخليدًا لوالده المرفوع لأعلى، الأب الحي ميتاترون، ويسمى بأبي حور (أبو الهول) رأس إنسان رمزًا للحكمة والعلوم، وجسم أسد رمزًا للقوة^(١).

وعليه فقد تم تدشين أخوية مقدسة أبدية تحت اسم أخوية العين، تضامنًا مع الماشيح حور الذي فقد عينه اليسرى، في سبيل استعادة ملكه المغصوب، على أن تؤسس الأخوية لنظام عالمي جديد -عالم ما بعد طوفان نوح بن لامك- وبذل الجهد في إنشاء عالم ذي مبادئ غاية في الكمال، والتنصل من أي معوق من شأنه أن يكبل الإنسان ويقيّد روحه، ويحول بينها وبين السمو والارتقاء للغاية النبيلة: ألا وهي التوحد مع النور الأسمى نور الآلهة التسعة، الممثلة في كل صور الطبيعة الأم.. التي منها وبها خلقت الروح، وفيها وإليها تعود مجددًا المرة تلو الأخرى.

فمن أطاع وارتقى رقيّ ونال خير المنازل وحياة الكمال، وصار أخًا لنا وشاركنا الغنم والمنال، ومن عصا وأبى فإن مصيره إلى الفناء يوم يطهر الماشيح الأرض من الغرباء إلا من كان لنا أخ وعمل للارتقاء.

(١) زيد عليه في ثقافات أخرى جناحين رمزًا للعلو.

وبناء على ما سبق يعد هذا المحفل هو المحفل الأول لأخوية العين المقدسة والنور الأسمى للعالم، على أن يعقد مجلسًا لاحقًا للتشاور وتأسيس هيكلًا تنظيميًا هرميًا، للعمل والتبشير بشريعة عزازيل الموصلة لحكم الماشيح والنظام العالمي الجديد والعهد الألفي السعيد، وبناءً على ما سبق، قرر الحضور رسم الماشيح والنور الأسمى حورا ملكًا للحياة الأبدية ورئيسًا تنفيذيًا للأخوية، **يعاونه كل من:**

- سطانئيل، كبير الشياطين كونه مستشارًا ذا قرارات ملزمة لشؤون الدنيا.
- أنبو - أنوبيس - كونه مستشارًا ذا قرارات ملزمة لشؤون مخالفة القوانين، وكاتمًا لأسرار الأخوية ومراقبًا للأعضاء المحتملين المنضمين من غير ذوي الأصول الملكية وحاجبًا لبوابة الإله أوزيريس.



قال داوود: «وما إن تم التوقيع على العقد، فإذا بـ (أنوبيس) وقد تحول رأسه لحيوان ابن آوى، وحوّر لرأس صقر أعور، فتشكل بفعل ثمرة الحياة وسحر أمه لصورة بشرية حسنة، إلا أنه آخر الزمان وحين يجاهر بالوهيته سيظهر عوره جليًا العيان. وأما ما كان من إيزيس فإنها ظلت ممتنعة عن شمهازاي، وفاءً لزوجها السابق أوزيريس وأبو ابنها الملك حورس، وقررت البحث عنه في السماء، فاصطنعت الحيلة وأتت إلى زوجها شمهازاي وقد تربنت

وتعرت، فبدت في أروع ما تكون عليه امرأة من إثارة وفتنة، فلما رآها شمهازاي العاشق لها منذ أن رآها ببابل على تلك الهيئة، سلبته لبه وملكت قلبه الولهان، وبلغت به الإثارة أن شقت أعضائه ثيابه، فلما راودها عن نفسها أبت إلا أن يكتب على بطنها العاري بالاسم الأعظم الذي لا يتلفظ.. والذي به يصعد إلى السماء، بأيدي مرتعشة وصدر تتصارع فيه أنفاسه كتب الاسم، وما إن أتم الكتابة حتى لفظته إيزيس.. فإذا هي في عنان السماء، فكدت بحثاً عن زوجها وحببها أوزريس، حتى رأت كوكب الزهرة أبيض منيراً، ذهبت إليه أملاً في العثور عليه ولتستريح.. ضجت الملائكة من صعود إيزيس إلى الزهرة وبثوا الشكوى للرب، الذي قال: إنها وإن أخطأت إلا إنها عصمت نفسها وفاءً لميتاترون، وما صعدت إلا بحثاً عنه، وكما ملكناه عطارده ملكنا زوجه الزهرة.

ومن هنا تم وضعها في برج الثور، الذي يضم ستة نجوم ساطعة وواحدة لا ترى بالعين المجردة، واشتكى شمهازاي لليليث وقص عليها ما فعلته إيزيس به وخداعها له، غضبت كونها أفست خطتها: أي بتملك الكتب بعد موتها، ونالت الإنظار مع ابنها بعلمها للاسم الذي لا يلفظ، فكادت لها مكيدة وهي أن صنعت لها إكسيرا من عصائر حلوة السكر ووضعت فيه من سائلها الأنثوي الشبق، وأوصت شمهازاي أن يسقى إيزيس من الإكسير.

وبالفعل احتال شمهازاي حتى شربت إيزيس عن طريق الحيلة من الإكسير، فلما ذاقته صارت روحاً شبقة لا تحيا إلا بماء الرجال، وهاجرت إلى بابل وأقامت هناك، وتسمت هناك بأسماء

عدة، واشتهرت بعاهرة بابل، أو أم الزواني لأنها المرأة التي زنت مع ملوك الأقاليم السبعة، لكنها لم تنسَ أبدًا ما حدث ولم تكف عن الفعل يومًا، بل ما حدث هو العكس.. خاصة أنها عاشت حياتها مجهولة على أرض غريبة، وليست كحالتها في بلادها، أميرة مكبلة بالبرتوكولات المقيدة لحالتها الشقية الحادة، وإنما عاشت بـ (أور) وبابل، كغانية حسناء اشتهرت بأنها لا تبالي بكم سيدفع لها، وإنما الأهم عندها بكيف سيؤدى بها.

قطع كلام داوود صوت جابر النصف سكران: «المحتاجة تعمل أي حاجة».

داوود: «طب يالا بينا يا بن المحتاجة نروح».

ضحك جابر وهو يرجو داوود مزيدًا من القصص.

داوود: «كفاية كده عشان لو دخلت على محروسة بتطوح هتناولك بأبو وردة».

تذكر جابر محروسة فقال: «دي غلبانة وحنينة» ثم ابتسم

وقال: «ولا أقولك، يالا بينا أنا كمان عاوز اروح».

نعمة والطوفان

عصر يوم من أيام الحارة ١٩٧٦م

استيقظ جابر على أصوات هرج شديد بالحارة، مع رج شديد من محروسة للإسراع من عملية الاستيقاظ الحتمية.

محروسة: «قوم يا جابر شوف لنا النصيبة دي»!

عجب جابر من قولها لنا، وسأل نفسه: أمن الممكن أن يصل الفضول بصاحبه أن يجعل من نفسه شريكاً في أمر لا يخصه أم أن سبب الهرج فعل لشيء يتعلق بهما مما جعله يقفز من السرير قفزاً؟

جابر: «إيه يا بت فيه إيه»؟

محروسة: «الشيخ فضل نازل من بيت المعلم مرسي وهو بيجري باللباس».

هرول جابر نازلاً درج البيت إلى الشارع ووجد داوود جالساً في دكانه بهدوئه المعتاد غير مكترث بالهرج الشديد في الشارع.

جابر: «فيه إيه يا عم داوود إيه اللي بيحصل»؟

داوود: «مرسي قفش مولاك مع البت سميرة».

جابر: «مش ممكن! يمكن فيه حاجة غلط»!

داوود: «روح شوف بنفسك».

اتجه جابر نحو جمهرة مجتمعين على مرسي وفضل، ويتدافعون ذاتياً والجميع يتحدث بذات الوقت فلا تستوعب جملة مفيدة.

ما إن وصل جابر للحشد وهو يصرخ: «أوعى يا جدع وسع».

فإذا بمرسي يهوي بنبوته الغليظ على رأس فضل، الذي سقط على الأرض صريعاً مدرجاً في دمائه، وانهاه صراخ محروسة وسعدية من خلف الشبايك، تبعتهما صراخات نسوة الحارة، بينما علت صيحات الرجال في الشارع: «حد يلحقنا بشوية بن يا جدعان، الإسعاف، يا حكووومة»!

بكل هدوء اتصل داوود من هاتف الحارة الوحيد والموجود في مكانه بالإسعاف، والتي وصلت بعد أن مات فضل في مكانه، وسرعان ما عمت الشرطة أرجاء الحارة، عاد جابر حزيناً إلى الدكان بملابسه وقد لطخت بالدماء.

داوود: «الباقية في حياتك يا جابر»!

جابر: «في حياتك الباقية، شفت الدنيا يا عم داوود؟ في تكة

كل حاجة خلاص»!

داوود: «هنقول إيه بس يا بني! بس ما برضه اللي بيثيل إربة

مخرومة بتخر على دماغه».

جابر: «قصدك كلام الحارة ده مضبوط»؟

داوود: «هما يقولوا إيه»!

جابر: «كلام عن إن موضوع الأسياد والحاجات دي كلها بكش عشان يجي هو ويعدين...».

قاطعه داوود: «وهي العفاريت مش بتطلع إلا باللباس يا جابر»؟

جابر: «هنقول إيه بس يا عم داوود الله أعلم، تفتكر مرسي هيطول فيها»؟

داوود: «مش كثير، بس لما يطلع الدراويش مش هتسيبه».

جابر: «يا عالم بكرة مخبي إيه»!

داوود: «اطلع استحمى وغير هدومك.. وتعالى نقعد على قهوة البورصة نشرب إزازتين بيرة».

جابر: «أحسن برضه، مش هغيب عليك».

ذهبا إلى المقهى، وكان يبدو على جابر إمارات الحيرة، وليس الحزن على ما حدث في الحارة، **داوود:** «مالك يا جابر؟ بالك مشغول ولا أنا غلطان»؟

جابر: «الوله يا عم داوود».

أنزل داوود كوب البيرة من على فيه وبفزع شديد قال: «ما له يا جابر؟ انطق»!

جابر: «لا عمره عيا زي العيال ولا عياط ولا زن، ده حتى محروسة بتقولِي كده مش طبيعي، ده صح يا عم داوود».

تنفس داوود الصعداء وابتسم، داوود: «وانت تكره يا جابر؟
جابر: «مش القصد بس...».

قاطعہ داوود: «متشغلش بالك يا جابر، ده واد مبارك زيک يا شيخ جابر، ولسة يا ما هتشوف منه كرامات».

جابر: «تفتكر يا عم داوود؟»

داوود: «بكرة تقول عم داوود قال».

جابر: «ربنا يطمئن قلبك يا عم داوود»، وشرب كوب البيرة كاملاً، ثم استطرد: «ما تحكي لنا من حكاويك، خلينا نطلع من قصة مرسى وفضل».

داوود: «عاوز تسمع إيه؟»

جابر: «إحكي لنا حكاية الطوفان».

خلع داوود عنه الكوفية والبرنيطة الصوف وهو يقول: «بعد الاتفاق اللي قلت لك عليه في المحفل الأول، تم عزل ست عن جبت، وتمكين حورس من الملك، وهروب أمه إلى بابل وإقامتها هناك باغية مقدسة، اطمئن عزازيل على جبت.. طالما كانت في يد حورس الشغوف بالملك، والذي أبدى ولاء عظيمًا لعزازيل واتفاقه معه.. كما ولى شمهازاي على أتلاتنا في أرض المايا، واستقر هو مع ليلث وسطانييل في أور، وعمل على الاستيلاء على كتاب رزائيل، بعدما يئس في الحصول على كتب إدريس، حسب رغبة إيزيس في

الاتفاق، وجد هناك نوح يدعو إلى التوحيد، وتؤكد بوجود كتاب رزائيل معه، وبعد أن تأكد من نبوة نوح وعلم أنه من المستحيل أن يستحوذ على الكتاب من نبي، توجه إلى رجله المخلص توبال قايين، كبير آل قايين في منطقة النهرين، والذي كان يعمل بجهد واجتهاد بشريعة عزازيل ودعوة الناس لعبادة النار والأصنام الخمسة: ود، وسواع، ويغووث، ويعوق، ونسر، حسب الاتفاق المبرم بينهما قديماً. وقد نجح في ذلك كثيراً، فلم يبق مع نوح إلا فرقة الصابئة المندائيين من الذين أتوا مع ميتاترون قديماً وذرايرهم، وبعض الفقراء من قومه، كما أن الغالبية الكاحسة من آل شيث قد نجح توبال قايين في استقطابها إليه، إبان تولى متشولح أمر القبيلة. احتفل توبال قايين كثيراً بقدوم أسياده الثلاثة لأور، ولما سألهم عن مصداقية الطوفان، طمأنه عزازيل وأكد له بعدم حدوث أي شيء، وطلب منه أجمل وأنضر امرأة وأشدّهم إيماناً بالنار وكفراً بعقيدة نوح في آل قايين لمهمة عظمى ومصيرية في تحويل مجرى التاريخ.

سعد جداً توبال قايين بطلب عزازيل، خاصة أن تلك الأوصاف تنطبق على شقيقته نعمة (واغلة)، التي كانت تعاشر شمدون النيفليم، وأنجبت منه الشيطان أسموديوس، فأرسل في طلبها في الحال، تفحصت ليلث نعمة جيداً وبعد موافقتها عليها، تعلمت نعمة كل فنون الغواية والمكر والتظاهر من خلال الدروس المكثفة لخبراء الشر الثلاثة على مدى التاريخ: عزازيل وليث وسطانييل.

بعدها كُلفت بالمهمة الكبرى، ألا وهي التظاهر بالإيمان بعقيدة نوح واتباعها إياه، ثم ملازمتها له، والعمل على اعتلاء مكانة عالية بين المؤمنين به، وتعتمد الاختلاء به بحجة الفتوى والعمل الدعوي وما أشبه ذلك.. ثم بعد ذلك إثارته بشكل مبطن بالحياء والعفة، حتى تحرك فيه ما لا يستغني عنه أي رجل، وإن كان نبياً، حتى يشتهاها كزوجة يبتغي بها العفاف، وحينئذٍ عليها إنجاب أكبر عدد من الأولاد، رحبت نعمة بالمهمة اللا شريفة، وشرعت في تنفيذها.

وقد نجحت نعمة في مهمتها وتزوجت من نبي الله نوح، وكان عمره أربع مائة وثمانية وتسعين عاماً وأنجبت منه أربعة ذكور، وكان عمره خمسمئة سنة حين أنجب أبناءه الأربعة، ثم تزوج امرأة أخرى شابة آسن منه كثيراً ومؤمنة به، لكنها لم تنجب له أبناء، فقط نعمة هي من أنجبت الذكور الأربعة: يام (كنعان) وسام وحام ويافث. كان يام أكبر الإخوة وبكر نوح.

داوود: «خد بالك من موضوع حق البكورية ده يا جابر في اللي جاي عشان تفهم الموضوع كويس».

جابر: «يعني إيه حق البكورية يا عم داوود»؟

داوود: «يعني الأب في حياته يولي بكره رئاسة القبيلة، ويطلعه على الأسرار، فما بالك إن كان الأب نبي ومستجاب الدعاء، هنا يزيد التشريف لأن الأب النبي بيدعي لابنه البكر، بالبركة والقبول عند الرب، ويسلمه حزام النبوة وكتاب رزائل ويسمى وصية، ويؤتى الضعف في الميراث والصحة البدنية، كما يسلمه زمام القبيلة لأمر

الدنيا والدين.. فإن صلح واستقام الابن وسار وفق منهج أبيه نال شرف النبوة».

جابر: «فهمت يا عم داوود، وبعدين؟»

داوود: «كان يام مقرباً جداً من أمه وأخواله بعكس سام، كان مطوعاً لأبيه ورفيقاً بإخوته، فلما جاء الأمر لنوح ببناء السفينة وفق نسب ومقاييس محددة موجودة في كتاب رزائيل، جمع نوح أبناءه الأربعة، وفوجئ يام وأمه بأن أباه تخطى يام وحرمه حق البكورية، وأعطاه لسام ودعا له، وسلمه كتاب رزائيل وحزام النبوة، وليس هذا فحسب، بل وزوجه وهو ابن مائة سنة: أي كان غرّاً بمقياس تلك العصور، ورشح فتاة مناسبة للزواج من يافث مستقبلاً.

غضب يام جداً من أبيه وذهب إلى أخواله وانضم إليهم، فاضطرت الأم نعمة أن تبوح لابنها بسرّها الأكبر، وأنها ليست على دين نوح، وطمأنته أن الملك عزازيل أكد لها عدم حدوث الطوفان، وطلبت منه كتم سرّها حتى تتم ما كانت بدأته، وفعلاً أسريام بسرّ أمه لكنه لم يكتف كفره، فشارك أخواله من آل قايين سخرتهم من أبيه واستهزئهم بشأن الطوفان.

وبعدما رحل يام، وتزوج سام ونال بركة أبيه، تحولت نعمة إلى حام وقربته منها جداً دون أن تفصح له عن سرّها، حتى ملكته من دون أبيه، لكنها لم تسطع ثني عزمه عن إيمانه بشريعة أبيه، فطبقت ما تعلمته من تعاليم الأشرار الأول.

بصرته بغريزته الكامنة وكيف أنه سيحرم الأنثى بعد غرق العالم وفنائه، وأنه لن يكون له نسل في العالم الجديد، مثل سام الذي اهتم أبوه بزواجه دونه، وخطب فتاة لأخيه الأصغر.. توجه حام إلى أبيه طالباً منه الزواج، فأنبأه أبوه أنه لا توجد في مجموعة المؤمنين من تصلح له زوجة.. ألح على أبيه مرات عدة، حتى أنه طلب الاقتران ولو بكافرة، وكان رد نوح، أنه لا جدوى من الزواج بكافرة ستهلك حتماً في الطوفان، وأن عليه التريث ريثما تأتي إحداهن تباع على الإيمان وتكون مناسبة للزواج به.

غضب حام جداً، ولكنه أضمر غضبه بداخله ولم يعلنه إلا لأمه، ولك أن تعجب إن علمت، أن نعمة عملت على دعوة إحدى بنات أخيها توبال قايين إلى دين زوجها نوح، واختارت أجملهن وأضعفهن شخصية، وأسرعهن تأثراً، ولكن لا محل لعجبك لأن هذا ما حدث فعلاً ونجحت فيه نعمة بمساعدة عصبة الأشرار! وانضمت الفتاة الشابة ذات الأوصاف المطلوبة إلى معسكر نوح بعد مبيعاتها له، بإيمان حقيقي.

هنا طلب حام وبشكل قاطع الارتباط بالفتاة، خاصة أنها راقته كثيراً وتعمدت أمه تزيينها له كثيراً بذكر مفاتها ومحاسنها، ولم يجد نوح بداً من الموافقة وتمت الزيجة، وحدث أن توفي متشولح جد نوح الصالح، وكان نوح قد أتم بناء الفلك، فأوحى إليه الخالق أن يفتح الأبواب المؤصدة ليستقبل من الدواب والطيور من كل زوجين اثنين، ودله على علامة بدء الطوفان.

وأظلمت شمس النهار كما أن أسس الأرض قعقت وأنار البرق ودوي صوت الرعد بشكل لا مثيل له، فلما رأت نعمة العلامات والطير والوحش يأتون أفواجا للفلك طواعة، هرعت إلى عزازيل مستفهمة منه عما حدث.

فادعى كذبا أن نوحا ما هو إلا ساحر، وأنه يستمد سحره من كتاب رزائيل، وأنها يجب أن تحتال عليه ليسلم الكتاب إلى حام، ولقنها نظرية من أهم نظرياته والتي ستسمى فيما بعد بـ (جدلية هيجل) وهي باختصار: أن يفتعل الأشرار أزمة، وتجهيز الحل الذي هو الهدف المنشود أصلا للمشكلة مسبقا، ثم لا يعرضون الحل من جراء أنفسهم، ثم يدعون الأمور تتفاقم أكثر فأكثر، حتى يأتي المتضررون من الأزمة يرجونهم الحل، الذي هو الغرض من افتعال الأزمة، فيمتنعون حتى إذا توسل المتضررون، تنازلوا وقبلوا بناء على رغبتهم، وحينئذ لا يجوز لمتضرر الشكوى رفض حل هو سعى إليه متوسلا، وطبع الله على قلب نعمة فأطاعت اللعين.

فلما عادت حثت نوحا على أن يقسم الأرض بين أبنائه من باب الإسراع في تعمير الأرض بالصالحين، وأنه يجب أن يلازم (سام) صاحب حق البكورية وعساه أن يكون النبي من بعده، وافقها نوح لطيب سريره.

وهنا لاحت الأزمة، إذا كان نوح الذي يعلم علم كتاب رزائيل جيدا سيصاحب (سام) الذي معه الكتاب أصلا، فكيف لحام وياث بتعمير نصبيهما من الأرض، بدون علم الكتاب، كما سيكون

في هذا ظلم لهما، ورجاها الشورى في الأمر، فحدثته أنه يعلم علم الكتاب جيداً، وأنه يستطيع مد سام بتلك العلوم خلال إقامته معه، فلا يحتاج سام إذا لأصل الكتاب المصنوع من ياقوت.

وعليه أن يسلم حام الكتاب ليستعين به على إعمار سهمه من الأرض حتى يتقنه، ومن ثم يعطي الكتاب لياث، وبهذا يكون حقق الغاية من تعمير جميع أركان الأرض، وليس فقط أرض سام، وأيضاً ساوى بين الأبناء.

وتم لها ما احتالت له، وسلم نوح الكتاب لحام، بعد أن أقسم له أنه سيعطيه لياث فيما بعد ليتدارسه جيداً، ومن ثم يعطي الكتاب في آخر الأمر إلى سام ليستقر عنده -حسب حق البكورية- وفار التنور وتيقن نوح أن وعيد الله قد آن على الكافرين، وذهب نوح إلى توبال قايين، ودعاهم لآخر مرة شفقة عليهم، وعسى أن يرجع يام إلى رشده ويركب معه الفلك.

وجد هناك نعمة قد سبقته إلى أخيها وابنها، وعلم نوح بكفرها وعدواتها له، وأكثروا جميعهم من السخرية والوعيد بعد الطوفان آملين في النجاة، اشتد غضب نوح الحليم فدعا عليهم وذرايرهم بمحوهم من الأرض أجمعين، وما هي إلا ساعات معدودة وانهمرت المياه من السماء والأرض وتعال الصيحات، تكبيراً وتهليلاً من أصحاب السفينة، وفرغاً وهلعاً من الكافرين، وفر توبال قايين بصحبة نعمة ويام إلى قمة أحد الجبال، وهناك هلكوا جميعاً إذ جرفهم الطوفان.

جابر: «قعد كثير الطوفان يا عم داوود»؟

داوود: «من السابع عشر من شهر حشفان إلى السابع والعشرين من شهر كسليف، يعني أكثر من سنة».

جابر: «عزازيل وليث والنيفليم حصلهم إيه»؟

ابتسم داوود من كيفية نطق جابر لكلمة نيفليم، وأجابه:
«طوال فترة الطوفان سكنوا الأرض الثانية والثالثة».

جابر: «هو فعلاً فيه سبع أراضي؟ صحيح يا عم داوود»؟

داوود: «طبعاً يا بن الحلال، ده حتى القرآن يقولكم: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٢»، مثلهن يا جابر يعني زي ما فيه سبع سماوات فيه سبع أراضي».

جابر: «والأراضي دي بتنور إزاي»؟

داوود: «بقولك يا جابر متبقاش سئيل كده، ما أنت عارف أني مش بحب كتر الأسئلة، عموماً فيه شمس تانية في مركز الأرض، غير اللي بنشوفها من على سطح الأرض يعني فيه شمسين، وده المقصود بآية سورة الرحمن: رب المشرقين ورب المغربين، غروب وشروق الشمسين، عرفت ليه إتقالت مثني، واللي بيحصل أن لما شمس بتغيب بتدخل من فتحة جوف الأرض وهي دي العين الحمئة في سورة الكهف، وتمر على الأراضي الستة بجاذبية مختلفة عن جاذبيتنا، ومواقيت مختلفة عن مواقيتنا، يعني فيه أراضي أيامهم أطول من أيامنا وأراضي العكس، وده مقصود آية سورة المعارج:

رب المشارق والمغارب، يعني الشروق وبتاع الأراضي السبع مش الشمس، عشان كده ذكرت بالجمع، غير إن اللغة تطلق الجمع، ويراد به المثني، مثل قوله في حفصة وعائشة: إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما، ومعلوم أن لهما قلبين، يعني مثني مش جمع.. المهم، في نفس الوقت بتكون الشمس الثانية طلعت من فتحة ثانية في أقصى جنوب العالم المتجمد، واسمه أنتاركتيكا وتحديداً عند جزيرة بوفيه، وأخذت دورة كاملة على سطح الأرض، يعني لما شمسنا بتاخذ دورتها على مدارنا بتكون الثانية تحت الأرض للعوالم الثانية والعكس، وهي دي العين الحمئة اللي شافها ذو القرنين عند غروب الشمس في جوف الأرض.. «إنما آيات رب المشرق والمغرب بالمفرد تعني الشمس الظاهرة على السطح».

داوود: «أقطع دراغي لو فاهم حاجة!»

جابر وهو يتسم ببلاهة طيبة: «سلامة دراحك يا عمنا، كملنا

سكان الأراضي دي جنسهم إيه»؟

داوود: «بس لو سألت تاني هقوم أمشي».

جابر: «استبين يا عم داوود»!

داوود: «لما طرد آدم من الجنة وصل في البدء إلى أدنى أرض

من الأراضي السبع، اسمها إيرتس (أرض) ودي أرض مظلمة أغلب الوقت، وخالية بالكامل، ولما جاءها آدم تملكه الرعب، خاصة من لهيب السيف المسلط عليها، وبعد أن كفر آدم عن خطيئته قاده الرب إلى الأرض الثانية، واسمها (أداماه) تسكنها أقوام يأجوج

ومأجوج اللي هما أصلهم من آدم وليث لما هجر حواء، وهما في حالة حزن دائم لا ينقطع، وعند خروجهم إلى أرضنا بيتحولوا لأشباح، وفي تلك الأرض ولد قايين، لكن قايين استولى على الأرض الثالثة واسمها (أرخا) فأصبحت له وذريته للأبد، بعض أولاده من العمالة وبعضهم من الأقزام، وبعضهم مسخ برأسين، أما الأرض الرابعة اسمها (جئ) ودول اللي استعان بهم النمروذ بواسطة عزازيل في بناء بابل، ومن صفاتهم إنهم مهرة في كل الفنون، والتفوق في كل العلوم والمعارف، ومسكنهم يفيض بالثراء، وهما كرماء جدًا جدًا خصوصًا حين يزورهم أحد من أرضنا، ثم يرسلونه إلى الأرض الخامسة واسمها (نشيا) أي النسيان، فإذا زارها يصبح غير واع بأصله وموطنه وينسي الأرض السابقة.

ويسكن في هذه الأرض أقزام لا أنوف لهم، وإنما يتنفسون من ثقبين في وجوههم، وليست لهم ذاكرة، كالأسماك.. أما الأرض السادسة، اسمها (تسيه) أي الجفاف، وناسها غاية في الوسامة والرقى ويمتلكون ثروات وفيرة ويعيشون في قصور، إلا أن الماء شحيحة جدًا عندهم، ويسرع سكان هذه الأرض السادسة إلى أي نبع يكتشف كالنفط عندنا، ومن يملك النبع يصير من الأغنياء، وأحيانًا يتسللون إلى أرضنا طلبًا للماء، ولطعامنا الذي يتلذذون به جدًا، وهؤلاء الناس أصحاب إيمان قوي يفوق إيمان البشر.

وآخر أرض هي أرضنا واسمها تيفيل، وبين كل أرض وأرض خمسمئة سنة وهو نفس الفارق بين كل سماء وسماء».

جابر: «سبحان الخالق العظيم، الواحد دماغه لفت يا عم داوود».

ثم تذكر جابر الحارة ومقتل فضل: «ياللا بينا عشان نرتب جنازة الشيخ فضل الله يرحمه ونرتب للعزاء».

داوود: «الله يرحمه».

جابر: «ولو إني عاوز أعرف حصل إيه بعد الطوفان».

داوود: «الأيام جاية كتير يا جابر».

جابر: «إن شاء الله».

ولي الله الغريب

الإسكندرية ١٩٧٦م

لم يعد الشيخ جابر كسابق عهده من بعد مقتل الشيخ فضل بتلك التهمة المزرية، فانقطع عن حضرة سيدي ياقوت الذي تولاها الشيخ مبروك، الذي خشي من منافسة جابر له على منصب خليفة الحضرة، فضيَّق عليه في المسجد بداعي إنه خمورجي وبتاع كوباية، وليس حشاشاً أو أفيونجي مثل الباقيين.

فلم يعد جابر للحضرة من بعد موت الشيخ فضل واكتفى بالصلوات في زاوية وكالة الليمون، فضلاً عن صلاة الجمعة بسيدي أبو العباس المرسى، أما ما كان من داوود فقد جاءته الأوامر السامية ببدء منهج (ولي) الدراسي والمناسب لمرحلته العمرية من سن خمس سنوات إلى مرحلة البلوغ، وهو ما حدث مع ألف فتى وفتاة مستنسخين من حمض نووي منسوب لآل قابيل، ومتجمد بتقنية عالية من آلاف السنين، وأولئك الأطفال موزعون حول العالم.

حيث بدأ المكلفون عنهم بتعليمهم المنهج الخاص،
والمكون من أولاً: مادة اللغات، الآرامية للتحدث مع كبار السبط
والتبثائية مع خواصهم، أما عوام السبط والمنتسبون فلهم شفرة
إعكاس الجمل حسب نسبتها لمتوالية الأرقام الثنائية الخوارزمية،
واللغة العربية بطريقة النحو التوليدي.

ثانياً: مادة الحكمة؛ خيمياء، تنجيم، سيمياء، وتمهيد من
مادة الغنوصية اللدنية، وهي مزج بين الفلسفة والرياضيات والمعتقد
الروحي. والتمهيد مصحوب بوزد التأمل الصباحي والمساءلي،
البراسيكولوجي، ودراسة شجرة الحياة من كتاب الزوهار وسر أوراق
التاروت (قبلاه)، وعلى الطالب الإلمام الجيد بمنهج الإخوة
والأخوات من أمثال أنطون ليفي، وشرح إنجيله وفك الرموز في
أسفاره الأربع، وشرح كتاب القانون للأخ أليستر كراولي، والأخت
إيرينا كرزيانوفسكا، صاحبة شجرة الأبرار في إسرائيل. على أن تفرد
مساحة خاصة لشرح كل ما يتعلق بسيرة حياة الأب القدس ليوناردو
دافنشي.

ثالثاً: مادة الرياضيات، شرح مكعب (الرب) ميتاترون،
وكتاب علم معاني الأعداد العداة السري لمؤلفه الأب القدس،
فيلوسوفوس (فيثاغورث)، وشرح مجسم الأب القدس أفلاطون،
وشرح النسبة الهندسية الذهبية (١,٦١٨٠٣٣٩٨٨٧).

رابعاً: مادة علوم الروح، شرح وتدريب وتطبيق عملي للأسقاط
النجمي، شرح الأنا وهجر الأيجو، علم الفلك وسر أصول النجم
والكوكب (الأب القدس جاليليو)، الهالة الأثيرية، وما وراء الجنس.

خامساً: التاريخ، مرحلة أولى، كتاب العزيز الأصلي لعبد الله بن الحظرد اليمني، وشرح سير وتراجم الآباء المقدسة، المؤسسين للسبط وتاريخه قبل الطوفان، وتقديسهم والعهد على طاعتهم ونصرتهم والتأسي بهم، واتباع حذوهم.

أما المرحلة الثانية: ذكر الآباء القدس من الثقلين الذين تم تجاهلهم عن عمد في التواريخ الرسمية للجويم بواسطة السبط، ولكن دُوّن تاريخه في السجلات السرية الخاصة بالسبط، حتى الثورة الفرنسية وإسقاط الملكيات وبداية عصر النهضة.

والمرحلة الثالثة: ذكر الآباء القدس من الثقلين الذين ساروا على نهج سلفهم المقدس من بعد الثورة الفرنسية حتى العصر الحديث، دون ذكر الأحياء منهم اعتباراً لسن الطلاب الأحداث.

والمرحلة الرابعة، ذكر الأعداء من نسل آدم: الأنبياء وأتباعهم الصادقين على وجه الخصوص، ومن ملائكة السماء، وخاصة جبريل وميكائيل، اللذين نصبوا العداء للسبط على مدى التاريخ، وشرح الخطط التي وضعت قديماً وحديثاً لمقاومتهم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، محاولات اغتيال الآدميين منهم، والإغراء والرشوة بالمال والجنس، والمحاولات المتكررة لإيقاعهم في المزريات حتى إذا سقطوا في إحداها تم الضغط عليهم بواسطتها.

المرحلة الخامسة: مادة العلوم والنظريات، شرح نظرية النسبية الخاصة للأخ القدس أينشتاين، ودمجها مع نظرية الجاذبية للأخ

القدس إسحاق نيوتن (نظرية الأوتار)، شرح نظريات نيكولا تسلا،
والأخ القدس جاك بارسونز.

المرحلة السادسة: الفن والأدب، على الطالب أن يستوعب
كل ما في الأعمال الكاملة من رموز وشفرات للآباء والإخوة الوارد
أسمائهم: الأب القدس ليوناردو دافنشي، الإخوة القدس: مايكل
أنجلو، رفائيلو سانزيو، وليام شكسبير، دوناتيلو، تيتسيانو فيتشيليو،
وغيرهم. ومن المعاصرين المدونة أسمائهم في السجلات السرية.

حتى حدث ذات يوم علا فيه صوت شجار محروسة وجابر
وكان صوتهما يصل لداوود أثناء تصفيفه لشعره الذهبي الناعم،
ويبدو داوود غير مكترث بما يحدث بالأعلى، فقد اعتاد على مثل
هذا منهما على أنه الأسباب، إلى أن بلغ إلى مسامعه صوت محروسة
تصرخ.

محروسة: «خلاص مش عاوزاه وهقول الحقيقة.. وربنا بقيت
بخاف منه».

هنا هرع داوود لهما وترك الخصلات الذهبية منسدلة على
جبينه، داوود: «إيه يا وله فيه إيه»؟

لم يرد جابر، فوجه داوود سؤاله إلى محروسة: «مالك يا بت
إيه اللي حصل»؟

محروسة: «ولي يا خواجة»!

ما إن سمع داوود الاسم حتى بدا عليه أمارات الاهتمام
القصوى: «ماله؟ حصل إيه؟ انطقوا أنتم الاتنين»!

جابر: «النهاردة كان أول يوم له في المدرسة».

لم يطق داوود صبرًا: «ما أنا عارف».

وبلهجة متلهفة أمر جابر بالإسراع في سرد ما يقول:

«اخلىص»!

جابر: «بعد ما رجعت من المدرسة.. محروسة لما سألته أخذ إيه اليوم، لقيته بيقرأ لها كل الكتب اللي لسة يا دوب مستلمها النهاردة».

أجاب داوود على ما توقعه سلفًا: «أنا اللي علمته القراءة والكتابة، أمان إنتي فاكدة إنه قاعد معايا طول اليوم بنعمل إيه؟ بنضرب الرمل والودع! هو إنتي بتشوفيه إلا ع النوم؟ ده يا شيخة حتى النوم ولي عاوز ينام عندي لولا أبوه بياخده»!

ضحكت محروسة مستهزئة مستنكرة: «أبوه»!

جابر: «اتلمي يا بت على الفلكي».

تجاهلت محروسة جابر وقالت لداوود: «وانت كمان اللي

حفظته المناهج! ثم قالت بعد أن بدأت بالبكاء: «يا خواتي ده بيسمع الكتب من دماغه وحافظها صم».

حاول داوود تهدئة الموقف: «يا بت أنا معلمه القراءة والكتابة

وحفظته جدول الضرب كمان، وهي دي حاجة وحشة»!

ثم ابتسم بخبث مصطنعًا المرح: «أهو عشان ميقاش خايب

زيك إنتي وأبوه».

كان البكاء والانهيـار بلغ بمحروسة ما بلغ فقالت بعصبية:
«والنبي متقولش أبوه دي تاني عشان جابر مش أبو حد إلا اللي في
بطني بس، وإنت سيد العارفين».

خرس داوود حين علم بحمل محروسة، وهوى على الكنبـة
تحتـه: «هو إنتي حامل»؟

محروسة: «لـسة جاية من المستوصف وقالوا لي».

صاح جابر: «آه قولـي كده بقى، ما هو عشان ربنا عطانا بعد
صبر، نقوم نتطـرع النعمة اللي بين إيدينا».

مسكت محروسة يد زوجها بتأثر بالغ: «والنعمة أبداً يا خويا،
ده حتى أنا أول ما شفته وهو لسة حـتة لحمـة حمرا حبيته، ولما
البت إيطاليا سقطت وجبناها ترضعه، كانت تتريق على شعره الأحمر
الغريب كنت بتقطع إنه مش بيرضع من صدري أنا، واديك شفت لا
عمري جبت سيرة لحد من أهلي وكفيت على الخبر ماجور».

هدأ جابر نسبياً، وجلس بجوار داوود الصامت وبهدوء أفعى
يفكر: «طيب يا بت الناس أدام بتحبيه كده، ليه الغاغة دي كل يوم
والثاني»؟

انفجرت محروسة مجدداً وهي تضرب صدرها بكفيها وبقوة:
«م اللي بشوفه يا جابر! م اللي بشوووفه»!

نظر إليها داوود بصمت مستفهماً عما تعنيه، ووجهت حديثها
للرجلين الجالسين، تذكيراً لجابر وإيضاحاً لداوود: «عمره ما
مرض ولا بكى، قلنا بركة ماشي الحال! لما أسييه لوحده أسمع

أصوات تكلمه ويضحك، وأول ما ادخل عليه يتغير! قلنا يمكن ملايكة بتلاعبه زي باقي العيال، مشي وتكلم قبل أوانه بكتير يا خواجة!»!

لم يجبها داوود بشيء فهو في شأن آخر، واسترسلت محروسة في سردها لخوارق ولي الدين: «فاكر يا جابر لما كان ابن سنتين واختفى وفضلنا طول النهار ندور عليه جوة وبرة، وبعدين لقيناه نايم في سرير عادي»؟

جابر: «ما قلت لك إنه كان عند عم داوود».

محروسة: «داوود مين يا أبو داوود»! ما احنا دورنا يومها عنده بدل المرة اتنين وتلاتة ولما سألناه قالنا هتلاقوه هنا ولا هناك ومتحركش من مكانه! رجع من بعدها يحرك الحاجات بعينه، وهو قاعد مطرحة، ومرة تانية وأنا بلعب معاه لقيته مسك المعلقة وتناها بعينه.. بلاش دي، فاكر يوم صيغة أمي لما اتسرفت وماكنش تم الأربع سنين ولقيناه بيقول حسنية الدلالة اللي سرقت! ولما أبويا هدهدا طلعت هي اللي سرقت فعلاً؟ ولا لما مسك الولعة وأبويا بيشرب الحمية»؟

ووجهت نظرها نحو داوود الصامت: «كانت جمرة نار يا خواجة.. أبويا يومها انتظر ورمى الحمية وبص في إيد الوله لقي الفحمة اتفطت في إيده! وإيده سليمة محصلهاش حاجة.. ويوم ما...»!

نطق داوود أخيرًا مقاطعًا لها: «خلاص كفاية»! ووجهه بمنتهى الهدوء سؤالًا لجابر: «ليه ما قلتش ليا كل ده يا جابر»؟
جابر: «متزعلش مني يا عم داوود، قلت لنفسي دي كرامات أولياء، وميصحش تتقال، بصراحة كده بقى، خفت من العين».
داوود بهدوء: «كده ألسطة، أنا هتصرف».

نظرت إليه محروسة بفضول شديد قبل أن يسأله جابر:
«هتعمل إيه»؟

داوود: «خلوني أفكر يومين لحد ما ألقى حل»، ثم التفت إلى محروسة وقال: «محروسة تعبانة ولازم ترتاح، مبروك عليك الحمل يا محروسة، عمومًا نص ساعة وانزل لي يا جابر، وهات ولي معاك عشان نفسحه شوية».

نزل داوود إلى شقته، ورأسه لا تكف عن التفكير ومقارعة الاحتمالات، هو يعلم أنه من القلائل من الأنس والجن بعد (عزازيل والسيد الأعظم الماشيح) الذي يعلم بنسب ولي الجيني، ويعلم قدراته الميتاترونية الهرمسية غير العادية.

ذهب مباشرة للسراحة العتيقة بغرفة نومه، وبعد أن أغلق الباب خلفه جيدًا بدأ في حل المشكلة، أخرج صينية بها القليل من الرمل الأسود، وساوى الرمل بباطن كفه، ووضع الصينية بينه وبين مرآة السراحة، رسم في مركز الرمل صليبيًا مقلوبًا وأحاطه بمربع، ثم رسم دائرة تقاطعت مع المربع، وأنتجت أربعة مثلثات في الأركان، وفي منتصف المربع رسم مثلثًا مقلوبًا.. فصار الصليب المقلوب في وسط

المثلث، أسفله متصلًا برأس المثلث من الداخل، ثم تكلم بلغته الخاصة، وهي مزيج من السريانية واليديشية الهجين أثناء كتابته لحروف عبرية وأرقام عربية، فإذا بالمرأة أمامه كتلفاز مستطيل يعرض مئات من الصور المتلاحقة، حتى ظهرت شقة جابر أمامه وبلغة التلبائية الغامضة نطق داوود بكلمة واحدة، فثبتت الصورة في المرأة على شقة جابر؛ حيث رأى (جابر) ومحروسة يتجادلان، وهي تلبس وليًا ملابسه الذي اشتراها له داوود.

حين رأى داوود الطفل ابتسم له، فبادلته الطفل ابتسامته عبر أثيرهما الخاص بهما، حرك داوود الصورة بذهنه فقط، ودون أدنى حركة من يديه حتى وضحت صورة محروسة منفردة، وبنفس الطريقة عمل (زووم إن) عليها حتى صارت وحيدة في المرأة، نظر داوود لكلبه أو بالأحرى سيده أنوبيس، فحرك ذيله بشدة ونبح نبحة واحدة، فوضع داوود الصينية على الأرض، وتراجع داوود خطوة للخلف ليفسح لأنوبيس ليبول في الرمال المرسومة بدقة.

بعد انتهاء أنوبيس من قذارته النجسة، تراجع ووقف بجوار داوود يراقبان الصينية، ما هي إلا دقيقة أو أقل فإذا ببوله الذي امتزج بالرمال السوداء قد اشتعل نارًا زرقاء بلا حرارة تذكر، ظلا يراقبان حتى انطفأت، ونظرا إلى بعضهما، هنا ارتدى داوود كوفيته والكاسكية وخرج من الشقة، وصاح عبر سلم البيت: «يلا يا جابر يا بني، أنا مستنيك»!

نزل جابر درج البيت مصطحبًا ولي الله، الذي ما إن رأى داوود حتى طار إليه قفزًا كبالون ممتلئ بغاز الهيليوم ليستقر في حضن داوود.

حين رأى جابر قفزة ابنه -المزعوم- ضحك فرحًا وقال: «بركاتك يا شيخ ولي، وفي الطريق لمنطقة المعمورة؛ حيث كان المصيف الأرقى حينئذٍ والملاهي المبهرة، حدث جابر داوود: «أنا ما قدرش استغنى عن ابني».

داوود: «إن شاء الله خير، أنا هحاول أعقلها، بس نسيها تهدي». صمت جابر مفكرًا ثم قال: «بت الكلب شكلها حبلت واتهبلت والله العظيم يا عم داوود، لو حطت العقدة في المنشار وخيرتني بين ولي الله وبينها لأكون مطلقها واختار ابني».

نظر داوود إلى جابر وقال بهدوء: «إن شاء الله الأمور متوصلش للطلاق، مش عاوزين مشاكل مع علي الفلكي والكلام يكثر، خليها على الله يا جابر!»

وصلوا أخيرًا إلى المعمورة في أقصى شرق الإسكندرية، وبدأ ولي ركوب الملاهي الفاخرة التي لا تقارن بمراجيح أبو العباس الصدئة، وحين كان الكبار يصرخون فرحًا قبل صغارهم، كان ولي هادئًا يضحك فرحًا مطالبًا بمزيد من الارتفاعات والمخاطر، حتى حين دخل بيت الأشباح بصحبة جابر، الذي كاد قلبه أن يتوقف من الرعب، كان ولي يقهقه من فرط المتعة التي لا تناسب طفلًا في السادسة من عمره داخل بيت الأشباح، وقتها انتظرهما داوود

خارج اللعبة.. ونظر لساعته السويسرية العتيقة، ثم أغمض عينيه وتمتم بكلمات غير مفهومة فشبت النيران في شقة جابر؛ نيران بدأت بملابس محروسة النائمة في سكون، الذي سرعان ما تحول للحالة من الهياج والصراخ فتسبب في حرق المرتبة القطنية وبعض الستائر المعلقة.

وحين صعد أهل الحارة لنجدتها كان الباب موصداً من الداخل لسبب مجهول، وظلوا يسمعون صراخاتها وبعد أن كسروا الباب وولجوا للداخل، كانت المسكينة قد تفحمت في مكانها، ولما خرج جابر وولي من بيت الأشباح جرى ولي لحضن داوود، فسأله داوود: «اتبسطت»؟

فأجابه بنعم، وسأله ولي بدوره: «وإنت»؟

أجاب داوود: «أوي أوي يا حبيبي».

واستكمل ولي لهوه في الملاهي بسعادة بالغة، عاد الثلاثة من المعمورة فإذا بالحارة مقلوبة رأساً على عقب، وبعد أن استفهم داوود عما حدث واستفاق جابر من غيبوبته، علما أن ضباط قسم الجمرك ينتظرونهما لاستكمال التحقيقات، التي انتهت بالعبرة الآتية: هذا وقد تبين بعد التحقيقات، والفحص من قبل اللجنة الفنية المتخصصة، والطب الشرعي الجنائي، وسماع شهادة الشهود والمعنيين من أهل الضحية وذوويها، أن سبب الحريق هو ماس كهربائي أدى إلى حريق بالمنزل القائم بشارع سوق السمك القديم، حارة اليهود سابقاً.

مَلِك داوود يوسف بنيامين، مما أدى إلى وفاة محروسة عليّ عبد السميع الفلكي متأثرة بحرقها التي بلغت نسبتها ١٠٠٪. ولا توجد شبهة عمد أو سبب جنائي في الواقعة وأنها محض القضاء والقدر.



مضت الأيام والسنون بعد حادثة محروسة، وتعلق جابر بولي أكثر، وعلى حد قوله «ملهمش في الدنيا غير بعض»، حتى لما عرض عليه داوود الزواج من إيطاليا بعد طلاقها من حمو زعزوعة ووفاة توحة أمها، رفض جابر وقال إنه قد أخذ نصيبه من الدنيا واكتفى بولي الله قسمًا ونصيبًا، فصارت إيطاليا تأتيمهم يوميًا بضع ساعات لتقوم بشؤون المنزل مقابل مبلغ من ريع مركب الصيد الذي يتشاركه.

تفوق ولي في دراسته، حتى إنه كان الأول على أقرانه في مراحل التعليم ككلها، وها هو ذا كاد أن ينتهي من كلية الصيدلة التي رشحها له داوود، أما عن برنامج حياتهم اليومي فلم يتغير فيه إلا أنهما استبدلا حكايات داوود في خمارة زعزوعة، بجلسة الحشيش مع البيرة والحكايات في الدكان، لعدم ترك ولي ليلًا وحيدًا بلا أنيس. وفي إحدى تلك الجلسات سأل جابر داوود: «ألا اللي بيموت محروق مش عفريته برضه بيطلع يا عم داوود؟»

ضحك داوود ساخرًا من سؤال جابر: «آه وبيكبوا شوربة عدس ع الأرض ويدقوا مسامير».

جابر: «أني عارف كده، بس مرضتش أعمل غير لما أتأكد منك، والنعمة الشريفة شفت عفريت محروسة يا عم داوود».

ترك داوود مبسم الجوزة وقهقهه ضاحكًا: «يا سلام! وبعدين يا فالح عملت إيه؟ أوعى تقولي إنك عملت معاها واحد».

وتعالت ضحكاته حتى سمعها الساهرون في الحارة من خلف باب الدكان المغلق، لكن الغريب أن (جابر) لم يبادل الضحك، وإنما انتظره حتى انتهى، ثم واصل: «طب ومقام سيدي المرسي شفت عفاريت في الشقة كذا نوبة».

اهتم داوود قليلاً: «شفت إيه يا جابر»؟

جابر: «مرة دخلت على ولي بعد ما سبتك وطلعت، قلت اطمن عليه وهو نايم، فتحت باب الأوضة بشويش لقيته بيقوم من جسمه، وهو لسة ممدد على ضهره، فاهمني يا عم داوود»؟
ترك داوود الجوزة من يده ووضعها جانبًا: «شفته بعينك؟ غريبة»!

جابر: «شفت بقي»!

داوود: «يا حمار أنت مش غريبة منه هو، الغريبة أنك تشوفه».

جابر: «يعني إيه مفهمتش»؟

داوود: «دي حاجة اسمها الإسقاط النجمي، بتحصل لأولياء الله الصالحين إنهم يلفوا العالم ويرجعوا بالزمن لحد أكثر من ألف سنة».

جابر: «تقصد صاحب خطوة، زي بنسمع عن أولياء كانوا بيوصلوا لحد الكعبة بخطوة واحدة».

داوود: «الله ينور عليك».

فرح جابر جدًا لما علم بكرامة ابنه: «بركاتك يا شيخ ولي!»

داوود: «شفت حاجة تاني»؟

جابر: «أيوه ساعات بحب أنام جنبه، بقلق على أصوات.. بفتح عيني بس بعمل حالي نايم، بلاقي زي ما يكون الحيطان بينفتح منها أبواب ويخرج منها ناس أشكال وألوان، بيكلموه ويكلمهم بس ما بفهمش يقولوا إيه، أول مرة خفت عليه! ولما اتعدلت في الفرشة، عشان أشوف فيه إيه، واحد منهم ضربني في صدري.. قمت مفزوع بصرخ كأنه كابوس، بس وربنا ما كان كابوس، بعد كده بقيت أعمل نفسي نايم وبتفرج عليهم، وأول ما يعدوا بترجع الحيطه زي ما كانت».

داوود: «دي ملايكة، ابنك بركة يا جابر».

جابر: «ونوبة كمان».

قاطعه داوود: «خلاص بقي قلت لك اطمئن، هم بيئذوه»؟

جابر: «أبدًا أبدًا! بالعكس بشوفهم فرحانين بيه أوي واللي بيسجد له.. واللي بيبوس رجله كأنهم بيعبدوه».

داوود: «حسك عينك تجيب السيرة دي لحد يا جابر».

جابر: «هو أني عبيط برضه يا عم داوود! ربنا يطمئن قلبك زي ما طمنتني، تستاهل اتنين ستلا هخطفهم من عم حنا البقال، وأجي تحكي لي حصل إيه بعد الطوفان ما خلص».

عاد جابر جالبًا البيرة.. ولما دخل الدكان استمتع بدفء مبخرة الفحم فخلع عنه سيرته وبدء تكريس ورص أحجار الحشيش.

جابر: «حصل إيه بعد الطوفان يا عم داوود»؟

قال داوود الساعاتي: «بعد ما غرقت الأرض بما فيها، لم يبق من الحضارات القديمة المتقدمة جدًّا إلا بعض ما كان مصنوعًا من الحجر بسبب عوامل التعرية لجميع المعادن من صداً وغيره، ومحيت أرض أتلانتا -مملكة عزازيل- من على وجه الأرض، ومات كل من كان على الأرض من البشر، ألا نوح ومن كان معه من المؤمنين، أما إينانا فقد صعدت إلى كوكبها الزهرة أثناء الطوفان على الأرض.

وأما ابنها الماشيح حور، فبسبب أكله من ثمرة الحياة، لم يمت تبعًا لسنة الله الكونية ولإرادته تعالى أن يجعله أعظم فتنة في تاريخ البشرية، وبحسب المعاهدة مع عزازيل ولبث أخذاه معهما إلى جوف الأرض وقت الطوفان مع الشياطين، وقرر الخالق عدة قرارات منها:

- لن يكون نسل على سطح المعمورة إلا لأبناء نوح الثلاثة.
- سيحدد عمر أبناء الثلاثة كحد أقصى بمائة وعشرين عامًا، بعدما كان البشر يعمرّون أكثر من ألف سنة.

- جعل قوس الملاك قزح في السماء علامة على أن الخالق لن يغرق الأرض مرة أخرى.
 - من يصعد إلى السماء من النيفليم والشياطين يصيبه شواظ من نار.
 - يلتزم أقوام جوف الأرض بأراضيهم، خاصة أقوام يأجوج ومأجوج النصف آدميين بالسكنى في الأرض الثانية ولا يصعدون إلى أرض أبناء نوح الآدميين الخلف، ولا يتزاوجون إلا فيما بينهم، والعكس.
 - عقم الفليم أمثال سطانئيل وشمهازي فلا يكون لهم عقب، وإذا تجسد أحد منهم أو من الشياطين بصورة بشرية أو حيوانية تكون له الصفات المادية للمتجسد به، اللهم إلا النطق في الحالة الحيوانية.
- وخير كل من بقي بعد الطوفان بين القبول أو الموت في الحال، فقبل الجميع بالقرارات، وعاهدوا على الالتزام بها.
- قال داوود:** «بعدما نزل نوح من السفينة كان قد أصابه شلل إحدى قدميه بسبب أنه قد غفل عن إطعام الأسد في السفينة، فضربه الأسد الجائع، وبسبب عرجه أوكل إلى سام مهام الكهانة في حياته».
- جابر:** «حصل إيه ثاني مع حيوانات السفينة يا عم داوود؟»
- داوود:** «لو هنحكي لك يا جابر قصص الحيوانات واللي حصل معها مش هنخلص، عشان لهم آلاف الحكايات خلتنا يا بني

في الأهم، مثلاً نوح أمر الجميع بترك النكاح على السفينة فالتزم الجميع إلا حام والكلب والغراب.. ومن ده كثير يا جابر».

جابر: «ماشي يا عم داوود كمل».

قال داوود: «حينما خطا نوح من السفينة إلى العراء بكى بحرقة من منظر الخراب الذي سببه الطوفان، وقال للرب: يا رب العالم، إنك تسمى الرب الرحيم، وكان يجب عليك أن تكون رحيماً بمخلوقاتك».

أجاب الرب: «يا أيها الراعي الغبي، الذي يتحدث إلي الآن، لم تقل ذلك عندما خاطبتك بلطف وقلت لك، أراك رجلاً مستقيماً وكاملاً بين جيلك، وسأضرب الأرض بطوفان ليذمر كل ذي بشر.. اصنع لنفسك سفينة من خشب الكافور، وهكذا قلت لك، وأخبرت بك كل هذه الظروف لعلك تسألني الرحمة بالأرض، لكنك ما سمعت أنك ستتنجو بنفسك في السفينة لم تشغل بالخراب، والآن بعد أن خربت الأرض تفتح فمك لتدعو وتتوسل؟»

أدرك نوح أنه تسبب في غضب الرب، فعزم على تقديم قربان ليرضى عنه، وقدم سام القربان في الموضع الذي سيكون الهيكل فيما بعد، بعد أن فقد نوح لقب التقي، انشغل بزراعة الكروم، فكان أول من أنتج الخمر وأفرط في الشراب، وأول من لعن وسب أقرباءه، وأول من استعبد العبيد، وقد حدث كل ذلك بالطريقة الآتية: وجد نوح الكرمة التي أخذها آدم معه من الجنة عندما طرد منها، وذاق عنبها، ولما وجده حلو المذاق، قرر أن يزرع الكرمة ويرعاها، وفي

نفس اليوم الذي زرعها فيه أثمرت، فوضع ثمارها في معصية الخمر واستخلص العصير وشربه وسكر ولحق به الخزي، كل ذلك في يوم واحد، وكان مساعده في زراعة الكرمة عزازيل، الذي ذهب إليه وهو يزرع القتلة التي وجدها.

عزازيل: «ما الذي تغرسه هنا»؟

نوح: «كرمة»!

عزازيل: «وما هي خصائص ما تنتجه»؟

نوح: «الثمرة التي تطرحها حلوة، سواء أكانت جافة أم رطبة، وتنتج خمراً ينعش قلب الإنسان».

عزازيل: «إذاً لنتشارك في هذا العمل لزراعة حديقة كروم».

نوح: «اتفقنا»!

وعندها ذبح عزازيل حملاً، ثم تلاه بأسد وخنزير وقرد، والدم الذي سال من كل منهم عند ذبحه روى به الكرمة، ولما سأله نوح عن فعله أجابه عزازيل: «قبلما يشرب الإنسان يكون بريئاً براءة الحمل، وإذا شرب باعتدال يشعر أنه في قوة الأسد، وإذا شرب أكثر مما يطيق يشبه القرد.. فإذا شرب حد الثمالة يتصرف كالقرد، فيتنطط ويغني ويفحش في القول، ولا يدري ما يفعله».

ولم يشن ذلك نوح عن عزمه عن الشرب، ففعل مثلما فعل آدم الذي كان طرده من الجنة بسبب الخمر، إذ إن الثمرة المحرمة كانت هي العنب الذي أسكر نفسه به، وذهب نوح مخموراً عارياً إلى خيمة زوجته، ورآه ابنه حام وأخبر إخوته قائلاً: «كان أول البشر لم يكن

له سوى ابنين، ذبح أحدهما الآخر، وهذا الرجل نوح له ثلاثة أبناء، ومع ذلك يرغب في إنجاب رابع».

وخشي حام أن ينجب أبوه ولدًا يقاسمهم في الأرض، ولم يكتفِ حام بتلك الكلمات القبيحة في حق أبيه، فقد أضاف إلى خطيئة عدم الاحترام جريمة أكبر، إذ حاول بتر عرق من أبيه لمنعه من الإنجاب، وعندما أفاق نوح من سكره وعاد لوعيه، لعن حام في شخص أصغر أولاده كنعان -الذي أنجبه حام على السفينة حينما خالف ولم يدع النكاح- وسمى وليده باسم أخيه الغارق (يام، كنعان) الذي كان أقرب إلى قلبه دون أخويه.

لذا أبناء كنعان بن حام لهم شعر ملتو؛ لأن حام لوى عنقه ناظرًا لعورة أبيه، ويحبون العري وبالتالي العهر، لأن حام لم يستر عري أبيه، وكانت وصايا كنعان وعهوده لأبنائه: لا تقولوا الصدق أبدًا.. لا تترفعوا عن السرقة.. عيشوا حياة الانحلال.. اكرهوا سيدكم كرهاً عظيماً يتجاوز الحد.. لا تحبوا إلا بعضكم.

على عكس أبناء سام ويافت اللذين كوفئا على سترهما لأبيهما بصلاح الذرية، وفي عام ١٥٦٩ بعد خلق العالم، قسم نوح الأرض بين أبنائه، حدث هذا في زمن فالخ (فالق أو قاسم) ابن عابر (نبي الله هود) بن شالخ (صالح) بن أرفخشذ بن سام بن نوح».

قال داوود: «خليني يا جابر أقولك أبناء الثلاثة من الأول أحسن».

قال جابر المسكين وهو في غاية الامتاع بالقصة: «على شوق شوقك يا برنس السهر والحواديت».

ثم ناول داوود حجرًا خاصًا مطعمًا بالأفيون الأزرق بدلًا من الحشيش.

قال داوود الساعاتي: «أنجب سام خمسة: أرفخشذ، إرم، آشور، عيلام، لاوذ.. أرفخشذ عاش ٦٥ سنة».

هز جابر رأسه وسط سحابة من الدخان لمزيد من التركيز، ثم **قال: «إيه يا عمنا مش إنت قلت إنهم اتفقوا على ١٢٠ سنة أكثر عمر يعيشوه؟»**

لم يجد داوود جوابًا فنهر (جابر): «وله! مش قلت لأملك ألف نوبة محبش كتر السؤال»!

جابر وقد وضع يده على فيه: «أهو»!

داوود: «أرفخشذ بن سام أنجب قينان (قايين الثاني) على اسم الجد الكافر اللي هلك في الطوفان، وده كان ساحر وادعى الألوهية زي جده، بس كان اهيل، ومجتش معاه في السليمة، ومش هتلقى اسمه في الكتاب المقدس.. قينان ده أبو شالخ (نبي الله صالح) صاحب الناقة، عشان كده قومه الكفار اللي كانوا بيحبوا أبوه قالوا له: «يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا».

جابر: «صدق الله العظيم»، ثم ضحك جابر: «كانوا متوقعين يطلع فاسد زي أبوه، بس ربك لما يريد».

لم يعلق داوود على ملاحظة جابر واسترسل: «وشالخ أنجب عابر (هود) وكان نبي مثل والده، وأرسل في بني عمه إرم (عاد)، شالخ وعابر، (عاد بن إرم، وشمود بن جاثر ولدا سام) أولئك هم العرب البائدة. وبعد هلاك القبيلتين ونجاة عابر ومن معه، أنجب عابر فالخ جد إبراهيم أصل بني إسرائيل وأبو إسماعيل أول العرب المستعربة ويقطان (قحطان) وأنجب قحطان يعرب (جرهم)، ويعرب أنجب سبأ وهم أصل العرب العاربة».

جابر: «أبوس إيدك يا عم داوود أنا بتوه منك، خلص وادينني الزتونة».

داوود: «مش عشان تفهم يا حمار؟ عموماً نرجع تاني لحام وهبسط لك الحكاية.. حام بقي أنجب كوش أبو النمروذ ومصرام، أبو المصريين اللي غير اسم الوادي من جبت (لقب قايين) وسماها باسمه مصر، وفوت أبو الأمازيغ، وكنعان اللي حكيت لك حكايته لما نوح لعنه».

جابر: «أبوس إيدك كفاية أسامي وركز لي مع واحد بس».

داوود: «طب اختار أنت يا جابر».

جابر: «هو النمروذ ده بتاع سيدنا إبراهيم؟»

داوود: «آه»!

جابر: «يبقى تمام! احكي لي حكايته».

داوود: «بعد حادثة لعن حام، فر حام من أمام أبيه، وأيضاً غادر يافث إلى أرضه، وبقي سام مع أبيه.. فخرجت الشياطين وتبعَت الأخوين ونقضوا العهد، فدعا نوح الخالق فأَنْزَلَ الملاك، رافائيل، ففضى على تسعة أعشارهم، وأزالهم من على الأرض ولم يترك إلا العشر من أجل ماستيما (المجموعة الملعونة) لمعاقبة خطاة البشر من خلالهم، ومع انتشار البشر، عيّن الأبناء الثلاثة أمراء على أراضيتهم.

كان يقطان على ذرية سام، وفينيق على ذرية يافث، وكان النمرود بن كوش بن حام، على ذرية حام، وهو المقصود في الكتاب المقدس، وكان جباراً في الأرض، ووسع مدن بابل، وأكد، وأوررك، وأسس مملكة شنعار، واسمه الحقيقي جبار بن كوش (جلجامش). وسبب قوته، أنه لما تسلم كتاب رزائيل من أبيه لم يدرك أهميته، فلما طالبه أبناء شيث بحقهم في الكتاب، تنفيذاً لوصية جدهم الأكبر نوح، رفض وحاربهم، كما أنه تزوج سمراميس مجهولة الأصل، والتي لم تكن في الحقيقة سوى أم الماشيح حور (إيزيس، إينانا، فينوس، إلخ).

والتي أطلعته على بعض علوم كتب زوجها الأول وحبيبها أبينا الميتاترون كما هرع إليه عزازيل ناصحاً له، وأخبره بما في الكتاب من علوم، وظلا يتدارسان الكتاب سوياً حتى توطدت العلاقة الأخوية بينهما جداً، كما أنه أصبح أستاذاً لأخوية العين المقدسة

بتزكية خاصة من رئيسها عزازيل، ولما كثرت مطالبة أبناء يافث بحقهم في كتاب رزائيل نصح عزازيل النمروذ بمحاربة يافث وبنيه. ونجح عزازيل في إراقة دماء الإخوة فيما بينهم للمرة الأولى بعد الطوفان، وكان انتصاراً ساحقاً لدرجة أطمعت النمروذ بمواصلة سفك الدماء وفتح الأقاليم، حتى ساد العالم، لكن كان ما ينغص عليه حياته هو فكرة الموت وترك الملك والملذات التي ذاق حقيقتها في الأخوية، خاصة أنه عشق سمراميس، وبنى لها المعابد وأطلق اسم جزيرة توشريت، على اسمها سين، أي إلهة القمر، وشعر بالدونية بصحبته، كونها إلهة أبدية دونه، فنجحت الأخوية في إقناعه أنه يمكنه الحصول على الأبدية، والإبقاء على الملك ورفقة معشوقه للأبد، وما عليه إلا الوصول إلى ثمرة الحياة، أو منازلة الإله الخالق. فلما فشل في الأولى بعد محاولات مضنية ومغامرات، حتى إنه سافر إلى جده نوح الذي أخبره أن ما يطلبه مستحيلاً وعليه بالإيمان وترك جماعة الشر.. ونصحه نوح كثيراً لكنه لم ينتصح، ولم يجد سوى الحل الثاني وهي فكرة منازلة الإله، فشرع في بناء برج بابل، وتم له ما أراد، فكان صريحاً لم ولن يبني مثله، حتى إنه يحتاج من أراد صعوده لمسيرة عام كامل ليلبغ قمته، وفي العام ١٩٠٠ ق.م وأثناء بناء برج بابل، تنجم تارخ - كبير كهنة النجوم وسادن بيت الآلهة - فوجد أنه سيولد من ينازع النمروذ ملكه.

فتشبث النمرود أكثر برغبته في الخلد، وأمر بقتل كل مولود ذكر في شنعار ذلك العام، ولم يكن تارخ حتى هذه اللحظة يعلم أن زوجته حامل، وأنها ستخفي حملها عنه وعن الناس أجمعين فيما بعد، خوفاً من قتله».

جابر: «اسمه إيه أبو إبراهيم يا عم داوود»؟

داوود: «تارخ».

جابر: «لأ بقي معلش وقعت منك دي ياعمنا، عشان اسمه آزر مش تارخ».

داوود: «تعرف تسمع وأنت ساكت»؟

جابر: «لأ أسكت إيه؟ القرآن قال اسمه آزر، يبقى آزر».

غضب داوود على جابر غضبة لم يغضب مثلها قط، حتى إنه ركل الشيشة بقدمه، **وهو يقول له:** «غور امشي من قدامي»!

ثم هب واقفاً واستدار نحو شقته من باب الدكان، ظل جابر جالساً مكانه في ذهول، يفكر فيما قال باحثاً عن سبب لغضب داوود، ولم يحرك ساكناً، **إلى أن سمع داوود يقول:** «اقفل باب المخروب وراك».

استمرت حالة جابر الاندهاشية، حتى حين وقف وقال:

«حصل إيه بس يا عم داوود»؟

أجابه داوود بصفق الباب بشدة دون أن ينبس ببنت شفة.

الدكتور أحمد الأزهري

مرت أيام على حادثة آزر أو تارخ، فشلت فيها كل محاولات جابر لاسترضاء اليهودي العنيد، إلى أن جاء يوم الجمعة ونزل جابر إلى الصلاة مرتدياً قفطاناً أبيض ناصعاً وقلنسوة شبيكة على نسق قفطانه، وحينما دلف إلى الدكان، وجد داوود يحادث أحد زبائنه وكان غريباً عن الحارة.

ألقى جابر التحية وانتظر ريثما يفرغ داوود من عمله.

جابر: «صباح الخير عليكم»!

تمتم داوود بكلمات هامسة، في حين رد عميله بوقار: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته».

شعر جابر ببعض الحرج، ووقف صامتاً يفكر: ترى أكانت متممة داوود هي رد على السلام أم لعنه بلغة من لغاته الكثيرة.

غالبًا لم يرد وإلا ما احتاج العميل لهذا الرد كاملاً، ولما لم يجب فقط بصباح النور، لم يترك جابر نفسه لشروده في سفاسف

الأمور وتابع الحوار الجاري بين داوود وعميله ذي اللحية المنمقة بعناية.

داوود: «ساعة ممتازة رولكس أصلي».

الزبون: «هدية جدي الله يرحمه عشان كده غالية عندي جدًّا».

داوود: «طيب عشان ما تتعبش نفسك.. البنورة الأصلية مش هتلاقيها هنا، روح عند موريس أكيد عنده منها».

الزبون: «موريس ده بعيد يا حج»؟

ابتسم داوود وجابر في آن واحد من لفظة حاج، وتطوع جابر مجيبًا: «انزل له محطة الرمل هو مشهور هناك وفيه كمان قمر الساعاتي». انصرف الرجل بعد ما شكرهما بأدب جم.

توجه جابر بوجهه نحو داوود العابس: «خلاص بقى يا عمنا عيل وغلط».

تكلم داوود للمرة الأولى مع جابر منذ أيام: «ما هو مش إنت يا أبو شخة اللي هتعدل عليا وتقولي لا اسمه آزر».

جابر: «يا عم داوود هو السؤال حرم؟ وبعدين ده القرآن اللي بيقول مش أنا».

داوود: «طيب ما هو كل المفسرين قالوا إن آزر هو تارخ».

فوجئ جابر بذلك فقال: «طب كده ألسطة، أنا كده فهمت، خلصت خلاص يا عمنا». وابتسم له مصالحًا.

جابر: «قولي بقى نتغدى إيه أجيبه وأنا راجع من صلاة الجمعة؟»

ابن سم داوود أيضًا مبالغًا وقال: أدبًا ليك هنتغدى النهاردة من عند ملك السمان، بتاع العطارين».

جابر: «غالي والطلب رخيص، هصلي في مسجد العطارين وهظبط لك أحلى غداء، شيء لله يا سيدي محمد».

انصرف جابر إلى المسجد، وبعد أن قرأ الفاتحة عند مقام سيدي محمد بن سليمان بن خالد بن الوليد، جلس منتظرًا الخطبة، وبعد أن رُفِع الأذان صعد الخطيب المنبر، تفحصه جابر جيدًا فإذا به هو زبون داوود ذو الساعة القيمة.

كانت خطبة الجمعة عن السنة وضرورة التمسك بها، كونها المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن، بعد أن انتهى الخطيب من مقالته التي أجادها، ذهب إليه جابر مصافحًا.

جابر: «لا فوض فوك يا مولانا! اللي ما يعرف يجهلك».

تذكره الخطيب في الحال ومد يده مصافحًا بود بالغ: «جزاك الله خيرًا».

جابر: «غيرت بنورة الساعة؟»

الإمام: «في الحقيقة لسة، لأنني مش عارف موريس فين؟»

جابر: «حضرتك غريب عن إسكندرية؟»

الإمام: «أنا أصلًا من القاهرة، بس عايش في أمريكا من ٢٠

سنة».

جابر: «نورت إسكندرية حضرتك، أنا ممكن أجي معاك عند موريس! ده قريب أوي من هنا في شارع سعد زغلول».

الإمام: «عمومًا عربيتي برة لو مش هعطلك».

جابر: «إن شاء الله مافيش عطلة».

في السيارة تجاذبا أطراف الحديث، وعرف جابر أن الإمام اسمه د. أحمد وأنه أزهرياً، لكنه لم يفهم معنى أصول الفقه المقارن الذي حاز فيه شهادة الدكتوراه، وأنه كان مبتعثاً في أمريكا ليعمل في مراكزها الإسلامية هناك من قبل الأزهر، ثم أنهى عمله بأمريكا، عيّن خطيباً ومحاضراً منتدباً بأوقاف الإسكندرية.

جابر: «ممكن أسأل حضرتك سؤال»؟

أحمد: «اتفضل»!

جابر: «هو مين أبو سيدنا إبراهيم»؟

أحمد: «سورة الأنعام يا شيخ جابر: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾».

راقت لمسامع جابر مناداة الدكتور أحمد لاسمه مسبوقاً بلقب شيخ، فتحمس لمحاورة أشبه بنقاش الأقران، جابر مستعرضاً علماً يفقده: «يعني رأيك إنه مش تاريخ يا دكتور»؟

ابتسم أحمد لجملة جابر التي أفشت عن مدى طيبته وجهله، إذ كيف يخبره بصريح نص الآية ثم يسأله هو عن رأيه الشخصي، فكوّن عنه تصوراً على عكس ما أراده جابر.

أحمد: «إنت طبعًا يا شيخ جابر عارف إن أغلب المفسرين قالوا إن آزر هو تارخ، وإنهما اسمان لنفس الشخص، والبعض قال بل الاسم آزر واللقب تارخ، لكن في الحقيقة أنا لي رأي مخالف لكل ده».

هز جابر الصياد رأسه كهيئة الفاهم ثم قال: «اللي هو إيه يا دكتور أحمد»؟

أحمد: «إن هناك من تعمد إنساب إبراهيم لتارخ لغرض أن يدون التاريخ إن إبراهيم بن تارخ تزوج بأخته سارة بنت تارخ، ويبقى ناحور أخو إبراهيم تزوج بنت أخيهم الثالث هاران واسمها ملكة، يعني ملكة أخت لوط وبنت هاران ابن تارخ أخو إبراهيم تزوجت من عمها ناحور بن تارخ، أخو إبراهيم أيضًا، عمها وعم لوط.. لأن الثابت تاريخيًا إن تارخ أنجب ثلاثة رجال وامرأة: إبراهيم وسارة وناحور وهاران.. وإذا أنكرت عليهم ذلك، وإنه ده زنا محارم، واسأل أي مسيحي، يقول لك، هذا قبل أن ينزل الناموس على موسى! ولا يدري المسكين أن كتابه محرف بفعل مجموعة سيطرت على اليهودية، قديمًا، فلما سيطروا عليها أولًا، ابتدعوا المسيحية -التي هي موجودة الآن- والتي ليس فيها شيء من دين عيسى عليه السلام.. أنا بسميهم يا شيخ جابر، غزاة التاريخ».

جابر: «أعوذ بالله من غضب الله».

أحمد: «عارف ترجمة تارخ بالعبري يعني إيه يا شيخ جابر»؟

جابر: «لأ».

أحمد: «معناه الماعز الجبلي، يعني بافوميت، وده نفس الشيء اللي بيعبده جماعات سرية أصلها يهودي، وأول من صرح بعبادته جماعة فرسان الهيكل، عشان كده رأيي المتواضع إن الله أراد التوكيد بالتسمية حين قال لأبيه آزر، ولم يجعل الجملة قاصرة على لفظة لأبيه فقط بل أكد بالاسم.. وده اللي بيسميه علماء النحو، بدل مطابق أو الكل من الكل، وعند أصحاب البلاغة اسمه عطف بيان، يعني بيوضح اللي قبله.. فاهم قصدي طبعًا يا شيخ جابر!»!

هز جابر رأسه بالموافقة قبل أن يقول: «محل موريس على الشمال أهو»!

لم يستغرق تغيير عدسة الساعة المكسورة كثير وقت، وبعد أن استقلا السيارة مجددًا، ثم عادا فجلبا السمان الساخن.

جابر: «لازم تيجي تتغدى معانا يا دكتور»!

أحمد: «مرة ثانية إن شاء الله، إحنا جيران لأنني نازل في فندق آمون شارع النصر».

جابر: «يعني هنتقابل تاني بالصلاة ع النبي»؟

شعر جابر لوهله أن أسلوبه غير مناسب للسيارة الفارهة التي يركبها، ولا لصديقه الجديد الملقب بدكتور، فعدل من نبرته قدر استطاعته، فقال **بالنبرة المعدلة:** «والله العظيم ما يحصل! إحنا إسكندرانية آه، بس مش عزومة مراكية».

ثم جاهد أكثر حتى تكون الجملة التالية أكثر تعديلاً: «تفتكر

يا دكتور أحمد مين اللي زور التاريخ كده وليه»؟

أحمد: «يا شيخ جابر أنا متأكد تمامًا إنه فيه أيادي خفية متوغلة في كل جوانب الحياة البشرية منذ القدم، تقدر تقول إن دول هما حزب الشيطان اللي ربنا حذرنا منهم في كتابه الكريم في أكثر آية». **جابر:** «تقصد يا دكتور حاجة كده زي أخوية العين المقدسة؟ ضغط أحمد على مكابح سيارته حتى توقفت على جانب الطريق وتصنع الهدوء وهو يسأل جابر: «سمعت الاسم ده فين يا شيخ جابر»؟

جابر: «هو فيه حاجة يا دكتور أحمد»؟
أحمد: «لا بالعكس، أنا بس ما شاء الله يعني، معجب بعلمك وعاوز أعرف شيو خك ومعلميك».

عاد زهو جابر بنفسه وهو يحدث صديقه الدكتور: «أنا التزمت زمان على أيدي الشيخ فضل الرحمن -الله يرحمه- نحسبه شهيدًا ولا نزكي على الله أحدًا».

أحمد: «الله يرحمه بس شهيد إزاي؟ تقصد في ٧٣»؟
تخرج جابر كيف سيحكي قصة موته المشينة ولما عجز قال: «مات مقتول الله يرحمه، قتله مرسي بتاع المخدرات لما...».
قاطعاه أحمد: «ما علينا يا شيخ جابر من فضل الله يرحمه، مين تاني»؟

جابر: «عم داوود».

أحمد: «هو أزهرى»؟

ضحك جابر ملء فيه وهو يقول: «لا لا أزهرى إيه! هو مش مسلم أصلاً».

زاد اهتمام أحمد جداً وأدرك أنه وجد بغيته المنشودة: «أمال إيه»؟

جابر: «مش عارف، لكن الناس بيقولوا عليه أصله يهودي، مع إنه مش يحب اليهود أصلاً، وبيقول عنهم إنهم حمير سهلة الركوب، واسمهم عبرانيين وبني إسرائيل».

اعتذر أحمد عن الغداء بأدب قائلاً: «اتشرفت بصداقتك جداً يا شيخ جابر، وآسف جداً مش هقدر اتغدى معاك، لأنى لازم أكلم الأولاد فى أمريكا ومش يرضيك طبعاً إنى أتأخر عليهم».

ثم أخرج له بطاقة بها اسمه: «ضروري نتعشى سوى النهاردة يا شيخ جابر، هنتظرك فى فندق آمون».

جابر: «النهاردة مش هينفع، لأنى لسه يا دوب مصالح عم داوود وأكيد هسهر معاه النهاردة، أصله زعل منى لما قلت إن آزر هو أبو إبراهيم مش تارخ».

أحمد: «تمام، يبقى بكرة إن شاء الله، وبلاش تحكي لداوود عني، ضروري جداً يا شيخ جابر».

اندesh جابر لمطلب أحمد، خاصة أنه فوت عليه فرصة التباهي بصداقة دكتور فى الحارة.

جابر: «ليه يا دكتور»؟

أحمد: «بكرة هفهمك كل شيء، بالله عليك يا شيخ مينفعش يعرف إننا اتقابلنا».

جابر: «استبيننا! على شوقك، قصدي يعني اتفقنا أشوفك بكرة، ننزل أني على الإمة، لا مؤاخذه يعني العربية مش هينفع تدخل الحارة.. سلامو عليكم!»!

نزل جابر من السيارة الفارهة حاملاً السمان لداوود وولي الله، حين وصل جابر إلى البيت وجد داوود يتحدث مع شخص ما داخل شقته، فأثر جابر الدخول من باب الدكان الداخلي المفتوح عن طرق باب شقة داوود، حتى لا يشغله عن ضيفه، فتسرب إليه صوت المتحدثين.

داوود: «سبب موضوع المادة عليا أنا هجهز لك كمية مناسبة، واهتم إنت يا روبي بالتركية، عاوز مرسى الكلب يرجع شحات تاني زي ما طلع من السجن وخلي طمعه ينفعه».

ما كان جابر ليهتم بالحديث لولا أن سمع صوت محادث داوود، وعلم أنه ولي ابنه، فتعجب لما يناديه روبي، فترك رص الطعام على المنضدة، وأصغى إلى حديثهما.

ولي: «أدوني ليفي أكد لي إنه خلى رجاله تحذره.. وتأكد عليه أنه لازم ينشرب مع شاي أو قهوة، عشان يعمل مفعول، مش ينحرق.. وكمان إنه يقلل السعر شوية، لكن مرسى البقرة مصمم إنه يبيع بسعر الحشيش، طبعاً ميعرفش إن النار بتفسد مادة الدوبامين».

داوود: «بس عفارم عليك يا روبي، الدوبامين طلع زي السحر، على فكرة رجاله ليفي اتفقوا مع مطبعة في المنشية، بعد ما يتغلف

في السوليفان عادي، المرة دي هيتوزع في الدكاكين والأكشاك باسم الصاروخ مكونات عطارة، وبجنيه وربع بس، يعني المكسب جنيه في كل علبة».

ولي: «مش كده لازم تكتب المكونات»؟

ضحك داوود: «طبعًا عامل حسابي وكتبت، خرونجان وسن فيل وشوية حاجات هبلة كده، وخليت الدوبامين، ده سر الصنعة، زي كنتاكي كده يا روبي».

وشارك روبي (ولي الله) داوود الضحك، تحسس جابر كارت صديقه الجديد واستخدم دهاءه وتذاكي لأول مرة في حياته، وخالف فطرته التلقائية الطيبة.

جمع جابر الطعام وانسل مجددًا من المحل المغلق وخرج كما دخل من بابه المفضي إلى السلم، حتى باب الشارع وهناك وقف وحيا حنا البقال بصوت مرتفع، وعاشور الفراش: «اتفضل معانا يا عم حنا، صليت في سيدي المرسي يا معلم عاشور؟ فاتتك خطبة العطارين النوبة الجاية صحبة إن شاء الله».

إلى أن أتاها صوت داوود من الداخل: «اخلىص يا جابر وبطل لك».

جابر: «أنا أهو يا عمنا، الدكتورة عندك - يقصد وليًا- ولا فوق؟

داوود: «عندي هنا أهو، تعالى!»
وبدأ ثلاثتهم بتناول السمان.

صواريخ بحري

في المساء جاهد جابر أن يبدو على حالته الطبيعة فتصنع
المرح، ونادى على داوود: «فحمك والى، بيرتك سخنة زي ما أنت
بتحبها، وحتة بنى أهى لو مرسى زعزوعة اتشقلب ميعرفش يجيبها،
بزيتها، لا حنة ولا لىان دكر».

بعد أن شم داوود الحشيش واستحسنها: «جبتها منين دي يا
بن العفارىت؟»

جابر: «خطفت رجلى لجبل نعاسة بعد الغدا، واستقضيت من
هناك».

أخرج داوود علبة كرتونية صغيرة من جيبه فى حجم يوازي
نصف علبة السجائر، وناول (جابر) ما بداخلها: «طيب قولنا إيه
رايك فى دي».

وضعها جابر فى راحة كفه ثم هزه كأنه يوزنها.

جابر: «نص فرش، ٤ قروش بالتمام والكمال». ثم شمها، وذاقها بطرف لسانه، وتمعر وجهه: «بس ما دفعش فيها نص فرنك».

ضحك داوود: «يا وله ده نوع جديد في السوق، بيتاع بالباكو».

قاطع جابر: «أني شفته كذا نوبة مع مرسي، وقالني أحسن من اللبناني وأنصف من المغربي، وأرخص من الأفغاني، وفضل يحور لي، برضه ما خدتش منه».

داوود: «عشان ده بينشرب مع الشاي والقهوة، مش بينحرق».

جابر: «كنكة يعني»؟

داوود: «لأ ولا حتى بينغلي، ده تعمل كوباية الشاي الصح، وبعد كده تدوبه فيها على مرتين، وادعي لعمك داوود».

جابر: «جبتة منين يا عم داوود»؟

داوود: «يا وله إنت ليك أكل ولا بحلقة؟ قوم اعملك كوباية شاي وقولي رأيك».

جابر: «خليها دي بتاعت الليل وآخره، خد إنت مني الحجر الأفغاني ده، واحكي لي النمروود عمل إيه مع سيدنا إبراهيم».

تناول داوود الحجر ولما أشعله استحسنته وبدأ القص.

قال داوود: «طبعاً إنت عارف حكاية إبراهيم مع الأصنام وبعد ما كسرهما، وحط الفأس على كتف كبيرهم، وقال مستهزئاً إن الكبير

هو اللي كسرهم.. بعد الحادث آمن بإبراهيم ١٢ رجلاً من أهل أور منهم لوط بن هاران، ووشى تارخ الذي كان يعبد إينانا (تسمت بسمراميس آنذاك) ربة القمر ومحبوبة النمرود وزوجته، بابنه ومن معه عند النمرود.

فجمعهم النمرود لغرض المناظرة الكبرى، حضر إبراهيم والاثنان عشر رجلاً، وبالمقابل حضر النمرود ومعه عزازيل، الذي صحب معه الماشيح حور، وبدأ إبراهيم بقوله: «رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ»، قال النمرود: أستطع فعل ذلك إن عفوت عن أحد المحكوم عليهما بالموت وعفوت عن الآخر، هنا ضحك الموجودون سراً من الملك السفیه بما فيهم عزازيل، **إلا شخصان كانا في منتهى الجدية:** إبراهيم والماشيح، وهمس الأخير في أذن النمرود أحضر شخصاً واقتله، وبعدهما فعل تقدم الماشيح حورس، وأحياه.

جابر: «إزاي بس يا عم داوود»؟

داوود: «رجعنا تاني يا جابر لكثرة السؤال! هجاوبك بس خف أسئلة، عشان لو سألت تاني مش هكمل حكي».

جابر: «حاضر»!

داوود: «إنت نسيت إني قلت لك إن الماشيح وأمه احتفظا بصحف وكتب أبينا ميتاترون في تابوت العهد واحتفظا بكل العلوم لنفسيهما، وهي علوم لا توجد حتى في كتاب رزائيل المقدس، وبعدين ما رسولكم قال إنه هيعمل كده آخر الزمان وهيشق الشاب نصفين وبعدين يحييه، لكن الحق هو مش بيحي الشخص، وإنما بيستحضر قرينه».

أراد جابر أن يقول: إذا الماشيح حور هو الدجال لكنه سكت.
أكمل داوود: «بعدها علم إبراهيم أن مُنَاطِرَهُ هو الماشيح
فقال له تعجيزًا: «فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ
الْمَغْرِبِ».

قال جابر في نفسه: لعل عشان كده ربنا قال، «فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ»، ولم يسم النمروذ تحديدًا!

داوود: «وقتها أمر النمروذ بسجن إبراهيم والذين معه، في الليل
أتاهم يقطان (قحطان) وسهل هروبهم بما فيهم لوط، إلا إن إبراهيم
رفض الهروب، في الصباح جن جنون النمروذ وتمكن من القبض
على الفارين إلا لوط بن هاران، فقتلهم جميعهم، شر قتلة بصور
متنوعة، مثل: الزيت المغلي، والسباع، والرمي من شاهق وغيره.

أما إبراهيم فأوقدوا له نارًا فلما خرج منها سالمًا ذهب عقل
تارخ وصار مجنونًا فكان إبراهيم يستغفر الرب له حتى نجاه الرب
عن ذلك، وأوحى إليه أنه سيمسخ ضبعًا يوم الدينونة (أي تارخ).

وحدث أن هاران أخا إبراهيم وأبو لوط ومملكة ويسكة، كان
مترددًا في الإيمان بإبراهيم، فلما رآه يخرج من النار دنا منها فاحترق
بها، ولما تيقن النمروذ أنه ليس له قدرة على إبراهيم نفاه من أور
الكلدانيين، وعلم لوط بأمر النفي لأنه كان يدخل أور متكررًا وعزم
على أن يصاحب إبراهيم وسارة وجده الهرم الخرف إلى حاران، وفي
حاران هلك تارخ.

أما سارة فقد ورثت علم أبيها في التنبؤ بالنجوم، حتى إنها سميت في حاران باسم ساراي إسكاح: أي العرافة.

آمن أغلب أهل حاران بدعوة إبراهيم، وحدث أن كنعان ابن حام الأصغر، (عم النمرود) استحسّن أرضاً ليست من نصيبه في قسمة نوح، وهي الأرض الممتدة من لبنان حتى نهر مصر، وشرقي وغربي نهر الأردن وحدود البحر (أرض الميعاد)، وقال له جده نوح، إنه سيلعن نسله إن لم يدع الأرض لنسل سام، لكن كنعان لم ينزجر، فأوحى الرب إلى أبينا إبراهيم أن يترك أرض حاران ويذهب إلى أرض كنعان، ووعدته أن تلك الأرض ستكون له وذريته خاصة.

ولما ذهب إبراهيم إليهم، رفضوا دعوته وآذوه، فضربهم الرب بالقحط والمجاعة، فرحل إبراهيم إلى مصر وتعرف فيها إلى الحكماء من الكهانة، وهناك أبهر جمال سارة الملك أبيمالك ملك جرار، فأخفى إبراهيم زواجه بها عنه، فقط أخبره بأنها أخته لأبيه، فدعت سارة ربها، فكف الملك آذاه عنها ووهبها ابنته قطورة (هاجر) جارية لسارة، وأرض جازان لذريتها من بعدها، وكان هذا في الخامس عشر من نيسان، وهي نفس الليلة التي زار فيها الرب المصريين لكي ينقذ بني إسرائيل ذرية سارة فيما بعد.

وعاد إبراهيم بسارة سالمة دون مساس الملك أبيمالك إلى أرض كنعان مجدداً بعد إقامته في مصر ثلاثة أشهر، لكن خلال طريق العودة نشب خلاف بين رعاة إبراهيم ورعاة لوط؛ لأن رعاة لوط، قالوا: معلوم يقينا أن الرب وعد إبراهيم بهذه الأرض، لكن إبراهيم عقيم، وغداً يموت ويكون لوط وارثه، فلمَ ننتظر للغد؟ وبدأ رعاة

لوط يرعون في أرض إبراهيم. لكنَّ الرب تكلم قائلاً: صحيح أنني قلت لإبراهيم أنني سأعطي هذه الأرض لنسلك، ولكن بعد أن تهلك الأمم السبعة على ظهر الأرض، واليوم ما زال الكنعانيون فيها.

ولما امتد الصراع من الخدم إلى السادة، قرر إبراهيم أن لوطاً يجب أن يغادر الأرض، ولهذا لم يفارق لوط إبراهيم وحده، بل فارق أيضاً رب إبراهيم، ومضى إلى أرض كانت الفاحشة والخطيئة تطغيان فيها على كل شيء؛ حيث حلت عليه العقوبة (سدوم)، إذ أغوته بناته فيما بعد، وأوقعنه في الخطيئة، ولم يرضَ الرب عن إبراهيم لأنه لم يعشق مع عشيرته في سلام وانسجام، كما كان يعيش مع كل العالم الخارجي.

كما استاء الرب من إبراهيم لأنه كان يقر في صمت بإرث لوط له، رغم أنه قد وعده بكلمات واضحة لا لبس فيها: إلى نسلك سأعطي هذه الأرض.

وحدث أثناء كل ما سبق أن النمرود قد أتم بناء برج بابل، وجعل الأصنام في أعلاه، ورمى السماء بسهامه فعادت إليه مخضبة بالدماء، فقال قد هزمت رب إبراهيم ولم يبق إلا إبراهيم، ورغم أن الرب هدم ثلثي البرج على جند النمرود وبلبل ألسنتهم، إلا أن النمرود جمع جيشاً وذهب إلى إبراهيم في كنعان، وفي طريقه مر بسدوم فغزاها، وأسر لوطاً، وباع النمرود ملوك خمسة، بازع الشرير (النذل بيرا) ملك سدوم، وبرشاع الخاطيء (المذنب بيرشا) ملك جومورا (عمورة)، ووشيناب كاره أبيه ملك أدماه، وشمثير الشهواني ملك صبوييم، وبالع ملك بيلا المدينة التي تلتهم سكانها.

وفي ليلة عيد الفصح، وبينما كان إبراهيم يتناول اللدنة (الخبز غير المتخمّر) إذ بلغه النبأ، فلما علم إبراهيم بذلك غضب لابن أخيه، وجمع جيشاً من المؤمنين بقيادة أليعازر الدمشقي، وكان عددهم ثلاثمئة وثمانية عشر فرداً فقط.

وأيده الرب بالملاك ميخائيل (باليت) ومعناه الهارب؛ لأن سمائيل (شمهازي) حين سقوطه تعلق به ففر ميخائيل منه، ولم يسقط معه، كما أن الملاك (لايلا) قاتل لأجل إبراهيم، ودارت رحى الحرب في وادي السديم الخصيب، التي كونت فيما بعد قنواته البحر الميت، وجعل الرب السهام والرماح التي تلقى على جيش إبراهيم لا تصل إليه، في حين جعل الرمال وعصف وجذام الأرض التي ألقاها إبراهيم على عدوه سهماً مميتة.

وانتصر جيش إبراهيم ولم ينج من الملوك إلا ملك سدوم والنمرود، وتلك كانت أولى هزائمه، ولما عاد إبراهيم منتصراً قابله ملكي صادق (سام) كاهن الرب العلي، وملك القدس، بالخبز والنبيد، وعلمه شرائع الكهانة، والتوراة، ودعاه خليل الرب.

لكن ملكي صادق أخطأ في نظم الكلمات احتفالاً بالنصر فذكر اسم الرب المقدس الذي لا يذكر، فكانت عقوبته أن الرب قد طرده من شرف الكهانة هو وذريته العامة، واختار ذرية إبراهيم من سارة الزوجة ليكونوا شعبه المختار.

بعد أن انتهت مظاهر الاحتفال بالنصر والملك وشرف الكهانة، وبعد مرور عشر سنوات، شعرت سارة أنها السبب عن عدم الإنجاب..

فكلمت إبراهيم في أمر هاجر، فوافق بموجب روح القدس على عرض سارة، ولكن حدث أن هاجر بعدما شعرت بحملها بدأت تسيء معاملة سارة، فبادلتها الشحنة كثيرًا.

وبعد مضي ثلاثة عشر عامًا على ميلاد إسماعيل، كلف إبراهيم بأن يضع علامة العهد على جسده وجسد الذكور من آل بيته (الختان)، وتلكأ إبراهيم في البدء في تنفيذ الأمر الإلهي **فكلمه الرب قائلاً: يكفيك أنى ربك إلهك، كما يكفي العالم أنى ربه وإلهه.**

وقام إبراهيم بختان نفسه في العاشر من شهر تشرين؛ أي في يوم الغفران وفي البقعة ذاتها التي أقيم عليها الهيكل فيما بعد، إلا أن ما قام به إبراهيم سيظل تكفيرًا على الدوام والأبد لخطايا بني إسرائيل، **وفي اليوم الثالث أمر الرب الملائكة الثلاث: ميخائيل وجبرائيل ووروفائيل، أن يتراءوا بصورة بشرية لعيادة إبراهيم، وكلف روفائيل بتضميد جرح إبراهيم، وكلف ميخائيل بتبشير سارة بإسحاق، أما جبرائيل فكلفه بإبادة سدوم وعمورة.**

ولما فرغت الملائكة الثلاثة من العشاء الذي أتت نار من السماء والتهمته، سأل ميخائيل عن سارة لتبشيرها بإسحاق، وطلب كوبًا من النبيذ لمباركتها لها، فلما ذهب إليها بصحبة إسماعيل وبشرها البشرى ضحكت قائلة: أيعقل أن يحمل هذا الرحم طفلًا وأن ترضع هذه الأثداء التي ذبلت وترهلت رضيعًا، فضلًا عن أن إبراهيم أضحي عجزًا. **فوبخها الرب قائلاً: لماذا تتضحك سارة؟ وهل أنا عجوز عاجز عن القيام بالمعجزات؟**

وفعلًا حملت سارة في إسحاق (الضحكوك)، وقالت سارة:
إن الرب قد صنع لي ضحكا، وختنه إبراهيم في اليوم الثامن، وأقام
له وليمة ضخمة يوم فطامه، وكان سكان سدوم وعمورة ومدن السهل
الثلاث الأخرى من المذنبين والكفرة -رغم غناهم الفاحش جدًا
جدًا- كان يوجد بمدنهم وادٍ ضخم يجتمعون فيه سنويًا مع زوجاتهم
وكل ذويهم للاحتفال بعيدهم الأكبر الذي يستغرق عدة أيام،
يمارسون فيه كل أنواع والرذيلة، ولما علم إبراهيم بدمار المدن، دعا
إبراهيم ربه أن يرحمهم، فقال الرب لإبراهيم: إن وجدت خمسين
من المؤمنين فلن أعذبهم.

فلم يجد إبراهيم، فجعل الرب العدد أربعين، وأيضًا لم يجد
إبراهيم حتى وصل العدد إلى عشرة ولم يجد إبراهيم، فحق عليهم
العذاب، وحين عاد سكان مدن السهل الخمسة إلى مدنهم كان
الملائكة الثلاثة بيت لوط في سدوم يأمرونه بالفرار وعدم النظر
خلفه، ولما عاد سكان سدوم، أخبرتهم زوجة لوط بوجود الأضياف،
فطلبوا من لوط معاشرتهم فأبى وعرض عليهم بناته فرفضوا.

وفي صبيحة السادس عشر من نيسان، حل الدمار بالمدن
الخمس وأمسك الملاك ميخائيل بيد لوط وآله، بينما لمس الملاك
جبرائيل بإصبعه الصغير الصخرة التي بنيت عليها المدن الخاطئة
وقلبها رأسًا على عقب -مكانها اليوم البحر الميت- وأثناء فرار لوط
نظرت امرأته للخلف فتصلبت تمثالًا من الملح.

كما أرسل إلى النمرود بعوضة فدخلت من أنفه وصارت تتغذى على مخه فعذبته كثيرًا لكنه لم يمت، ولم يفقد هؤلاء حياتهم في هذا العالم فحسب، وإنما فقدوا نصيبهم في الحياة الأخرى أيضًا، ومع هذا فستعود المدن إلى الوجود عند عودة الماشيح، واستحث الملاك المنقذ لوطًا بالذهاب والعيش مع إبراهيم لكنَّ لوطًا رفض قائلًا: لما كنت أعيش بعيدًا عن إبراهيم كان الرب يقارن أفعالي بأفعال قومي، وبينهم كنت أبدو رجلًا صالحًا، ولئن عدت إلى إبراهيم فسيرى الرب أن أفعاله تفوق كثيرًا أفعالي.

لذلك وافق الملاك على رجائه بأن تبقى، صوغر، بدون هلاك كبير، وكانت هذه المدينة آخر المدن الخمس تأسيسًا، إذ كان عمرها واحدًا وخمسين عامًا فقط، لكنه عوقب لأنه أراد تقديم بناته كي ينقذ الأضياف.

فحدث بعدما استقر لوط في صوغر وفناء الناس -ومن بينهم زوجي ابنتيه- أن شعرت بنتاه بحاجتهما إلى الرجال، فسقتاه خمرًا وتبادلا مضاجعته حتى حملتا من أبيهما في يومين، فأنجبت الأولى، موآب وهو أبو الموآبيين، والثانية أنجبت عمون وهو أبو العمويين».

شعر جابر بغصة في حلقه ونفذ صبره، فكف عن رص أحجار الحشيش، ونظر إلى داوود، فرآه بعيون مثقلة شبه النائم: «إزاي بس يا عم داوود»؟

استيقظ داوود إلى واقعه بشكل مفاجئ، مما أخرجه من عالمه وسبب له ضجرًا: «هو إيه اللي إزاي يا جابر»؟

جابر: «إزاي نبي ينام مع بناته»؟
داوود: «ما هو كان سكران يا وله، وبعدين عرفت منين إنه نبي، إنت كنت شفته»؟
ازداد حنق جابر لتكذيب داوود القرآن صراحة.
جابر: «يعني سكران طينة لدرجة إنه مش واعي لأي حاجة، صح»؟

داوود: «صح».
جابر: «يبقى مش هيعرف يعمل حاجة، خصوصًا إنه راجل عجوز. يبقى إزاي البنتين حبلوا يا عم داوود»؟
داوود: «هو ده اللي حصل بقي يا خويا».
لم يقتنع جابر لكنه قال: «ممکن ليه لأ! وزى ما يقولوا، كل شيء جايز حتى دلع العجايز».

قاطعہ داوود: «لأ وأنت الصادق مش دلع يا روح خالتك.. أقولك! اطلع يلا شقتك عشان عاوز أنام».

صعد جابر لشقته يفكر في كلام الدكتور أحمد، وحاول كثيرًا أن يجد رابطًا بين المؤامرة التي زعمها الدكتور وبين تاريخ الأنبياء، لكن المسكين لم يتوصل إلى شيء، فنام مهمومًا.

دوبامين

خرج جابر للصيد فجرًا وعند صلاة الظهر قد كان انتهى من بيع أسماكِه في الحلقة، لم ينم كعادته فترة الظهيرة، بل اغتسل واتجه صوب فندق آمون، أخرج الكارت لموظف الاستقبال، فهاتف الأخير الدكتور أحمد، الذي نزل فورًا.

وفي بهو الفندق، وبعدما استقبله أحمد، أخرج جابر لفافة من جيبه، فظنها أحمد حشيشًا فارتبك جدًّا. «لا يا دكتور متقلقش! دي مجرد عطارة، بس الغريب إنها انتشرت في بحري كله، وبتباع عادي في الدكاكين والأكشاك، دي العيال في حارة البطارية يفتحوا عيونهم الصبح عليها».

أحمد: «وجايبها لي ليه يا شيخ جابر»؟

جابر: «أصلي اكتشفت إن ابني الدكتور وليّ هو اللي بيعملها، وإن عم داوود بيحب له حاجة اسمها دوبامين، وكنت عاوز أعرف يعني إيه دوبامين»؟

أحمد: «شيل يا شيخ البتاعة دي في جيبك وتعالى نطلع أوضتي نتكلم براحتنا».

في غرفة أحمد قص جابر ما سمعه خلصة بين وليّ وداوود، فاتصل أحمد بأحد أصدقائه من الصيادلة، وأخذ يدون نقاطاً أثناء المحادثة، ثم جلس قبالة جابر وملامحه تعلوها الجدية والأسى.

جابر: «خير يا دكتور طلع إيه الدوبامين؟»

أحمد: «للأسف هو مش خير، ولسة أنا متوقع الأسوأ كمان».

لم يفهم جابر مقصده فقال: «بالله عليك فهمني واحدة واحدة»!

أحمد: «باختصار شديد يا شيخ جابر، فيه غدة صغيرة في تجويف الدماغ بحجم حبة البازلاء، اصطلح على تسميتها بالغدة الصنوبرية، وهي تفرز هرمون اسمه الميلاتونين، وهذه الغدة تعد واحدة من آلاف المواد العلمية المحجوبة حقيقتها علمياً، إلا على أفراد الأخوية، ولا ينشر عنها إلا بعض الزيف والترهات، لدرجة أنه قديماً كان يقال عن هذه الغدة إنها المسؤولة عن الروح، أما الأخوية فيقولون إنها مسؤولة عن العين الثالثة، يقصدون الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة.

والدوبامين عبارة عن مادة كيميائية بتفاعل في خلايا الدماغ، وجزء من عمل الغدة الصنوبرية، وتؤثر على الأحاسيس، فبتنشط الانتباه، وتولد الشعور بالسعادة، علشان كده هي مادة أساسية في أدوية الاكتئاب، وأمراض نفسية تانية، بس الدوبامين لازم يُصرف

عن طريق طبيب؛ لأنه لو حد تناوله غلط سيسبب الإدمان، ويؤدي إلى نتائج عكسية ممكن توصل للانتحار».

جابر: «يا نهار إسود! وعم داوود بيحب البلوى دي إزاي ومنين؟»

أحمد: «هو ده السؤال المهم يا شيخ جابر، علشان كده أنا قلت إنني متوقع الأسوأ، وعاوزك تحكي لي كل شيء يخص داوود نعرف ممكن نعمل إيه».

قص جابر عليه قصته مع داوود وكيف أنه رباه صغيراً، وليس له أهل سواه، كما قص عليه كافة مرويياته له. شعر أحمد بمدى طيبة جابر وسذاجته، كما لمس فيه فطرته النقية.

أحمد: «فيه حد بيزوره أو هو بيزور حد معين؟»

جابر: «كان زمان بيحي له ناس أرمن وجريج كثير، وأحياناً طليان بس كلهم إسكندرانىة زينا، لكن دلوقتي على خفيف، وهو مش بيزور حد، إنما كل مدة هو بيسافر حوالي ١٠ أو ١٥ يوماً، ومرة قالي إن سبب سفره، إن له أرض هو بيروح يلم إيجارها».

أحمد: «هو معقول يا شيخ جابر اللي بيلم إيجار أرض يسافر المدة دي كلها شهرتياً، وبعدين إيجار الأرض بيكون سنوي حسب المحصول، مش كده ولا إيه؟»

أسقط في يد جابر، وقال: «صح يا دكتور، بس هو ليه كذب عليا السنين دي كلها؟»

أحمد: «هفهمك كل شيء يا جابر، بس اسمعني وافهمني كويس أوي، هتعرف إننا شبه بعض، مجرد أسماء ووظائف بس مختلفة، أنا اتولدت زيك وحيد أبي، وهو كمان كان وحيد جدي.. جدي ده يا شيخ جابر كان متدين جدًّا من أيام الكتاتيب وحفظ القرآن في سن صغيرة، ورغم إنه وحيد أبويه ومن عائلة كبيرة وغنية جدًّا في المنيا، إلا إنه ترك كل ده في أول شبابه ونزح للقاهرة عشان يلتحق بالأزهر، واستقر بالقاهرة وأصبح إمامًا وعالمًا وقتها، وصار له عمود بالجامع الأزهر للتدريس، وتزوج بالقاهرة وأنجب أبي.

كبر أبي وأصبح من أكبر أطباء القاهرة، وامتلك مستشفى كبيرة ومتخصصة، ولما بلغت سن خمس سنوات ألحقني جدي بالأزهر الشريف، رغم معارضة والدي الذي أراد أن ألتحق بمدرسة خاصة، لكنه رضخ في النهاية لأبيه العالم الأزهرى، أملًا في أن ألتحق بطب الأزهر حين أكبر وأكمل مسيرته الطبية، حتى أنهيت المرحلة الثانوية بمجموع يؤهلني فعلاً للطب، كان جدي قد توفي وكنت متعلقًا به جدًّا رحمه الله، غير إنني حين تعلمت القرآن والسنة منذ نعومة أظفاري في مراحل تعليمي الأزهرى.

رغبت أن أكون على ما كان عليه جدي، واندهرت عائلتي برغبتي في الالتحاق بكلية أصول الدين وليس الطب، ورغم رفض أبي الطبيب في البداية إلا أنه أيضًا رضخ في نهاية المطاف لرغبتي. وتزوجت من طبيبة شابة بنت طبيب مشهور وصديق لأبي، وأنجبت ابني الأول تامر وأحببت أسرتي جدًّا وتعلقت بها، فكانت

أسرتي ودراساتي هي كل حياتي، من خمسة وعشرين سنة وقبل شهر رمضان تحديداً، عرفت إن المراكز الإسلامية في أمريكا طالبة بعثة من الأئمة الأزهريين للقيام بصلاة التراويح والوعظ للجالية الإسلامية هناك.

تمسكت زوجتي بالفكرة جداً، خصوصاً إذا تمكنا من مد فترة الإعارة كي تستطيع الالتحاق بإحدى الجامعات هناك واستكمال دراستها العليا والحصول على الجنسية الأمريكية، وفعلاً حصل كده، وأول ما سافرنا روحنا ولاية نيو جيرسي، وعشنا في بلد اسمها هدرسون، وأنجبنا بنتي ليلي، وكانت حياتنا هادئة وجميلة، إلى أن التحقت زوجتي بجامعة يشيفا العبرية في نيويورك، وقتها انقلبت حياتي رأساً على عقب.

بدأت المشاكل أولاً في بعد المسافة بين إقامتنا في هدرسون ودراستها في نيويورك، رغم إن المسافة حوالي ساعتين وهي مش بتروح كليتها يومياً إلا إني وافقتها، وجاهدت لحد ما عرفت أنقل عملي لنيويورك، سنة بعد سنة، كنا حصلنا على الجنسية، ولقيت حياتنا بتتغير، تامر صار تومي، وليلى لي لي، وتأمركت أسرتي فعلياً. وأثناء مرحلة الدكتوراه سافرت زوجتي إسرائيل لجامعة هناك اسمها بار إيلان، بتكليف من جامعتها يشيفا، ورجعت بعد شهر إنسانة تانية غير أم ولادي اللي أعرفها، كما إنها حصلت على منحة للدكتوراه في كلية ألبرت أينشتاين، وهي فرع لجامعة يشيفا يديره مركز مونتيفيور الطبي، وبعدها عينت دكتورة في جامعة يشيفا، المهم إن

حياتي صارت جحيماً، أنا في وادٍ وأسرتي التي أفنيت عمري لأجلها في وادٍ آخر: أعني أنا الشيخ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذات الوقت أسرتي لا تلتزم بشيء من تعاليم الإسلام، فصارت تتردد في نفسي آيات سورة الصف: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾».

وقتها تومي انتقل لبيت آخر مع صديقتي، وطالبت كثيراً بالزواج منها، على الرغم أنني غير متقابلها لأمر كثيرة، إلا أنه رفض وأخبرني أنهما اتفقا على تأجيل زواجهما، وفي النهاية علاقتي به صارت قاصرة على الهاتف، ولو لا أنني أحادثه ما هاتفتني ولو مرت سنة.

وفي يوم عدت من صلاة العشاء، ولما سألت عن لي لي أخبرتني زوجتي أنها بغرفتها مع صديقها، طبعاً رفضت الموقف، وكانت الكارثة حين صعدت لغرفتها ورأيت الذي رأيت، ثورت ثورة عارمة، وانتهت الأزمة في مركز الشرطة بإمضائي على إقرار وتعهد بعدم التعرض لابنتي نظراً لأنها أتمت الثامنة عشر، خاصة أن لي لي أقرت أن علاقتها بصديقها برغبتها وليس هناك ثمة إكراه.

تفكرت فيما أوصلت نفسي إليه، واستعدت شريط حياتي وأنا العالم الأزهري وحفيد الإمام الأكبر، والأسباب التي أوصلتني لذلك الوضع المشين، وحاولت إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

فارتأيت أنني لم أقصر معهم ولكن غلطتي الوحيدة أنني سمحت لزوجتي بالانغماس في جامعة يشيفا العبرية، لدرجة أنها أصبحت كادراً مهماً بعد رحلتها لجامعة بار إيلان، وقتها نذرت نفسي للتنقيب خلف النشاط الحقيقي لتلك الجامعات.

بدأت بحثي الاستقصائي بأسماء أهم الخريجين، وجدت الطامات الكبرى يا شيخ جابر، على سبيل المثال: عرفت إن باروخ جولدشتاين، كان أحد تلامذة زوجتي».

جابر: «لا مؤاخذة يعنى يا دكتور، مين باروخ ده؟»

أحمد: «باروخ جولدشتاين الطبيب الذي قتل المصلين في مسجدهم، أكيد إنت سمعت عن مذبحه الحرم الإبراهيمي يا شيخ جابر».

جابر: «أيوووووه يا جدعان، تقصد ابن الكلب اللي فتح النار على المصلين، في مدينة الخليل؟»

أحمد بعد أن أغمض عينيه وهز رأسه: «هو ده يا شيخ جابر».

جابر: «وبعدين يا دكتور»!

أحمد: «أثناء تحضير درس التفسير، كنت في سورة إبراهيم، وصلت عند الآية رقم ٩، رب العزة سبحانه يخبرنا بقوله تعالى: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩».

لم يرو غليلي كل التفاسير الموجودة عن ماهية هؤلاء القوم الذين لا يعلمهم إلا الله، فقررت أن أعكف على دراسة كل ما يتعلق بالحضارات القديمة على ضوء الكتاب والسنة، وأتدبر القرآن من هذه الزاوية، خصوصًا فيما يخص اليهود وبني إسرائيل الذين أفرد لهم رب العزة حوالي ثلث القرآن ليخبرنا أخبارهم، وده ما أثار فضولي

واهتمامي أكثر، وبعد جهد جهيد من البحث والاستقراء، توصلت إلى أنه يوجد جماعة سرية عقائدية تعبد الشيطان من آلاف السنين، ومبلغ اعتقادهم مبني على انتظارهم لمليكمهم المسيح الدجال، ليسود العالم متحدياً الخالق عز وجل، وليثبت -والعياذ بالله- أن إبليس كان محقاً حين رفض السجود لآدم، وأنه أثبت ذلك بالتجربة».

جابر: «اسمها إيه الجماعة دي يا دكتور»؟

أحمد: «ربنا سماهم حزب الشيطان زي ما قلت لك قبل كده، وأتباع الجبت الدجال الساحر، والطاغوت الشيطان اللعين».

جابر: «قصديك إن الجبت هو الدجال والطاغوت هو إبليس»؟

أحمد: «راجع آيات القرآن المتعلقة بالجبت والطاغوت ولو مرة، وفكر في كلامي ثم احكم بنفسك، وابحث كمان واسأل عن الاثنين المقصودين في قوله تعالى في سورة فصلت: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾»، الآية بتتكلم بصيغة المثني يا شيخ جابر، حتى إن الطبري إمام المفسرين قال صراحة: هما من الجن إبليس، ومن الإنس ابن آدم الذي قتل أخاه».

صاح جابر: «قااااااين»؟

أحمد: «طبعاً داوود اللي ذكر لك الاسم ده»!

جابر: «أيوة، وقال إنه أبو الميتاترون، وإنهم أصل نسبهم».

أحمد: لكن وبرغم إن ربنا سماهم حزب الشيطان، إلا إنهم تسموا بأسماء عدة على مدار التاريخ، منها أخوية العين المقدسة،

ثم الأيادي الخفية، ثم البنائون الأحرار أو الماسونية، ومؤخرًا سموا أنفسهم المتنورين (الألوميناتي) في القرن السابع عشر. طبعًا ده الهيكل التنظيمي الأساسي، أما الفروع والأجنحة فحدث ولا حرج، أشهرها فرسان الهيكل، والصليب الوردي، والجمجمة والعظام، وآخرهم وأهمهم مجلس العلاقات الخارجية الأميركي.. وطبعًا ما خفي كان أعظم يا شيخ جابر.

المهم إني كلما مسكت خيط تفرق بي لألف خيط جديد، لدرجة أنني أشعر أنني قد سقطت في بحر متلاطم الأمواج، فأبدأ من جديد، وأصبحت حياتي مع أسرتي لا تطاق، فقررت إني أعيش في مصر وأنسى كل شيء وأبدأ من جديد، طبعًا رحبت أسرتي بقراري. ورجعت الأوقاف وجابوني إسكندرية عندكم في مسجد العطارين كمقيم شعائر، ولما قابلتك وكلمتني عن داوود حسيت إني لازم أحذرك منه، بس أفهم كل شيء عنه الأول، عشان ما اظلمهوش، خصوصًا إن اليهودي اللي بيكره الصهيونية أكثر منا، مثل طائفة السامريين ويهود البدتر الذين رفضوا جنسية دولة إسرائيل».

جابر: «يا نهار أبيض، الموضوع طلع كبير أوي يا جدعان».

أحمد: «العالم كله متضرر منهم من غير ما يشعر، لكن أنا أخذت الأمر ده بشكل شخصي لما حياتي تدمرت بسبب انضمام زوجتي لمحفل تابع لهم وخسرت أولادي».

جابر: «إنت طيب أوي وأنا كمان عاوز أكلمك بصراحة يا دكتور، أنا بعمل غلط كتير أوي، بس وربنا المعبود أنني أكثر حد

غلبان في الدنيا دي، وعاوز أقولك على سر... أني كمان من خمسة وعشرين سنة، كنت هموت على حته عيل يشيل إسمي، وفي يوم عم داوود طلب مني ومن محروسة مراتي إننا ندعي أنها حامل لكل الناس حتى أهلها، ونكون عند حسن الظن بالله عشان ربنا يهدينا ولد، لحد يوم ما كنت في ليلة القدر، لقيت عم داوود قالي عاوزك تقيم الليل النهاردة في سيدي المرسى وتدعي كتير أوي بدعاء النبي زكريا، لحد الفجر: «وَكَاثَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ» ، عملت زي ما قالي بالظبط، وطلعت من صلاة الفجر على مركبي قدام الجامع ع طول يا دوب خطيت الشارع، وفي المركب لقيت عيل ملفوف ببطانية، نايم هادي زي الملايكة، عمره أقل من شهر. أخذته وجريت على عم داوود، لقيته زي ما يكون منتظرني، ونادى على محروسة زوجتي -الله يرحمها- وحلفنا على المصحف الشريف إنه الموضوع ده يفضل سر بيننا، عشان كده صممت إنني أسميه وليّ».

أحمد: «وانت ناوي على دلوقت إيه يا شيخ جابر»؟

جابر: «رأيي إننا نبدأ بتقديم بلاغ للصحة والتموين عشان ننتهي من صواريخ الدوبامين دي، بس بلاش نقول أسامي، عشان خاطر وليّ ميجيش في الرجلين».

أحمد: «متخافش عليهم أكيد مأمنين أنفسهم كويس جدًّا، بس مش هو ده المهم، المهم إننا نعرف من اللي ورا داوود وإيه هي حقيقته».

جابر: «أنا من إيدك دي لإيدك الثانية، شوف الصح وأنا معاك».

أعطاه أحمد مسجل صوت صغير الحجم: «عاوزك يا شيخ جابر تتعامل معاه طبيعي جدًّا، وتخليه يحكي لك عادي، وأنا هعمل اتصالات مهمة، وبكرة نتقابل ونشوف هنوصل لإيه».

أخذ جابر مسجل الصوت بعد أن جربه أمام أحمد ودسه في جيبه.

دبورة

في المساء تأكد جابر أن المسجل يعمل قبل أن يدسه في جيبه،
ثم نزل إلى داوود، فقابله داوود بابتسامة عريضة.

داوود: «ها إيه ضربت الصاروخ بالشاي»؟

جابر: «كَرَفْتَه هادية أوي، وعاوز فنطاس شاي جنبه».

داوود: «حواري بحري كلها شغالة عليه، سمعت اللي حصل

لمرسي زعزوعة»؟

جابر: «لأ»!

داوود: «الحكومة كلبشته من شوية، وعرفت سكة المخزن».

جابر: «أكيد حد وز عليه، آمال الحكومة هتعرف طريق مخزنه

إزاي، كده يبقى الشيلة ثقيلة النوبة دي».

داوود: «ياللا في داهية المركب اللي تودي، كنت عاوز أكسر

قلة وراه، بس استخسرتها في أمه.. إنت غطست فين الضهرية»؟

جابر: «استقضيت من حارة البطارية». (الجهة المقابلة للحارة اليهود يفصل بينهما شارع النصر وفيه فندق آمون).
داوود: «ولع شوية فحم حلوين عشان حكاية النهاردة مهمة وهتفهمك حاجات كتير».

جابر: «عاوزك تلعلع.. وليك عليا مش هفتح حنكي».
قال داوود: «بعدما حملت ابنتا لوط من أبيهما، كثر الخوض من الناس في آل إبراهيم، فاضطر إلى الرحيل مجدداً، فكانت أسفاره من البداية كالآتي: أور (بابل) شكيم (نابلس) بيت إيل (مصر) بيت إيل (حبرون) دمشق (حبرون) جرار (بئر سبع) مريا (بئر سبع) حبرون».

أثناء كل تلك التنقلات كان إسماعيل وإسحاق قد كبرا وكبرت أيضاً كراهية سارة لهاجر والعكس، وامتدت تلك الخلافات لحق البكورية اللي كلمتك عنها زمان يا جابر، فإكر؟

جابر: «أيوة وقت أبناء نوح يام ومن بعده سام وحام».
داوود: «تمام ده اللي حصل بالظبط من تانيين فأصرت سارة على طرد هاجر وابنها إسماعيل، وقالت إنه لا تكون نبوة ولا ملك في إسماعيل، ولا يجمعني بهاجر وابنها شيء في الدهريين، وفعلاً انصاع إبراهيم لها، وطرد هاجر وابنها الذي صادف إنه يوم الاحتفال بفطام إسحاق».

وفي الحفل الكبير الذي أقيم لهذه المناسبة، وإخبار الخالق لإبراهيم: لا يسوء في نفسك أمر الصبي أو أمر جاريتك، واسمع

لكلام سارة في كل ما تشير به عليك؛ لأنه بالحق يدعى لك نسل وساقيم من ابن الجارية أمة أيضًا لأنه من ذريتك.

وأخرج هاجر وابنها، وفجر الخالق البئر لإسماعيل واتخذت أمه له زوجة، وسكنت بصحراء فاران (الجزيرة العربية)، وكان إبراهيم يتعاهد قطورة (هاجر) بالزيارة على فترات، وفي إحدى زيارات إبراهيم للجارية وابنها مصطحبًا معه إسحاق، وأليعازر الدمشقي خادمه، **تباهى إسماعيل متحدًا إلى أخيه قائلًا:** كنت أبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا حينما حدث الرب والدي بختاني، ولم أعصِ كلماته التي أمر بها والدي.

فأجابه إسحق: لماذا تتباهى عليّ بشأن هذه القطعة الصغيرة من اللحم التي أخذت من جسدك طاعة للرب؟ فأنا إذا طلب الرب من والدي أن أقدم كأضحية فلن أتردد وسأسارع بتنفيذ طلبه.

وهناك خاطب الرب إبراهيم: أن خذ ولدك وقدمه أضحية وقربانًا. فقال إبراهيم: لدي ولدان، ولا أدري أيهما تأمرني بتقديمه أضحية؟ قال الرب: ابنك الوحيد! **قال إبراهيم:** إن الابن الوحيد هو ولد أمه، والآخر هو الابن الوحيد لوالدته!

قال الرب: الذي تحبه. **قال إبراهيم:** أحب هذا وذاك. **قال الرب:** إسحاق.

وفعلًا انصاع إبراهيم وكذا إسحاق، وبينما هما في طريقهما للتضحية، إذ كلم إسماعيل أليعازر قائلًا: إن والدي يسير حاليًا مع

إسحاق لتقديمه أضحية الرب، وحين عودته سيعطيني كل ما يملكه
لأنني أنا ولده البكر.

فأجاب أليعازر قائلاً: لقد تركك إبراهيم مع والدتك وأقسم أنك
لن ترث شيئاً مما يملك، وأنه سترك كل أشياءه الثمينة لي أنا خادمه
المطيع الذي خدمه ليلاً نهاراً وقمت بكل ما يبتغيه.

هنا قالت الروح القدس: لن يرث إسماعيل أو أليعازر شيئاً من
إبراهيم.

واصطحب إبراهيم إسحاق إلى جبل المريا (جبل الهيكل
المقدس) إلا عند السامريين فإن المقدس هو جبل جرزيم.. أظهر
إسحاق الطاعة للخالق ولأبيه حتى هم إبراهيم بالنحر، فانفجرت
الملائكة بالعويل والصراخ قائلة للخالق: إن عهدك مع إبراهيم
سينتهك ألم تقل له: إنك ستُعرف من خلال نسل إسحاق. وتساقطت
دموع الملائكة على نصل السكين، فلم يتمكن إبراهيم من الذبح،
هنا استدعى الخالق ميخائيل كبير الملائكة، **وقال له:** لماذا ها هنا
تقف، ولا تجعل إسحاق يذبح؟

هنا صرخ ميخائيل من فرط الحزن: إبراهيم يا إبراهيم لا
تذبح ولدك.

أجاب إبراهيم أمرني الرب بالذبح، وتأمرني أنت بألا أفعل،
فهل أستمع إلى كلمات المعلم أم إلى كلمات التلميذ؟

ثم سمع صوتاً يتردد في أركان السماء قائلاً: يقول الرب أقسمت
بنفسي لأنك فعلت هذا الأمر ولم تحتفظ بابنك فإني سأباركك كل

بركة، وسأجعل نسله كنجوم السماوات ورمال البحر، وسيسيطر نسلك على بوابات الأعداء، ويبارك نسلك في كل أمم الأرض.

ونزل إلى الأرض حملاً كان الرب قد خلقه خلال شفق يوم السبت من أسبوع الخلق، وأعدّه منذ ذلك الحين أضحية لهذا اليوم، وحدث أثناء ذلك كله أن عزازيل كان قد ذهب إلى سارة وأخبرها أن إبراهيم قد ذبح ولدها، فهامت على وجهها حتى حبرون وذهبت إلى منزلي سام وعابر، فلم تجد زوجها إبراهيم هناك، ثم أتاها عزازيل مرة أخرى قائلاً: حدثتك كذباً أن إبراهيم قد ذبح إسحاق، ولكنه الحق حي يرزق، فماتت سارة لتوها من فرط السعادة.

وحينما عاد إبراهيم مع إسحاق إلى بئر سبع، علما بأن سارة ذهبت إلى حبرون فلما ذهباً إلى هناك وعلما بوفاتها اغتما غمّاً شديداً، واشترى إبراهيم من أبناء شيث حقل عفرون، التي تقع به مغارة المكفيلة المدفون فيها آدم وحواء، ليدفن سارة فيها ولتكون قبره بعد موته.

كما توفي أيضاً في ذلك الحين لوط، عن عمر يناهز مئة واثنين وأربعين عاماً، وقد تزوج ولداه موآب وأمنون من زوجات كنعانيات، وكان نسلهما كثيراً جداً، كما توفي ناحور أخو إبراهيم في حاران بعد أن بلغ مئة واثنين وسبعين عاماً.

أثناء كل ذلك لم تكف محاولات عزازيل وليليث وحزبهما سواء في بابل أو حزب الماشيح وأمه في مصر، عن مناهضة إبراهيم وحزبه من المؤمنين، لكن باءت كل تلك المحاولات والدسائس

بالفشل، أمام صلابة إيمان إبراهيم، وأهم هذه المحاولات كان محاولة أليعازر تزويج إسحاق من ابنته، لكن إبراهيم رفض بشدة، لكنه أمر أليعازر بالذهاب إلى فدان أرام النهرين (حاران) لاختيار زوجة لإسحاق، حينما بلغ أربعين سنة».

قال داوود الساعاتي: «فاكريا وله يا جابر ملكة بنت حاران»؟

تذكر جابر كلام الدكتور أحمد يوم شرح له أن إبراهيم ابن آزر وليس ابن تارخ، وإلا لترتب على ذلك كم مهول من زنا المحارم، فقال بفطرته الطيبة، ولكنها محبة لاستعراض العلم كعادة الجهلاء **موكدًا:** «مش دي يا عم داوود بنت هاران أخو سيدنا إبراهيم واللي اتجوزت عمها ناحور أخو إبراهيم برضه»؟

لم يتذكر داوود أنه قال تلك التفصيلة، لكنه لم يكثرث، مطمئنًا لثقة جابر فيه.

فقال في غير مبالاة: «أيوة يا عم الغلباوي هي، أهي ملكة دي أنجبت بتوئيل وسبعة إخوة هم أصل الآرامية، وبتوئيل أنجب رفقة (ريبيكا)، وأخوها لابان، وخليك فاكر لابان ده يا جابر!

اختار أليعازر الدمشقي رفقة من دون النساء زوجة لإسحاق، على الرغم من وثنتها، طبعاً الأب بتوئيل الوثني المتعصب، والأخ لابان الوثني البخيل الطماع، رفضاً تلك الزيجة بشدة، الغريب بقى إن بتوئيل مات مسمومًا في ذات اليوم حين رفض الزيجة، ولابان وافق بعدما أخذ أسورتين مصنوعتين من الأحجار الكريمة والكثير من الأموال.

طبعًا لم يقل داوود أن هذا الترشيح لم يكن لأليعازر منفردًا بقراره هو، ولكنه رضى لمن حرضه على ذلك، وأن دبورة مرضعة رفقة هي من قتلت بتوئيل والد رفقة، وكانت الرائشة بين لابان وأليعازر الدمشقي.

عاد أليعازر مصطحبًا معه رفقة ومرضعتها وأمها الروحية (دبورة العميلة السرية لحزب عزازيل)، دون أن تنتظر حتى فترة الحداد على أبيها، بناءً على إلحاح من أليعازر، وهو ما كلفه كثيرًا من الأموال، خصوصًا لأخيها لابان، أيضًا من الغرائب أن أليعازر عاد من حران إلى كنعان خلال ثلاث ساعات، وهي الرحلة التي تستغرق سبعة عشر يومًا تضرب فيها أكباد الإبل، كأنه محمولًا على أجنحة شياطين، أو ملائكة.

سعد جدًا بها إبراهيم وإسحاق لقربتها ولقبولها الإيمان بمجرد عرضه عليها، فأتم الزواج على وجه السرعة، ولفرط سعادة إبراهيم أعتق أليعازر الدمشقي، وتحولت اللعنة التي حلت على أليعازر-ولم تسلم منها ذرية كنعان- إلى بركة بسبب أنه أتم مهمته بنجاح، وكانت المكافأة العظمى هي أن وجده الرب جديرًا بدخوله الجنة حيًا، وهي ميزة لم يحظ بها سوى أقل القليل.

بعد زواج إسحاق شعر إبراهيم بالوحدة، فذهب وأقام مع قطورة في فاران، وخلال عشرين عامًا أنجبت له ستة أبناء، وهم: زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا، بالإضافة إلى بكرها إسماعيل.

وخلال تلك العشرين عامًا، ظلت رفقة عاقراً إلى أن بلغ إسحاق الستين عامًا، ثم حملت في توأمها عيسو (العيص) ويعقوب (جاكوب، إسرائيل فيما بعد)، وكانا يتصارعان وهما لا يزلان في رحمها، فسألت رفقة فجاءتها النبوءة، وقال لها الرب: في بطنك أمتان ومن أحشائك يفترق شعبان، شعب يقوى على شعب، وكبير يستعبد لصغير.

وأراد يعقوب الخروج أولاً إلى الحياة ولكن سبقه عيسو، فربطت القابلة خيطاً من صوف أحمر قرمزي حول معصمه^(١)، كان عيسو أحمر الشعر كثيره».

قال جابر مقاطعاً داوود: «شبه دكتور وليّ ابني كده يا عم داوود»؟

تغير وجه داوود معبراً عن انزعاج شديد، لكنه لم ينبس ببنت شفة، وكان (جابر) لم يتكلم أصلاً، ثم واصل حكيه: «وكان عيسو فارساً بمعنى الكلمة، محباً للصيد وللنساء، خصوصاً الكنعانيات، وتزوج من الحثيين بسمة بنت إيلون (عدا)، وأهو لبامة (يهوديت) بنت بيرى الحثي (صبعون)، وكانتا وثنيتين من جبل سعيير تعبدان الصنم بعليم، وهما من نسل حام، وعلى الرغم من ذلك كان عيسو قرّة عين أبيه إسحاق.

(١) هذا التقليد يفعله حتى الآن المنتسبون إلى ذلك السبط فخراً لهم كونهم يهوداً - من بني

قايين - وليسوا عبرانيين إسرائيليين منتسبين لبني يعقوب الغافلين، أو المغفلين.

وحدث أنه مرة خرج إلى الصيد فقابل النمروذ يصطاد برفقة اثنين من حرسه الشخصي ومبتعدًا عن بقية رجاله، وكانت البعوضة التي في رأسه قد أنهكته صحياً وجسدياً، لكنه كان دوماً حين يخرج إلى الصيد يرتدي ملابس مصنوعة من جلود حيوانات الجنة، كان قد نزل بها آدم من الجنة، وورثها النمروذ عن أبيه كوش عن أبيه حام الذي كان يرتديها على الفلك أثناء الطوفان، ومن خصائص تلك الملابس أنه من يرتديها تنصاع له حيوانات الأرض، فلا يقوى أي من السباع أو الضواري على مهاجمته.

فلما رأى عيسو ذلك هجم على النمروذ وهو لا يعرفه وقتله وجنديه، ثم لاذ بالفرار، وارتدى الملابس الجلدية، فأصبح ثاني أمهر صياد في التاريخ بعد النمروذ، الصياد الجبار أمام الرب.

أما أخاه يعقوب فكان لا ينفك عن كنف أمه رفقة، التي طالما فضلته عن أخيه، وميزته بالدلال المفرط وتلبية الرغبات، فنشأ وهو غير قادر على البت في أي شأن، وإن كان بسيطاً إلا بعد الرجوع إلى أمه.

أثناء ذلك كله كان إبراهيم قد بلغ من العمر ما بلغ، وأثناء إقامته مع قطورة، أوحى إليه الرب: أن يا إبراهيم رتب بيتك، فعلم أنها رسالة من الرب بدنو الأجل، فجمع أبناءه من قطورة إلا كبيرهم إسماعيل، وأعطاهم الكثير من المال والأحجار الكريمة، وأمرهم بالذهاب، إلى أقصى الشرق وإقامة ممالكهم هناك، وهم الذين تتبعهم حزب عزازيل بعد ذلك، وحثهم على أنواع الشرك من دون الله، فمنهم عبدة الحجر والبقر والشجر والشمس والقمر.

واصطحب إبراهيم بكره إسماعيل، وظن إسماعيل أن أباه سوف يمنحه حق البكورية، لكن حينما وصلا إلى حبرون، دعا ابنه إسحاق وولديه عيسو ويعقوب، وسلم إسحاق حق البكورية، ورضخ إسماعيل لحكم أبيه، ثم توفي إبراهيم بعد ذلك بمدة يسيرة، ودفنه إسماعيل وإسحاق في مغارة المكفيلة مع سارة، ورفض إسماعيل الذهاب مع إسحاق إلى مسكنه في بئر لحي رؤى (بئر الحي الذي يراني).

وأصر على العودة إلى فاران، فصاحبه عيسو وهناك رأى محلة (ماهالات، بسمة) بنت عمه إسماعيل، وعشقها من النظرة الأولى لكنه حين طلبها للزواج رفض إسماعيل، معتذراً أن ابنته حنيفة مسلمة على ملة إبراهيم، وأنها لا تجوز أن تتزوج إلا بمثلها، عاد عيسو إلى بلاده منكسراً وحزيناً.

والحق يقال إن حزب عزازيل حاول كثيراً أن يغري إسماعيل بكر إبراهيم للانقلاب على أخيه الأصغر إسحاق، لأجل حق البكورية لكنه فشل.

قال جابر في نفسه: حقاً الحق ما شهدت به الأعداء. قبل أن يقول جهراً: «يمكن يا عم داوود عشان ربنا أوحى له إنه هيخرج من صلبه سيد ولد آدم ويكون الشرف في الآخر لبني إسماعيل وليس لبني إسحاق»؟

تمعر وجه داوود وقال: «بني إسماعيل ولا بني إسحاق المهم عند عزازيل إنهم ياكلوا في البعض ويبقى بني قابيل الملكية».

وشرد قليلاً قبل أن يقول: «يا بني إنت ما مسمعتش الآية اللي بتقول: «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ»؟
جابر: «حقك عليا يا عم داوود! والنبي تكمل».

قال داوود: «كان عيسو برًّا جدًّا بأبيه وكثيرًا ما طهى اللحم الطازج الذي يصطاده له بنفسه، وهذا ما كان يغيظ رفقة التي شاهدت حب زوجها الجم لبكره عيسو وتأكدت أنه سيمنحه حق البكورية.
وزي ما قلت لك قبل كده، البكورية دي شيء عظيم جدًّا يا جابر، لدرجة إن الرب قال لموسى فيما بعد: قدس لي كل بكر فاتح رحم من بني إسرائيل، من الناس ومن البهائم، إنه لي.

حتى كان يومًا وأثناء عودة عيسو من الصيد وتحديدًا يوم صارع النمروذ وقتله، ثم فر من أمام الجنود، ذلك اليوم كان عيسو جائعًا وجريحًا يكاد يغشى عليه من شدة الإعياء، فوجد أخاه يعقوب يطهو العدس الأحمر، على طريقة أمه الجيدة، وكانت رفقة بمشورة من دبورة سفيرة عزازيل ومربية رفقة، قد طلبت من يعقوب أن يحتال على أخيه ليسلبه حقه في البكورية، فلما طلب منه عيسو طبقًا من العدس، قايبه يعقوب على حقه في البكورية مقابل طبق العدس.

وجاءه عزازيل الذي كان يراقب المشهد وقال لعيسو: بماذا تنفعك البكورية إن كنت على وشك الموت.

فقال عيسو: ها أنا ماضٍ إلى الموت، فلماذا لي بالبكورية؟

فقال يعقوب: احلف لي. فحلف له، فباع بكوريته ليعقوب وسعد عزازيل جداً بذلك المشهد، فبعد أن أكل عيسو وشبع أخذ يندمه على فعلته، ونجح في أن يجعله يحث في قسمه، خاصة لأنه كان قد يئس من إغواء إسماعيل، أو إثنائه عن الرضوخ لأخيه والمطالبة بحق البكورية، فأجل خطته إلى الجيل اللاحق.

وعرف أن هدفه القادم هو عيسو، فكان يحثه على زيادة بره بأبيه إسحاق، الذي كان قد فقد بصره، وازداد تعلقه بابنه عيسو، وهنا عملت دبورة -بتكليف من عزازيل- على تقوية علاقتها بزوجات عيسو، ويهوديت الطامحة للرئاسة، فأخذن يطالبنه بعدم التنازل عن حقه، إلى أن جاء يوماً ودعا إسحاق بكره وحبيبه عيسو، **وقال له:** إني قد شخت ولست أعلم يوم وفاتي، فاخرج إلى البرية واصطاد لي صيداً، واصنع لي أطعمة كما أحب، وائتني بها حتى تباركك نفسي قبل أن أموت».

«بس يا عم جابر كانت رفقة واقفة برة تتصنت على الكلام، وأخذت ديلها في سنانها وهات يا جري على دبورة ويعقوب، وحكت لهم الموضوع، وبعد مشاورات وجدل، شارت دبورة لرفقة بخطة عجيبة، ونفذتها رفقة في الحال، **فقالت لابنها:** اذهب إلى الغنم، وخذ لي منهم جديين جيدين من الماعز، وأنا أصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب، وتحضرها أنت لأبيك حتى يباركك قبل وفاته.

فقال يعقوب لكن عيسو رجل أشعر وأنا رجل أملس، وربما يجسني أبي فأكون في عينه كمتهاون، وأجلب على نفسي لعنة،

ضغطت دبورة على يد رفقة فازداد حماسها **وقالت:** اسمع لقواي ولعنك عليّ يا ابني.

وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت، وألبستها يعقوب ابنها الأصغر، وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي الماعز، وأعطته الأطعمة والخبز وخبزاً وذهب إلى أبيه. **وقال:** يا أبني! ها أنذا.

إسحاق: من أنت يا ابني؟

يعقوب: أنا عيسو بكرك، قد فعلت كما كلمتني، قم واجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك.

تعجب إسحاق للسرعة التي أتى بها عيسو، فقال يعقوب: إن الرب إلهك قد يسر لي الصيد. لكن لم يطمئن إسحاق، **فقال له:** تعالى يا بني لأجسك.. أأنت عيسو أم لا؟

وفعلًا لقي إيديه مشعرتين، فقال: الصوت صوت يعقوب، لكنّ اليدين يدا عيسو. فأكد له يعقوب: أنا عيسو. وقدم له الأكل فلما سقاه خمرًا، باركه إسحاق».

قاطع جابر داوود متعجبًا: «إيه اللي بتقوله ده بس يا عم داوود! يعني إيه كم المكر والكذب ده كله، معقولة ده يحصل في بيت أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم، وربنا مطلع على كل ده ويؤيده»؟

داوود: «أيوة يا خويا ربكم شاف كل ده وسكت وأيّده، كمان أقر البكورية ليعقوب في المدينة اللي كان اسمها لوز، وسماها

يعقوب بيت أيل، عشان الرب كلمه هناك، ووافقه على اللي هو عمله وباركه هو كمان، وأعطاه البشارة وهو هربان».

ثم أخرج داوود كتابًا من درج قريب ووضعه أمام جابر: «أدي يا خويا الكتاب المقدس أهو! افتح على سفر التكوين واقرأ بنفسك يا أبو العريف».

تحسس جابر جهاز التسجيل في جيبه وقال على مضض: «إنت أدري يا عم داوود!»

داوود: «قسماً عظماً لو قاطعتني تاني هبطل احكي لك، وبعدين مش أنا لسة قايلك آية سورة المائدة: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ».

ود جابر لو استطاع أن يصرخ في وجه داوود مطالبًا إياه بالكف عن رواية المزيد من الأكاذيب، ووجد في نفسه كمًا هائلًا من الكراهية تجاه داوود، لكنه كتم شعوره حتى يتشاور مع الدكتور أحمد فيما يفعلان.

داوود: «مالك يا وله يا جابر متنح ليه»؟

جابر: «سلامتك يا عم داوود، عمل إيه سيدنا يعقوب بعد ما كذب واحتال على أبيه سيدنا إسحاق».

داوود: «رجع عيسو بعد أربع ساعات من الصيد وصنع الأكل لأبيه، فحكى له إسحاق ما حدث، عن مكر أخيه وأخذه للبركة بالحيلة كما أخذ البكورية من قبل، فصرخ عيسو صرخة عظيمة ومرة جدًّا، وعقد العزم على قتل أخيه يعقوب».

سمعت دبورة صرخة عيسو، فأخبرت رضيعتها رفقة، فطلبت من ابنها الفرار إلى فدان أرام (حاران) عند أخيها لابان (الوثني)، وبالفعل هرب يعقوب وجاءه الرب في الطريق وباركه على فعلته، ولما جاء عيسو غضبان إلى أمه حاولت تهدئته وأخبرته أن ما حدث بسبب زواجه بالوثنيات.

وأن عليه أن يتزوج بمن هي على ملة إبراهيم الحنيفية، وأشارت عليه بالعديد من بنات الجيران والقريبات، فطلب منها مهلة للتفكير واختيار الأنسب، أثناء ذلك كان هناك في بابل اجتماع على مستوى القمة لأخوية العين المقدسة، حضره الماشيح حورس وأمّه إيزيس وعزازيل وزوجته ليليث والنيفليم سطانئيل وشمهازاي.

كما تم استدعاء دبورة لحضور القمة، في البداية طلب عزازيل للمرة الألف معرفة مكان التابوت والاطلاع على صحف وكتب إدريس، وللمرة الألف أيضاً رفضت إيزيس واختصت به نفسها وابنها، خاصة بعد امتلاك عزازيل لكتاب رزائيل، فكان الموضوع التالي على جدول الأعمال: هو مناقشة الحدث المهم في بيت آل إبراهيم، وبعد المناقشات تم وضع الخطة كالاتي: تم تكليف دبورة بمصاحبة الملكة إيزيس وتقديمها إلى عيسو على إنها إحدى قريباتها من حاران، وبعدما يتعلق عيسو بها ويطلب الارتباط بها، تذكره بمعشوقته الأولى محلة بنت إسماعيل، وكيف أنها لا ترتضي أن تأخذ مكانتها في قلبه.. وإن كانت لن تحرمه جسدها الذي ما ذاقه أحد إلا أدمنه حتى الجنون، خاصة وأن عيسو من ذلك النوع من الرجال العاشق للملذات.

ولكن بدايةً، عليه أن يتهود -يصطنع التوبة والإيمان- حتى يتسنى ضمه للأخوية، وحتى يقبل عمه إسماعيل بزواجه من ابنته محلة، وبعد ذلك يتم إقناع محلة بحق أبيها وحق زوجها في البكورية والملك، ولو استلزم الأمر قتل يعقوب حين عودته، وصار الأمر وفق ما خطط له في محفل الأخوية.

وأنهت دبورة مهمتها كونها قوادة مقدسة، إذ جمعت بين إيزيس وعيسو، ثم لحقت دبورة بسيدها القديم لابان، وكان قد سبقها إليه يعقوب في حاران، وعلى أبواب حاران وجد يعقوب راحيل ابنة خاله لابان، فسقى لها الغنم ثم قبلها ورفع صوته وبكى، وأخبرها بأنه أخو أبيها وليس ابن عمتها وأنه ابن رفقة، فلما قبلها، ركضت صوب أبيها وأخبرته الخبر، فرح به لابان ودعاه لمنزله، ويبدو أن قبلة راحيل حركت مشاعر يعقوب الذي تجاوز الأربعين، ولم يعرف للنساء مذاقًا، فبعد شهر من وصوله حاران اتفق مع خاله على تزويجه من ابنته الصغرى راحيل مقابل خدمته سبع سنوات.

ومرت السنون ويوم وفاء الأجل، صنع لابان وليمة عظيمة، وجهز ابنته الدميمة ليئة ووهبها جاريته زلفة، ثم أدخل ليئة مساءً على العريس، وفي الصباحية يا جابر حين أشرقت الشمس.. استيقظ يعقوب فيكتشف إن من كانت معه طيلة الليل ليئة ذات النظر الضعيف وليست حبيبته راحيل.

وقال لها: لماذا كنتِ تجيئيني طيلة الليل حين كنت أدعوكِ راحيل؟! فألجمته القول حين قالت له: فعلت بك كيفما فعلت أنت

بأبيك حين دعاك عيسو فأجبتة. فخرج يعقوب لخاله لابان ولامه على صنيعه، فقال له لابان: إنه لا ينبغي أن تتزوج الصغيرة قبل الكبيرة، وأن عليه أن يعمل لسبع سنين مجددًا حتى يتمكن من الزواج براحيل، ووافق يعقوب، وأعطى لابان الجارية بلهة لابنته راحيل، ودخل يعقوب على راحيل بعد أسبوع من دخلته على ليئة، على أن يخدم خاله سبع سنوات جديدة».

تأفف جابر حين شعر أنه يشاهد فيلم ليلة الدخلة لإسماعيل ياسين وحسن فايق، حين يكتشفان الخدعة فيكافحان مجددًا للتمكن من دفع الصداق، تقريبًا نفس القصة، فقال جابر مازحًا بكوميديا سوداء، بعد أن كان قد سئم أكاذيب داوود، وافترائه على الأنبياء.

جابر: «خطوا لها تفاح في صدرها زي الفيلم يا عم داوود»؟

داوود: «أقولك أنا هحط لك التفاح فين يا خفيف»؟

جابر: «لا يا عمنا لا تحط لي ولا احط لك، كمل دي احلوت أوي».

قال داوود: «استمر يعقوب في خدمة خاله عشرين سنة، جمع فيها أموالاً كثيرة وقطعاً من الغنم، وحبلت ليئة في بكرها رأوبين (روبين) ثم شمعون ثم يهوذا ثم لاوي (ليني)، وعندئذ تدخلت دبورة وتسببت في غيرة راحيل من أختها ليئة وأشارت عليها بمشورة، وعملت بها راحيل.. فدعت يعقوب للدخول على جارياتها بلهة، فأنجبت له ولدين، دان ثم نفتالي، مجددًا ذهبت دبورة

بنفس المشورة إلى ليئة واستجابت لها، فدعت هي الأخرى يعقوب للدخول على جارتها زلفة.

واشتعل ماراثون الإنجاب بين الأختين وجواريهن، وشكلت كل أخت فريقاً بمساعدة جاريتهما، وبتحكيم من دبورة كبيرة الجواري، ولما دخل يعقوب على زلفة جارية ليئة، أنجبت له ولدًا أسمته جادًا، ثم آخر أسمته أشير.

وتفوقت ليئة وأنجبت الخامس وأسمته يساكر ثم السادس زبولون، ثم السابع وكانت بنتا أسمتها دينا، هنا ذكر الله راحيل فأنجبت يوسف، ثم بنيامين.. ومع كل إنجاب تقول الفائزة قد فعل لي الرب كذا، فلذا سوف أسمى المولود كذا، إلى أن أراد يعقوب العودة إلى بلاده، فطمع لابان في ثروته، ثم اتفقا على أن يدفع له كل شاة سوداء وبلقاء^(١) وكل شاة سوداء بين الخرفان، وبلقاء بين الماعز، وأخذ هو التيوس المخططة والبلقاء، وكل العناز الرقطاء^(٢) والبلقاء، كل ما فيه بياض وكل أسود من الخرفان.

ثم بعده حِيلَ تمكن يعقوب أن يكون أغنى من خاله، وصار له غنم كثير وجواري وعبيد وجمال وحمير، وأوحى الرب إلى يعقوب: أن ارجع إلى بلادك.. وتمكن يعقوب من الفرار بعد أن أكد لزوجتيه أن نصيبهما في مستحق أبيهما فهو لهما مناصفة غير إرثهما منه - أي

(١) البلق، هو ما كان فيه سواد وبياض، نقول: بلقاء الفرس. (المؤلف).

(٢) رقط الثوب: أي كان أسود وجعل فيه نقاطًا بيضاء، أو كانت بيضاء وجعل فيها سوادًا.

(المؤلف).

يعقوب- وتمكنت راحيل من سرقة إله أبيها قبل الفرار، ولما علم لابان بفرار يعقوب ومعه الأبناء والأغنام سارع في اللحاق به، فقطع طريقه كبير الملائكة وحذره من أذى يعقوب، وحين لحق لابان بـيعقوب طالبه أن يعطيه الإله خاصته، ثم يفترقا في سلام، وحقاً لم يكن يعقوب يعلم بأمر الإله المسروق، فطلب من لابان تفتيش القافلة، لكن راحيل خبأت الإله تحتها في هودج الجمل، ثم ادعت أنها حائض، فلما لم يعثر لابان عليه، غضب غضباً شديداً، وثار ثورة عارمة، ولحق بالركب عند جبل جلعاد، وكاد يفتك بالقافلة وحتى بابنتيه، إلا أنه تراءى له كبير الملائكة ميخائيل، وقد تقلد سيفه، فخاف لابان وكبح غضبه.

وسبب غضب لابان الشديد، أن هذا الإله المزعوم كان الإله بافوميت، يُزعم أنه يستطيع الإخبار بـأماكن الكنوز، والإخبار بأي حدث كان في أي مكان في أي وقت.

(تسمى ترافيم إن كانت مسبوكة: أي توضع في قالب من النحاس أو الذهب المصهور على شكل إطار للحفاظ عليها قروناً طويلة) وهي طريقة علمها عزازيل للبشر قديماً وحديثاً وتتبعها الأخوية حتى تاريخ كتابة هذه السطور، وهي كالتالي: يأتي أحدهم لـبكره الذكر بعد البلوغ، ثم يذبحه بنفسه، وليس بواسطة أحد بعد قص شعره وشعر المذبوح، وتلاوة تعاويد معناها الخضوع والرضوخ للإله بافوميت إله النور والمستعلي على إله الظلام، والسيد لمن دونه من آلهة.

ويتم أخذ الرأس فقط ونقعها في الزيت في ليلة قمرية بدرية، ثم تستخرج الرأس من الزيت، صباحًا ويتم حشو تجاويها جيدًا بالملح، ثم تدفن في وعاء مصنوع من خشب البلوط، وتترك يومًا كاملاً في مكان خالٍ، يفضل صحراء شديدة الشمس، ثم الخطوة الأخيرة وهي أن يوضع سبيكة أو عملة ذهبية منقوش عليها اسم بافوميت تحت لسان الرأس المذبوح، وأخيرًا يعلق الوعاء في سقف غرفة، تُضاء بواسطة النيران ذات الأدخنة الكثيفة، حتى يذوب الملح، وتبقى الرأس متبسة بواسطة الحرارة والدخان والملح، وأثناء إشعال النار تتلى تعاويذ.

فإذا فعل ما سبق كقربان لعزازيل وجنده، تكلمت الرأس بعد ذلك بإذن ربها الكوني، ودلت على ما يعجز اللسان عن ذكره.

إلا أنها -أي رأس بافوميت- توحى لعبادها أنها تعلم الغيب المستقبلي، وهو علم ذو درجة عالية جدًا من السحر الأسود، وتستطيع علاج الأمراض بوسائل طبيعية، وعقاقير مجددة للخلايا... وغيرها الكثير من لأعمال، خاصة إذا داوم عبادة رأس بافوميت على سقياها بدم الرضع.. ومن أشهر عباد تلك العبادة الشيطانية قديمًا كهنة مردوخ في بابل وآمون في مصر قديمًا، وفرسان الهيكل، وما وراءها في العصور المتوسطة والحديثة.

وهذا السبب الحقيقي لغضب لا بان، لأنه لولا هذا الإله ما ساد قومه، وأصرت راحيل أنها لا تملك الإله.

وبعدما يئس لابان من العثور على ربه، عقد صلحًا مع يعقوب، وأقاما عامودًا ونصباه في الأرض؛ ليكون لهذا شرقها ولذاك الغرب، وأقسما بإله إبراهيم وآلهة ناحور على الالتزام بحدود الأرض.

مضى يعقوب في طريقه ولاقته أولًا ملائكة الله، فقال يعقوب: هذا جيش الرب. وسمي المكان محنايم، وأرسل يعقوب أمامه رسلًا محملين بالهدايا الكثيرة إلى أخيه، وكان خائفًا جدًا، وقسّم الركب إلى جزئين، وقال لرسله: أن قولوا لسيدي عيسو هكذا، قال (عبدك) يعقوب: إنه تغرب عند لابان حتى اغتنى، كي يجد نعمة في عينيك، وبقي يعقوب في مكانه يتضرع لإله إبراهيم، وبالليل جاءه إنسان فصارعه يعقوب وأمسك به فضرب فخذ يعقوب حتى انخلع، وهو يقول له: أطلقني! فقال له يعقوب: لا أطلقك حتى تباركني. فسأله عن اسمه فقالك يعقوب! فقال: بل أنت إسرائيل؛ لأنك أنت جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسمى يعقوب المكان فينثيل (وجه الله) لأنه رأى الله وجهًا لوجه.

وحين وصل عيسو وفي صحبته أربع مئة مقاتل، استقبله يعقوب بأن سجد له سبع مرات وهو يسير ثم يسجد، حتى اقترب من أخيه وعانقه، ثم أمر زوجته وجاريتهما وأبناءه بالسجود تحت أقدام أخيه، ثم قدم له هداياه بنفسه قائلاً: دعني أجد نعمة في عيني سيدي. وأصر يعقوب ألا يسير إلا خلف عيسو، بعد هذا كله لم يستطع عيسو -وهو الفارس صياد الوحوش- أن يمد يديه لقتل أخيه، وسكن يعقوب بلدة سكوت وبعدها مدينة شكيم.

وهناك حدث أن خرجت دينا ابنة يعقوب، وأخذها شكيم بن حمور رئيس الأرض وأغواها واضطجع معها وحبها حبًّا جمًّا، وكلم أباه في أمر زواجها، فكلّم حمور يعقوب **وقال**: صاهرونا نأخذ من بناتكم، وتأخذون من بناتكم، وتسكنون معنا وتتاجرون، وكل ما تطلبه مهرًا لدينا أدفعه. فشاور يعقوب أبناءه فوافقوا بشرط أن يختتن شكيم.

وبالفعل وافق شكيم، واختتن رغبة في دينا وحبًّا لها، وكان أكرم جميع بيت أبيه، بل وأمر حمور أهله وذكور البلد كلهم فاختنوا، وتمت الخطبة وابتهج الجميع، لكن حدث في اليوم الثالث من الختان إذ كانوا متوجعين من جراح الختان، أن ابني يعقوب: شمعون ولاوي أخوي دينا، أن استلا سيفيهما وأتيا على المدينة الآمنة وقتلا كل ذكر، بل وقتلا حمور وابنه شكيم، ونهبوا كل ثروات المدينة، وسَبَّوا النساء والأطفال، **فقال يعقوب لأبنائه**: الآن يجتمع علينا الكنعانيون والفرزيون ويضربونني، فأبىد أنا وأهل بيتي! فهرب للمرة الثانية إلى بيت إيل؛ حيث هرب أول مرة من أخيه عيسو، وجمع من أهله وعبيده آلهم، وأخذ من راحيل إله أبيها، وأقراطهم الوثنية، ودفنها، وهناك ماتت دبورة، عن عمر يناهز المئة والثمانين عامًا، ودفنت تحت بلوطة ألون باكوت (بلوطة البكاء) وكانت جنازتها مشهدًا مهيبًا، ذُرِفَتْ فيه الدموع ولطمت فيه الخدود نظير ما قدمت للقوم من خدمات سرية ومعلنة.

ويكفيك أن تعرف أنها تركت رببتها، رفقة، وزوجها النبي إسحاق الذي كان قد ذهب بصره، لتلحق بأليعازر لتساعده على إتمام زيجة راحيل، صاحبة الإله الترافيم، ولم تفارق راحيل منذ زواجها وهي من سرقت الإله لراحيل، وهي المتهمة بتسليم بتوئيل والد راحيل، ورشوة لابان حتى وافق على زواج راحيل.

لذا ظلت راحيل تكلّي عليها جدًّا، حتى لحقت بها سريعًا أثناء ولادتها لآخر أبنائها بنيامين في طريق أفراتة (بيت لحم)، وكانت في السادسة والثلاثين من عمرها.

بعد موت دبورة، كان لزامًا على الأخوية إيجاد البديل المناسب، فانعقد اجتماعًا سريعًا بمحفل جبت، ووقع الاختيار على رأوبين بكر إسرائيل، والمتولي لأمر العبرانيين من بعده، ولأهمية الاختيار فقد تم تكليف الملكة ليليث شخصيًا بمهمة ضم رأوبين للأخوية، ولم تلقَ ليليث عناءً في إقناع رأوبين، بعدما فعلت طبعًا ما وجب عليها فعله، حتى وصلت إلى شرط قانون الوعاء المقدس».

داوود: «فاكر الشرط يا جابر»؟

قال جابر بتأفف: «أيوة فاكره بتاع زنا المحارم، واللي أول واحدة عملته كانت عنق بنت آدم الدميمة، مع أخيها قاين، اللي رفضها وقبلها في الحرام، وخلفت منه عوج بن عنق».

قال داوود: «شرح عزازيل دينا في البداية، ولكن حزنها على ما حدث في شكيم منعهم من إتمام الأمر، فكلمت ليليث عزازيل في

بند الأصل والفرع، فعدل عن دينا إلى بلهة فوافقت، ورغم دمايتها إلا بصداقتها لليليث وطول ملازمتها لها، جعلت منها شهوانية ذات خبرة مثلها، وكما قالوا ودت الزانية أن لو كل النساء زواني.. وبالفعل دخل رأوبين على بلهة حليلة أبيه وأم إخوته، دان ونفتالي، وتم ضمها للأخوية، ودانا بدينها وسمى رأوبين بكره باسم حنوك على اسم ربهم المزعوم، وأقسما القسم الرهيب أمام ليليث بعد فعلتها الدنيئة، بعدها أخبرته أن عمه عيسو وزوجاته معهم في الأخوية.

وأثناء ذلك كان إسحاق قد شعر بدنو أجله، فذهب إليه عيسو ويعقوب ودفناه بعد موته مع أبيه إبراهيم وأمه سارة في مغارة المكفيلة».

أصدر المسجل صوتاً داخل ملابس جابر معلناً انتهاء الشريط، فتظاهر جابر بالسعال حتى لا ينتبه داوود للصوت.

داوود: «مالك يا وله يا جابر»؟

جابر: «شرقة جامدة يا عم داوود، يا ترى مين بيحجب في سيرتنا»؟

داوود: «طيب أشرب شوية مية واطلع برة شم هوا».

جابر: «أنا طالع أناام عشان اتوكل على الله بدري».

داوود: «طيب يا بني الله يرزقك! تصبح على خير».

كشف الأسرار

في اليوم التالي ذهب جابر إلى الدكتور أحمد، وبعد صعوده إلى الغرفة أدار الشريط وبدأ بالاستماع، لم يندهش أحمد كثيرًا وقال **جابر:** «أولاً وقبل أي كلام لازم نبرأ إلى الله من كل نقيصة يلحقها الكافرون بالله تعالى، أو رسله أو ملائكته الكرام.

ثانيًا زي ما كنت متوقع هذا الرجل داهية، هو فقط يتفاخر بتزويرهم للتاريخ ولكنه يستخدم معاك التقية».

جابر: «كل ما احاول أستفهم منه شيئًا، يسكتني بآية سورة المائدة. وقبل كده قال حديث نهى النبي عن كثرة السؤال».

أحمد: «ما هو ده زيفه يا شيخ جابر، إنه بيقلب الحق باطل وكله بالدليل، يعني مثلاً، ربنا هو اللي أمرنا بسؤال أهل الذكر، ورسوله ﷺ، هو القائل: «إنما شفاء العي السؤال.. فكيف يكون الشرع ينهانا عن العلم من خلال السؤال، وكل الآيات والأحاديث عندنا تحت على العلم وتمدح العلماء».

جابر: «بالله عليك نورني يا دكتور، أنا دائماً بحس إنه كلامه كله حاجات غلط بس مش بعرف أردّه».

أحمد: «حاضر يا شيخ جابر.. مثلاً آية المائدة، هو لو قرأها كاملة لأجاب على نفسه، لكنه بتر الكلام خرينا نقرأ الآية كاملة واحكم بنفسك: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْءَانُ تُبَدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ ءَلِيمٌ ﴿١٣٦﴾» . المعنى واضح: ربنا عز وجل ينهى المؤمنين وقت وزن النبوة عن كثرة السؤال زي قصة البقرة حين قالت بنو إسرائيل: ما هي؟ ما لونها؟ ما شكلها؟ لكن لو كانوا ذبحوا أي بقرة قبل سؤالهم كانت المشكلة هتتحل، لكنهم جلبوا العنت على أنفسهم بكثرة سؤالهم».

جابر: «كلام سليم».

أحمد: «بمناسبة سورة المائدة، حين بدأت بتحري تلك الأخوية السرية ودراستها على ضوء الكتاب والسنة، وجدت معاني لهم كثيرة في القرآن عموماً، لكن سورة المائدة بشكل خاص كأنها تتحدث عنهم تحديداً».

جابر: «فهمني أكثر يا دكتور»!

أحمد: «حاضر، مثلاً السورة اسمها المائدة:» أي مائدة سيدنا عيسى عليه السلام، والقصة مفسرة في السورة، سألت نفسي إزاي حدث مهم ومعجزة لم ترد في الكتاب المقدس، ما لم يذكر كلام المسيح في المهد؟ وده أكبر دليل من وجهة نظري كمسلم إنه تم

تحريف الكتاب بالزيادة والنقصان فتم حذف معجزات وحقائق. وإضافة ما تسمعه من داوود.

ثانيًا تجد الخطاب دائمًا لليهود مقتربًا بالذم، غير لبني إسرائيل أو أهل الكتاب قد يأتي باليمن أو التذكير، بل والاصطفاء في مرحلة ما، أما اليهود فيأتي ذكرهم بالذم أصلاً من البداية».

جابر: «حضرتك تقصد إن بني إسرائيل كانوا هم أهل الإيمان في فترة ما، ثم اتبعوا اليهود أحفاد قابيل وتهودوا فضلوا جميعًا؟»
أحمد: «ده اللي فهمته حين نظرت لآيات اليهود منفردة، وآيات بني إسرائيل منفردة: مثل وقالت اليهود يد الله مغلولة، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا، إلى آخر الآية، أو الآية اللي بتقول: لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، وغيرها كثير في القرآن يا شيخ جابر. أما بني إسرائيل عمومًا، زي ما قلت لك خطابات متنوعة، منها التفضيل على العالمين في وقت ما، واليمن عليهم بإرسال الرسل، بل وبالمؤمنين أحيانًا، وأيضًا النصارى وهم من بني إسرائيل، يقول تعالى: ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون». تفهم من كده إن اليهودية واليهود جنس دخيل على بني إسرائيل، لكنهم تمكنوا منهم حتى صاروا هم الأعلام لهم، لذلك يحذرنا الرب جل في علاه بقوله: ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم، ثم شيء مهم أيضًا في سورة المائدة.. لاحظ يا شيخ جابر، بعد ما قص الرب جل وعلا قصة ابني آدم، قرنها مباشرة ببني

إسرائيل، حين قال جل وعلا: «مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا».. السؤال بقى ما علاقة بني إسرائيل بابني آدم إلا إن اليهود سيطروا عليهم وابتدعوا لهم العقيدة الشيطانية فصدقوهم واتبعوهم؟ شوف برده في سورة المائدة يا شيخ جابر: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا».

شوف الفارق بين العقيدتين، عقيدة التوراة هي الإسلام، في حين عقيدة القوم اتباع اليهودية والتي هي مغايرة للتوراة حسب النص القرآني. وشوف لما ربنا قال: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ... **لحدا ربنا قال:** ﴿٢٨﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا». فإن كان اليهود هم بنو إسرائيل، فمن هما الذين كفروا؟

خاصة إذا علمت أن الله تعالى خاطب بني إسرائيل أحياناً بصفة الإيمان، وده حصل في سورة النساء لما ربنا قال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالِ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾».. **وفي سورة الحديد:** «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ءَالِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ءَالِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾».

بل أوضح من ذلك الآية في سورة الأعراف، التي تحدثنا عن فئة من بني إسرائيل قاومت اليهودية، **في قوله تعالى: «وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ»** (١٥٩).

لاحظ يا شيخ جابر إننا نتكلم في سورة المائدة فقط، أو مقتطفات سريعة من السور، فما بالك وإن ثلث القرآن تقريباً بيتكلم عن أهل الكتاب وبني إسرائيل، وقصصهم مع اليهودية، وهناك أمثلة في سور البقرة، وآل عمران، والنساء، والإسراء، ويوسف، والقصص وغيرها م السور، أمثلة أوضح من شمس النهار.

الغرض المقصود، إنه في فجر التاريخ ومع الجريمة الأولى نشأ نسل قابيل، على الحقد والحسد بل والنجسية، وتعاون هذا النسل مع الشيطان على أهداف مشتركة، ألا وهي الفساد والإفساد في الأرض وحب الذات، وكراهية الآخر، هذا النسل هو اليهودية وعلى مدار التاريخ وبقيادة الشيطان الطاغوت والجبث الدجال أثمر هذا التعاون الشرير كل مظاهر الكفر بالله ومحاربة الرسل، حتى تمكن هذا التحالف على التغلغل إلى بني إسرائيل، العبرانيين، والسيطرة عليهم وتطويعهم لإنفاذ المخطط الشرير.

وإن كان هذا الاندماج ظاهرياً فقط، ولكن الحقيقة أنه وقتما تقتضي الحاجة وفق المشروع التاريخي، فلا مانع من التخلص من بضعة ملايين من بني إسرائيل لمصلحة بني قايين، مثلما حدث على يد النازية، والتي نتج عنها الصهيونية وهي أحد المكاسب

الإستراتيجية المهمة لبني قابيل، لذلك حدثك قبل ذلك أن من بني إسرائيل من يعادي دين اليهودية المفصل لبني قابيل.

ومثلما سيحدث كما هو مخطط له في المعركة الكبرى المتوقعة، والذي أنبأنا عنها رسولنا وسماها علماؤنا بالملاحم وعندهم بهَرْمَجْدُون.. فأنا أتوقع أن يزج بيهود إسرائيل في معركة عالمية مع المسلمين تصطبغ بالصبغة الدينية، لذا من المهم جداً أن نفرق بين بني إسرائيل وبين اليهود بني قابيل قاتل أخيه، إن أردت أن تفهم نشأة الجماعة السرية قديماً.

وكان أول الرسل الكرام المحاربون لهذا المخطط وتلك المؤامرة هو سيدنا إدريس عليه السلام، وفي الواقع هو محور القصة كلها، وحسب وجهه نظري، بدأت القصة بعد قتل قابيل لأخيه وفساد ذريته في الأرض، فأرسل الله لهم رسوله إدريس، والله أعلم بنسبه، فهم أعلنوا أنه الجد السابع للبشرية من جهة شيث ابن آدم، رغم اعتقادهم السري لأنفسهم أنه ابن قايين المباشر.

هذه النقطة تحديداً لا نستطيع الفصل فيها لعدم ورود النص والدليل عليها من كتاب وسنة، وأن كل ما ورد فيها هو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، فنحن لا يعنينا إن كان هو ابن قايين فعلاً، أو هو من نسل شيث.

فقط ما يعنينا ويجب علينا الإيمان به، أنه رسول من رسل الله الكرام، بُعث إلى قومه من الكفار، ثم رفعه الله مكاناً عليّاً، وقابله النبي في رحلة المعراج في السماء الرابعة، وحياه ودعاه بالأخ

الصالح، على عكس سائر الأنبياء حين حيوا نبينا ودعوه بالابن الصالح، هكذا ببساطة شديدة، هذا عنا كوننا مسلمين.

أما الجماعة السرية الشيطانية فالأمر يختلف عندهم تمامًا، وتلك أولى وأهم نقطة لأي باحث في عقيدة القوم الشيطانية، أن يتثبت منها فهي مفتاح اللغز، ببساطة جدًا يا شيخ جابر.

اعتقاد القوم إن إدريس هو حنوك بن قايين وليس أخنوخ بن يارد من نسل النبي شيث مع إنهم صدروا تلك المعلومة بشكل مغلوط ومقلوب في كل كتب التاريخ، بل والكتاب المقدس والتاريخ الإسلامي عن طريق الإسرائيليات، وهو ما نسميه عندنا في علم الحديث السند المقلوب، وهو من أنواع الحديث الضعيف، وإن كان علماء التاريخ المسلمين زي الطبري والقرطبي وابن كثير وغيرهم معذرين في ذلك لعدم ورود النص الذي يثبت أو ينفي سلالة نسب آدم في كتب السنة المعتمدة، والمعتبر بها، فلذلك لجؤوا إلى قسم الإسرائيليات التي تثبت حكمًا أو تنفيه، مع العلم يا شيخ جابر، وللأمانة العلمية الشديدة عند علمائنا، إنهم لما نقلوا من الإسرائيليات، قالوا لنا إن الجزء ده من الإسرائيليات، عشان بعد كده الأجيال اللي جت بعدهم تعرف تدور وتبحث وراهم، فهما منقلوش كده وخلاص، لأ! كانوا واعيين كويس جدًا، هما بينقلوا إيه، ومنين، ولمين.

وأخشى عليك يا شيخ جابر الإطالة في هذه الجزئيات الأصولية،
التي لن يستوعبها إلا أكاديمي متخصص في علوم الأصول، بس أنا
أنصحك إنك تقرأ مبحث الإسرائيليات وفرع مهم منبثق منه وهو
مسألة، هل شرع من قبلنا شرع لنا أم لا؟

الغرض المقصود إن مدار تزيف التاريخ على حنوك وأخنوخ
وأيهما هو ابن قايين رأس السبط الشرير والتنظيم السري.

الخلاصة إنهم أرادوا أن يدون في التاريخ إن إدريس هو أخنوخ،
وكنتموا واختصوا أنفسهم بالسند الصحيح، وكانت تلك أول سلسلة
الأكاذيب وأهمها وجذر الشجرة التي سيتفرع منها معتقداتهم،
كنسب وجنس مختار دون سائر الأجناس.

وفعلوها مرة ثانية كما شرحت لك يا شيخ جابر لما حولوا
النسب من آزر لتارخ وما حدث إثر ذلك وترتب عليه، فيكون زواج
سيدنا إبراهيم من أخته سارة وزواج ملكة من عمها زي ما قولت لك
أول مرة تقابلنا، لو تفتكر... فاكر يا شيخ جابر»؟
جابر: «فاكر يا دكتور».

أحمد: «فحين قتل قايين أخاه عن استحقاق لأنه رأى نفسه
خيرًا منه، لكنه لما تبين له أن الخالق غضب لذلك تهود: أي تظاهر
بالتوبة، وانطلت الحيلة على الخالق تعالى الله عما يقولون علوًا
كبيرًا، بعدها عفا الخالق عن أبيهم قايين ونسله، واختص ابنه
المباشر إدريس وخصه بميزة لم يختص أحدًا سواه من البشر، وهي
أن بعد رفعه إليه، منحة صفة وطبيعة الملائكة مع احتفاظه لطبيعته

البشرية، بل وشريكاً له في تدبير الكون وتصريفه والغيب ومفاتيح وأصل العلوم، ودعاه ميتاترون، لذلك دعوه (الْوَهيم هاقطون) وجعلوه شريكاً للخالق، بل أفضل منه، فإن كان الخالق يريد الحرمان للبشر من الملذات والأبدية والعلوم، بل يريد لهم التخلف والكلمة، فإن إلههم يريد عكس ذلك فهو إله النور، والحب اللا مشروط، وهو من لا ينبغي ذكر اسمه، وليس (يَهُوَه) كما أفهموا أتباعهم المغفلين من العبرانيين، وابتدعوا الديانات الثنوية العديدة القديمة، والأفكار الغنوصية الباطنية، بل والحديثة أيضاً، يكفيك أن تعرف في الخمسين سنة الأخيرة فقط، لا أقول خمس مئة، فقط خمسين، كمّ المعتقدات التي ظهرت واتبعها الملايين من الناس، وتسمت بالسينتولوجيا، (الديانات الكونية) -وعلى سبيل المثال لا الحصر- جمعية أثريوس، كنيسة دون الذكاء، بوابة الجنة، الرائية، أكاديمية أوناريس للعلوم، كنيسة المعزي الجديد.

أنا لا أتكلم عن المورمونية أو شهود (يَهُوَه) أو حتى كنيسة الشيطان، أو بعض النسخ الجديدة المستحدثة من الديانات الآسيوية الشرقية، وكتعديلات الهندوسية والطاوية والكنفوشيوسية، التي خرجت مؤخراً أيضاً على شكل علوم الطاقة واليوجا، وفضل التأمل وغيرها من الترهات التي أنشأتها أصحاب المؤامرة قديماً وجددتها في صور عصرية حديثاً.

لدرجة أنهم ذكروا في التلمود، إن الحاخام إيلشا بن أبويا، وده عاش في القرن الأول قبل الميلاد، قد زار السماء وتأكد بنفسه من أن الميتاترون جالس مع الخالق يديران الكون، ووصفه بأنه كاتب السماء، أي أن الأمر له.

وقالوا ذلك صراحة في سفر قصور السماء المنحول^(١) وأقنعوا مغفليهم من العبرانيين، أن موسى عليه السلام، تلقى وحيان، الأول وهو المكتوب: أي التوراة، وهذا لعموم العبرانيين، والثاني شفاهة ومنع من كتابته، لذلك اختص موسى سبعين رجلاً - وهم المذكورون في سورة الأعراف، وهم صفوة القوم آنذاك - ودونها في كتب خاصة أسموها القبالاة. وهي في الحقيقة علوم وصحف سيدنا إدريس الأصلية، والتي أخفتها زوجته وابنه الملك المعمر - حسب اعتقادهم - حتى عن أتباعهم وأنصارهم من العبرانيين.

ومثلما ابتدعوا عقيدة التثليث المكونة من أوزيريس - إدريس - وإيزيس وحورس في مصر، ابتدعوا أيضاً عقيدة التثليث في سائر الحضارات القديمة، فتجد في الهند مثلاً: ميترا، فارونا، أريامان، وفي بابل: سين وشمش وعشتار، **وعند اليونان:** زيوس وهيرا وديونيزوس، وعند الرومان، جوبتر ومينيرفا وجونون، وفعلوا بالمثل أينما حلوا وعاونهم إبليس على ذلك، وأمدهم بأبناء الشياطين الذين

(١) النحل يطلق على التحريف، وهناك قضية مشهورة في الأدب العربي اسمها نحل الشعر.

(المؤلف).

أنجبهم من ليليث على مدى العصور، ومكنهم من علوم السحر فأظهروا للناس بعض الخوارق.

ولو قرأت كتاب الزوهار أو التلمود أو اختصار كتاب رزائيل أو أبجدية بن سيرا لوجدت عجبًا، فقط اقرأ كتب باروخ شالوم هالفي، أو كتب يهودا أشلاغ، وهؤلاء من أعلام المتأخرين عندهم، وإن كان في كتبهم القديمة ما هو أفضع؛ إذ كانوا يتكلمون بتقية أقل نسبيًا عن المتأخرين، لكن للأسف من العسير الحصول على تلك الكتابات القديمة إلا نسخ نادرة جدًا مكتوبة بالآرامية ولا يملكها إلا هم بالطبع، وإن كان تمكن لأهل الحق من مبغضهم على مستوى العالم ومن معتنقي الشرائع السماوية الاطلاع على بعض النسخ منها، ولكنهم لا يستطيعون الكشف عنها أو الكشف أصلًا عن هويتهم تجنبًا للملاحقات التي قد تصل للاغتيال أو الاتهام بمعادة السامية على أقل تقدير، وبينهما ما هو الله به عليم خبير.

كما ادعوا حين غارت بعض الملائكة من إلههم ميتاترون الذي لا ينبغي ذكر اسمه، أغروهم بنات البشر وضموهم إلى صفهم على الأرض، وهكذا ملكوا العلوم والقدرات الخارقة، نتيجة تزاوج الملائكة من بنات الناس، وتميزوا عن سائر البشر، لذلك اختصوا أنفسهم بتلك الأمور والمعارف، وصدروا للناس ما أرادوا إعلانه فقط من الأكاذيب أو أنصاف الحقائق فقط، رغم هيمنتهم على كل المؤسسات العلمية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بل والسياسية وللأسف الدينية أيضًا، لذلك -وانتبه يا شيخ جابر لحديث النبي

ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت». أعتقد إن المعنيّ بكلام النبوة الأولى أي التي لم ينلها التحريف، ومنها هو سفر يشوع بن سيراخ، والله أعلم.

وهو من الحقائق الباقية من الدين الحق، دين الله من لدن آدم وحتى عيسى عليهم جميعاً أفضل الزكاة والتسليم، والتي لم تتناولها أيديهم بالتحريف، فعملوا على إنشاء مذهب البروتستانت ليطمئن اعتبار سفر يشوع بن سيراخ، غير قانوني (أبو كريفا) والذي فيه المعنى واضح، إن لم تستح فاصنع ما شئت.

تخيل يا شيخ جابر مذهب كامل تفرعت منه حوالي أربعين كنيسة، لهم ما يقارب من مليار متبع، أجمعوا على عدم قانونية السفر خلافاً لمذهب الأرثوذكسية وكنائسها والكاثوليكية وكنائسها، فقط لإخفاء حديث صحيح وسفر غير محرف، وأكد لهم مآرب أخرى لا نعلمها، ولكن ذلك مثال فقط.

واقراً السفر وقس عليه المبادئ الإسلامية.. وخذ بالك من الإصحاحات والأعداد وقارنها بالآيات القرآنية والأحاديث، لذلك سأخبرك ببعض الأمثلة فقط ومدى التوافق حين لم تمتد يد أئمة بالتحريف، والله لوددت أن أكتب الأعداد كاملة للاثنتين وخمسين إصحاحاً، وكل عدد أطبقه لك يا شيخ جابر بآية أو حديث، ولعلي أفعل ذلك مستقبلاً.

يبدأ الإصحاح الأول بصفات الله الحسنى الأزلية، ومكانه تعالى على العرش (مكانة تليق بذاته تعالى بلا تشبيه أو تكيف أو تمثيل أو تحريف) وهو الوارد في حديث أبي بن كعب في صحيح مسلم.

ثم كيف أنه من مولود إلا يولد على الفطرة، وإنما يخشى الله من عباده العلماء، وشعور بحلاوة الإيمان في القلب بعد الأعمال الصالحة، وغيرها من المعاني.

ويبدأ الإصحاح الثاني: يا بني إن أقبلت لخدمة الرب الإله فاثبت على البر والتقوى، وأعد نفسك للتجربة.. **نفس معنى الآية من سورة البقرة:** «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّالِينَ ﴿١٥٥﴾»

وهكذا في سائر الإصحاحات، حتى في الجهاد (وألحق ربك على جميع الأمم الذين لم يلتمسوك، ليعلموا أنه لا إله إلا أنت، ويخبروا بعظائمك) ودي أمثلة بس يا شيخ جابر.

وبمناسبة ابتدأهم للفرق، فإن أسلوبهم هو إنشاء فكرة معينة عن طريق الشخص المناسب، ثم الاختلاف حول الفكرة الأساسية وعلى صاحبها، ومن ثمة فإن كل رأي ينشأ حول الفكرة الأم يتم تأييده ومعارضته في نفس الوقت من قبل رجالهم السريين المتلونين بكل التوجهات، فتخلص الآراء كلها حول الفكرة التي كانت مرفوضة في البداية، ولكن بصور شتى، ويكون أكثر الناس تدينًا هو المتمسك بأصل الفكرة والمغالي فيها، هكذا فعل بولس الرسول (شاوول الطرسوسي) بفكرة الصلب والفداء والمغلاة في عيسى عليه السلام.

ومن ثم الصراع حول طبيعة اللاهوت والناسوت والمشئة والمشيئتان، وجراء هذا الخلاف وضعت عقيدة السبط في الثلاث ومن ثم خرجت الأرثوذكسية والكاثوليكية ثم البروتستانتية، وفروعها الكثيرة، وأيضاً بن السوداء (عبدالله بن سبأ) الذي تشبه ببولس وعمل بمنهجه، فابتدع فكرة الإمامة والوصاية، ثم المغالاة في علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وتكفير سائر الصحابة الكرام (سوى خمسة) رضي الله عنهم جميعاً، ومن ثم فكرة الإمامة ومنزلتها والأحقق بها، ما أخرج لنا الشيعة وفروعها العديدة من اثني عشرية ونصيرية ودرزية وإسماعيلية وغيرها، الذين كثيراً ما تعاونوا مع القبيلة السرية ضد الإسلام.

لكن للأسف يا شيخ جابر! إن كل المعتقدين بنظرية المؤامرة وأنا منهم انشغلوا بالجانب المحسوس على الأرض، مثل محافل الماسونية وغموضها وأسماء مراتبها، وكيفية أدائها للقسم وسعيها للسيطرة على العالم، وأمثال تلك الأمور المشاهدة لمن أراد الحقيقة ولمن آمن بالفكرة ابتداء واقتنع بها، وقبل بوضع نفسه مثلي في مرمى التسفيه والاستخفاف، من أشد الناس سفاهة.

ولم يحدثنا أحد عن نشأتهم الحقيقة، وما هي خططهم لقدم ملكهم الدجال، وتلك الأسرار الكبرى التي يحدثك بها داوود الساعاتي، وهو مستخف بك وبذكائك للأسف يا شيخ جابر! وتلك سقطرة عظيمة منه يجب استغلالها طبعاً بعد تنقيح كلامه وتمحيصه من التقية والمدارة واستخلاص الحقيقة من بين كلامه،

ويبدو أن داوود من مدرسة الدجال المحبة للاستعراض والتميز (ومنها هوليوود) على عكس مدرسة إبليس ذات مذهب السرية فقط، والعمل الدؤوب، وحقاً أغبى الناس من ظن نفسه أذكاهم». **استثار كلام أحمد (جابر) فقال بحماس: «الحنش ابن ميتين الكلب»!**

قاطعهُ أحمد: «ليس هكذا تدار الأمور يا شيخ جابر، عفوًا فلنجعله يستغباك فعلاً حتى نوقع به في شركه، واعلم إنما يؤتى الحذر من مأمنه، زي ما قالوا يا عم الشيخ». **جابر:** «أنا كنت عاوز أروح الكراكون وأبلغ عنه على الأقل عشان صواريخ العطارة».

أحمد: «ويدفع غرامة تموين أو ياخذ شهر حبس ولا شهرين يا شيخ جابر»!

جابر: «طيب دبرني نعمل إيه؟» **أحمد:** «عاوز أدخل بيته، ونفتش عن دليل مادي في أيدينا». **جابر:** «صعبة دي بس نحاول».

أحمد: «اتفقنا يبقى كن أذكي منه حقًا، واتبع سياسة الفطن المتغافل وخليك معاه زي ما أنت وسيبه يحكي لك». **جابر:** «الله المستعان، اتفقنا يا دكتور».

سبط دينا

في المساء اجتمع جابر وداوود وبدا على جابر لهفته لسماع
تتمة القصة.

جابر: «عمل إيه سيدنا يعقوب لما عرف إن بلهه مراته نامت
مع رأوبين ابنه؟»

داوود ببساطة: «لم يفعل شيئاً».

جابر باندهاش: «إيه!»

داوود: «هيعمل إيه بس يا جابر يرمي ابنه فيقتله أهل شكيم؟
كمان هو كان حزيناً جداً على وفاة راحيل».

تذكر جابر كلام أحمد حين قال له: «كن مع داوود فطناً
متغافلاً».

جابر: «وبعدين يا عم داوود؟»

قال داوود الساعاتي: «وصى داوود بلهة بأبناء راحيل يوسف وبنيامين، وشدد عليها بحسن تربيتهم حتى يصيروا رجالاً أشداء وفرسان كِبَرِه رأوبين، كما أن يوسف خاصة كان ذا وسامة شديدة». **هنا انفجر جابر ضاحكاً:** «يعني سلم القط مفتاح الكرار، ما هي بلهة هتربي يوسف الشاب الجميل وأكيد رأوبين كان تعب». **فهم داوود تلميح جابر فلم يبادلّه الضحك واكتفى بقوله:** «لم نفسك يا ابن البلغ، ومتقاطعنيش».

قال جابر مبتسمًا: «ماشي يا عم داوود، ونبي كمل». **قال داوود:** «في الوقت ده كان إسماعيل أبو محلة، ماهالات، بسمه عم عيسو وحماه قد مات، وتولى ابنه نبايوت الحكم وتحالف مع صهره وابن عمه عيسو على محاربة بني إسرائيل عقائديًا، وتدبير المكائد لهم، فكانت الصورة كالاتي:

- حورس وأمه في مصر من ناحية الشرق.
- عزازيل وحزبه في بلاد النهرين من جهة الغرب.
- عيسو ونبايوت في أرض فاران من ناحية الجنوب.
- غير الاختراق الداخلي والمنفذ للمؤامرات بقيادة رأوبين وبلهة.

وحين بلغ يوسف السابعة عشر من عمره وكان اتقى إخوته، وتوقعت الأخوية بنبوته من بعد أبيه، صدر الأمر لرأوبين بقتله على أن يشترك كل الإخوة في دمه، تحمس رأوبين جدًّا خصوصًا إن

إخوته كانوا يكرهون يوسف لمعايرته لهم دائماً أنهم أبناء جوارى،
وأن أباه يختصه بعلوم الأنبياء وتفسير الأحلام.

ولكن رأوبين أخطأ خطأه الأكبر حين خالف التعليمات
وحدث بلهة -المتعلق بها رأوبين للعلاقة الآثمة بينهما ولخبرتها
المتعة المستمدة من ليليث، والمتعلقة هي بيوسف الشاب الوسيم،
وإن كان يوسف يصدها دائماً لكنها لم تأس منه أبداً- فأقنعت بلهة
رأوبين بتعديل الخطة من القتل إلى الرمي في البئر، ثم العودة إلى
انتشاله بعد ذهاب إخوته، وهددته بقطع العلاقة بينهما إن لم ينفذ ما
قالت، فامثل رأوبين لها ونزل على رغبتها.

وهذا فعلاً ما حدث، بعدما أقنع رأوبين أخوته بعدم القتل
والاكتفاء بالرمي في البئر، حتى قام لاوي وشمعون بإلقائه في الجب
وانصرفوا يأكلون الطعام، بينما وقف يهوذا يراقب من خلف شجرة
قريبة فوجد مجموعة من رعاة المديانيين يتجهون نحو البئر وبعد
جدال معهم باعهم أخاه بعشرين شيكلاً من الفضة.

لكن بعدما فرغ الإخوة من طعامهم علموا بفعلة يهوذا ورفض
اقتسام المال معهم وفر منهم، وباع المديانيون يوسف لقافلة من
الإسماعيلين تصادف مرورها، وحين عاد رأوبين لينتشل أخاه،
كانت القافلة في طريقها إلى مصر.

وعاد الإخوة عدا يهوذا إلى أبيهم ومعهم قميص يوسف ملطخاً
بالدماء فسقطت بلهة مغشياً عليها وماتت من فورها.

حدث هذا في اليوم العاشر من الشهر السابع (تشرين)، لذا أمر بني إسرائيل في ذلك اليوم بالبكاء واللطم وإيذاء النفس في ذلك اليوم من كل عام.

أما يهوذا فهرب حاملاً العشرين شيكلاً ثمن أخيه، فتلقيه رجل عدلامي اسمه (حيرة) وأخذه إلى بيت رجل كنعاني يعبد الأوثان اسمه شوع وأخذاً يحتسيان الخمر الجيد.. ولأن يهوذا لم يعتد الخمر، فكان أولهم سكرًا، ولما علما أنه يمتلك شياكل فضية، أدخل شوع عليه ابنته، فتعلق بها يهوذا وتزوجها في ذات الليلة، ومرت أعوام أنجبت له ثلاثة أبناء: عيرا وأونان وشيلة، وعندما بلغ عيرا زوجة يهوذا من أجمل بنات كنعان، واسمها ثامار (تمارا) لكن حدث أن مات العريس بعد ثلاثة أيام.

وحيث إن العقيدة اليهودية تقضي بأن الزوج إذا مات قبل أن ينجب فيجب على أخيه الدخول على أرملته فإذا أنجبت نسب الابن إلى الأخ المتوفى وليس إلى الزوج الحالي، ورغم معارضة بنت شوع الوثنية أم الأولاد الثلاثة، إلا أن يهوذا خالف زوجته وزوج ابنه الثاني أونان من ثامار.

لكن المشكلة يا جابر إن أونان عجلة مالهوش في النسوان شاذ يعني، وعاش معها سنة ولم يقربها، وبالتالي لم ينجب منها، ثم مات أيضًا ولحق بأخيه عيرا، فأصبح الدور على الابن الثالث شيلة للزواج من ثامار.

وحينئذٍ أصرت بنت شوع على منع الزيجة الثالثة، وامتلث يهوذا لزوجته، وأمر ثامار أن تترمل عند أهلها لحين يكبر شيلة ثم ينظر في أمرها، وفهمت ثامار إن حمايتها هي من أوقفت زواجها من شيلة؛ حيث إن شيلة كان رجلاً بالغاً رشيداً، لكنها لم تستطع فعل شيء، وفعلاً ذهبت لأهلها، وبعد عامين توفت زوجة يهوذا بنت شوع حماة ثامار، وحدث أن خرج يهوذا إلى المدينة ليجز صوف غنمه فقابل ثامار متعطرة ومتجملة بشكل مبالغ فيه، كما تتجمل الزواني والعاشرات الرخيصات اللاتي يصطدن زبائنهن عند نواصي مفترق الطرق، مرتديات ملابس خليعة ليعرفهن من يرغب فيهن، فعرفته ولم ينتبه أنها ثامار فغطت وجهها، وجاءها يهوذا وطلب جسدها مقابل جدي ماعز، -وكان حينها مبلغاً ضخماً مقابل العهر مع داعرة- ووافقت ثامار على أن يترك لها خاتمه وعصابة رأسه وعصاه رهناً عندها لحين الدفع.

المهم يا جابر يهوذا خلص مع ثامار وأخذ غنمه بعد جز صوفها وخلع على بلدته، وهذا لأن ثمن الخاتم وعصابة الرأس لا تساوي شيئاً مقارنة بثمن الجدي من الماعز، لكن اللي حصل إن أتى بعض رجال المدينة يهرولون إليه ويصرخون أن ثامار كنّته وأرملة ابنه حاملاً بلا زواج.

طبعاً ثار يهوذا جذاً ومُلئ غَضَبًا، وحكم عليها وفق الشريعة وهي أن تحرق حية، وفعلاً تجمع الناس كعادتهم لمشاهدة حكم الإعدام حرقاً في ميدان المدينة الكبيرة، بل حضر يهوذا بنفسه المحاكمة

بصفته حماها وهو من أصدر الحكم، وهنا كانت المفاجأة إذ أخرجت ثامار خاتم يهوذا بل وعمامته وعصاه وكانت فضحية كبرى. فلم يسع ليهوذا بعدها إلا أن يغادر أرض الكنعانيين ويصطحب ثامار معه لأرض يعقوب أبيه، وهناك أنجبت توأمان، زارح وفارص. ومن دين القوم أنه يربط حول معصم من يخرج أولاً حفاظاً على حق البكورية خيطاً قرمزياً كما أخبرتك يا جابر في قصة عيسو ويعقوب، إلا أنه حدث أنه بعدما أخرج زارح يده ولفت القابلة الخيط عليها، زاحمه أخاه فارص وخرج أولاً.

وهو جد داوود وسليمان وأيضاً جد يسوع النصارى لأمه، وهذا أهم ما حدث مع يعقوب وأولاده، في تلك الحقبة، أما عن حلف عزازيل فقد كانت لديه قناعة لسبب ما أن يوسف هو آخر أنبياء الخالق، لذلك سلط الحزب عليه زُليخة، عساها أن تنجح فيما فشلت فيه بلهة، ولكن يوسف نجح للمرة الثانية في اختبار فتنة النساء، وحدث بعد ذلك سجنه والقصة المعروفة.

وقتها كان الهكسوس محتلين مصر، وبعد سجن يوسف وخروجه ارتأى ملكهم أبوفيس أن يستقوي بآل يعقوب على المصريين، خاصة أنهم مثل الهكسوس -أي من الرعاة البدو- فطلب من يوسف إحضار أهله أجمعين، وبعد مجيء يعقوب وبنيه واستقرارهم في مصر، ماتت دينا بعد وصولهم مصر بفترة يسيرة، كما تزوج يوسف من أسنات بنت كاهن أون (الشمس)». .

جابر: «يعني سيدنا يوسف ساب بنات قومه كلهم وتزوج بنت رأس الكافرين يا عم داوود»؟

داوود: «قسمة ونصيب يا جابر يا بني»!

تذكر جابر مرحبًا قاعدة الفطن المتغافل فقال رغم عدم

اقتناعه: «ماشي يا عم داوود وبعدين».

داوود: «وقتها ترك عزازيل وحزبه العمل على يوسف لأنه كان

قد نبئ، وتم التركيز على قومه من الأسباط، لدرجة إن عزازيل طلب من المسيا حورس الظهور بنفسه والعمل على الأرض، والتفكير في وسيلة ليتمكن بها للانتساب إلى الأسباط حتى يصير واحدًا منهم بصلة الدم.

وأثناء التفكير في تلك الوسيلة حدث أن يعقوب حين شعر بدنو أجله استدعى يوسف وولديه منسي البكر وإفرايم الصغير، كي يباركهما، وعندما ذهباً إليه تجددت لعنة حق البكورية مرة أخرى، وحدث أن يعقوب بارك إفرايم الصغير، ومنحه حق البكورية دون أخيه منسي البكر، بعدها بوقت قليل توفي يعقوب، وذهب الإخوة جميعاً ودفنوا أباهم في مغارة المكفيلة.

وتوفي يوسف بعد ذلك، وكثر الجدل على حق البكورية بين الإخوة ولم يستقروا على اسم، كل ذلك ومنسي ما زال يشعر بالظلم وذهاب حقه في البكورية، طبعاً انتهز عزازيل تلك الحقبة وأتى بإحدى حيله، بمساعدة كل من عيسو ورأوبين (الطابور الخامس داخل الأسباط).

ذات يوم أتى العم عيسو إلى مصر وبصحبه شاب (حورس) واجتمع بأبناء يعقوب وأخبرهم بأن الشاب هو ابن أختهم دينا من دخول شكيم عليها حين أمسكها في بيته، وأنها حين تم قتل شكيم وعلمها بحملها كتمت الأمر خشية قتلها من قبل لاوي وشمعون قَتَلَة شكيم، إلا أنها استأمنت عمها عيسو وأخيها رأوبين على سرها، وهنا أكد رأوبين على كلام عمه عيسو ويمشهد من كل الأسباط.. ثم واصل عيسو أكذوبته المملاة عليه من عزازيل، وقبل ولادة دينا بوقت كافٍ أتت لزيارة عيسو وأقامت عنده ثم بعد ولادتها لابنها سرًّا عادت إلى أبيها يعقوب، بعدما أوصت عمها عيسو بابنها خيرًا. وللمرة الثانية أيد أخوهم رأوبين كلام عمه وشهد له بالصدق، وأن دينا أخته أفشت له سرها قبل موتها، وأضاف عيسو، أنه قد شعر بدنو أجله، وخشي أن يموت سر دينا معه، وقدم لهم ابن أختهم الذين لقبوه بالسامري، حتى يتجنبوا ذكر شكيم في نسبه، واجتمع الإخوة للنظر في الأمر، وكثر الجدل لكنهم في النهاية نزلوا على رأي كبيرهم رأوبين، وهو إرضاء منسي بكر يوسف، والمسلوب منه حقه في البكورية وأن يكون له سبط مثلما لأخيه إفرام سبط، على أن يلحق السامري بسبط منسي، وبهذا يصير الأسباط ثلاثة عشرة ويتم إرضاء منسي والسامري.

ودمج ذرية دينا لسبط منسي بن يوسف، ووافق الجميع على هذا، وتم اعتماد السامري في سبط منسي، وهكذا تم تتغلل حور داخل باقي الأسباط بفعل ماله الوفير وسحره العظيم، وعلمه الغزير حتى دانت باقي الأسباط بدين اليهودية، وتركوا ملة آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب».

جابر: «يعني الماشيح حورس بقى رسميًا واحد من بني إسرائيل».

داوود: «مش كده وبس، هو أصبح مرجعيتهم وكبيرهم خصوصًا بعدما صار الجيل الأول من أبناء يعقوب يموتون واحدًا تلو الآخر، وهو باقي بكامل صحته وشبابه، وحين كان يسأل في ذلك كان يقول بصرت بما لم تبصروا به: أي علمت ما لم تعلموا به، زي ما قال لموسى حينما دعاهم بني إسرائيل لعبادة العجل».

جابر: «بس الآية بتقول بما لم يبصروا به، مش تبصروا يا عم داوود».

داوود: «دي قراءة تانية يا جابر، وهي قراءة الكوفيين قراءة عبد الله بن مسعود».

جابر: «هي تفرق تبصروا ويبصروا في آية»؟

داوود: «يبصروا يعني القوم فقط، أما تبصروا تشمل موسى مع القوم، فاهم يا جابر»؟

جابر: «قصديك إن عند السامري علم مش عند موسى ولا قومه».

داوود: «بالضبط كده، وعشان كده موسى سأل ربه بعدها من أيضًا يملك من العلوم ما لا يملكه، فدلّه الخالق على مكان الخضر عند مجمع البحرين».

فكانت قصة موسى مع أبينا الميتاترون في أرض التيه، وبسبب فعلة الماشيح إنهم عبدوا العجل لما هما استبطؤوا سيدنا موسى

اللي راح يكلم الرب عند جبل الطور في سينا، أوحى الخالق مكان التابوت لموسى، والذي كانت أم الماشيح قد أخفته في جبل الطور، فذهب موسى وأخذه وامتلئ كنوز علم أبينا الميتاترون، كما وضع عصاه فيه أيضًا.

لكن حرم منه الجيل الذي عبد العجل، وجعل النصر للجيل التالي بفضل التابوت على يد يوشع بن نون، فاكري يا جابر لما قلت لك إن من أسماء أبينا ميتاترون الخضر؟

جابر: «فاكر بس كنت عاوز أعرف قصة حورس اللي هو السامري مع موسى من أولها».

داوود: «بعد تمكن الماشيح من العبرانيين بني إسرائيل ونجاحه في تهودهم، ظن هو وحليفه عزازيل إن يوسف كان آخر الأنبياء، حتى كاد حورس الدجال أن يخرج للعلن، ويجمع جنوده من جوف الأرض مع اليهود ويعلن إنه رب الأرض، لذا القرآن يقول في سورة غافر: «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ» (٣١).

وفعلا اجتمع الزعماء في المحفل على مستوى القادة: عزازيل ولييث وشمهازي وسطائيل وحورس وأمه، للنظر في خطة الخروج، وأثناء تأديتهم للطقوس الافتتاحية بالسجود لعزازيل وتقديم القرбан المكون من الأطفال البشرية، وممارسة التنجيم، رأوا أنه زمان بعثة نبي من أولي العزم، وانقلب المحفل السعيد للكآبة والحزن،

لكن سرعان ما جددوا العزم على العمل والمضي قدماً فيما بدؤوه من سنين طوال، وكان هذا في عهد تحتمس الرابع بن أمنحوتب الثاني، عابد رع -أي عابد عزازيل- وآمون -أي المتخفي- وهو إله الشمس حورس -وآمون رع هو دمج للدين وعبادة الشيطان والدجال حورس- فأمر عزازيل وليه تحتمس الرابع الذي هو فرعون موسى بقتل كل المواليد كما هو معلوم وكانت نجاة موسى.

ثم توفي وتولى بعد ذلك ابنه فرعون الخروج، وهو أمنحوتب الثالث، وكانت ولايته بحيلة من عزازيل وحورس، رغم عدم أحقيته بالملك من بين إخوته، وهو الذي ربي موسى في بيته مع ابنه أمنحوتب الرابع وهو أخناتون، وهو المقصود في قرآنكم بمؤمن آل فرعون، بعدما قال فرعون الكافر الأب: «وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٦٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٦٨﴾»، المهم إنه بعد عودة موسى من أرض مدين والجهر بدعوته لقي من قومه أشد العنت: «فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ»، رغم ما جاءهم من آيات بينات، بل وأشعلوا ثورة عليه بقيادة قورح (قارون) من سبط لاوي، وداثان وإبرام من سبط رأوبين، وأون من سبط يهوذا، والمئات غيرهم والذي كان يقودهم حورس المتسمى بالسامري».

داوود: «محدث سأل نفسه يا جابر كيف امتلك قارون كل هذه الأموال، رغم إنه من بني إسرائيل اللي المفروض مضطهدين»؟
جابر: «عندك حق يا عم داوود! إزاي»؟

داوود: «لأن قارون كان مساعد السامري الأول يا جابر، وهكذا كان حال اليهود أتباع السامري، أما الاضطهاد الحقيقي في مصر كان يقع على العبرانيين بني إسرائيل المؤمنين وقتئذٍ وهم القلة، المهم ورغم الخسف بقارون ظلت الثورة على موسى مستمرة، ولولا إن فرعون توعد الكل بالإبادة ما خرج أتباع السامري مع موسى من أرض مصر، لذلك بمجرد ذهاب موسى للقاء ربه عبد القوم العجل، ولما عاد موسى من مناجاة ربه كان حكم الخالق أن يقتل القوم بعضهم، إلا حورس بسبب تأجيله لليوم الموعد.

والقرآن حكى يا جابر عن القصة دي لما موسى قال للسامري:
إن لك في الحياة أن تقول لا مساس، ولينا موعد يوم القيامة هنتحاسب، وبالفعل ذهب الماشيح حور ولحق بحزب عزازيل بأرض النهرين.

وحدث بعد ذلك أن فرض الجهاد على اليهود ضد العماليق، والأمر بدخولهم أرض كنعان فلما رفضوا وعصوا موسى، كتب عليهم التيه أربعين سنة في سيناء، أما في مصر فبعد ما مات فرعون غرقاً تولى ابنه أخناتون الحكم، وحاول أن يقيم دين التوحيد لكن الكهنة قاوموه أشد المقاومة وأثاروا عليه الشعب حتى أخرجوه من البلاد ومعه زوجته نفرتيتي وبعض المؤمنين به.

فاتجه ناحية الغرب وانتشرت دعوته هناك حتى بلغ مدينة السوس الأقصى، والتي بناها مهلائيل حين بنى بابل قبل الطوفان في أقصى مغرب الأرض، ويمكن الله له في الأرض حتى عاد أدراجه لمصر فاتحاً واستتب له الملك من جديد. وأقام شريعة التوحيد مجدداً بأرض مصر، مع ضمها إلى كل جهة الغرب حتى مغرب الشمس».

جابر: «بس إحنا مسمعنش قبل كده إن أخناتون رجع ثاني لمصر بعد ما خرج منها مضطهد يا عم داوود!»

داوود: «فيه يا جابر مقولة لواحد اسمه جورج أورويل، كاتب رواية اسمها ١٩٨٤م، قال فيها: «من يملك الماضي يملك المستقبل، ومن يملك الحاضر يملك الماضي»، واحنا يا جابر اللي كتبنا التاريخ وقولنا إيه اللي يتكتب وإيه لأ، عموماً اسمع مني ورتب الأحداث واقرأ كثير وراجع اللي بحكيه ليك، وبعدين صدقني أو قول عليا مجنون، إنت حر».

انتوى جابر أن يراجع الدكتور أحمد في تلك التفاصيل قبل أن يقول: «وبعدين يا عم داوود»؟

داوود: «حين عاد أخناتون فاتحاً، علم أن الكهنة نصبوا من بعده ابنه، سمنخ كا رع، وكان ذا شخصية ضعيفة جداً، وألعبوا في أيدي الكهنة، لدرجة أنه تزوج بأخته ميريت آتون إرضاء لهم وليثبت إنه على دين آمون رع، ومحا اسم أبيه من السجلات الملكية ولقبه بالعدو، لكنه لم يدم له الأمر طويلاً، إذ توفي بعد ثلاث سنين من حكمه، وتولى الطفل توت عنخ آتون ابن أخناتون الأصغر الحكم بعد ما غير اسمه إلى توت عنخ آمون، أيضاً إرضاء للكهنة».

وقتها عاد أخناتون فاتحًا ومعه الجيوش الجرارة المؤمنة، حاول أخناتون كثيرًا تجنب إراقة الدماء حتى أتاه قائده العسكري السابق شديد الإخلاص له حور محب، وقال له إذا أردت تجنب الدماء فعلينا اغتيال توت عنخ آمون؛ لأنه واجهة الكهنة، وسوف يستتب لك العرش دون قتال بعدها.

وافق أخناتون وتم اغتيال توت عنخ آمون على يد حور محب، وعاد الملك الصالح أخناتون لحكم البلاد، وانتشر الأمن والسلام وحكم بالتوحيد، ومرت أعوام قبل أن يقرر أن يسافر إلى مشرق الأرض ونشر الدين كما نشره في مغرب الأرض، وبالفعل ولّى حور محب على البلاد، ثم سافر جنوبًا غازيًا في سبيل الله، حتى قتل شهيدًا.

واتحداك يا جابر إنهم يلاقوا مومياء له أول زوجته في مصر، وتم طمس كل مناقب أخناتون الصالح وغزواته من سجلات التاريخ». **جابر:** «إنت أخذتني في سكة بعيدة عن اليهود يا عم داوود! إيه اللي حصل مع اليهود في سيناء لما رفضوا الجهاد ضد العماليق»؟

داوود: «القصة معروفة ومفصلة عندكم في سورة المائدة يا جابر! والمهم إنه في النهاية كتب الخالق عليهم التيه في الوديان مدة أربعين سنة، مات فيها موسى وهارون والجيل اللي عصى الخالق وعبد العجل، وتولى عليهم النبي يشوع اللي هو يوشع بن نون، فتى موسى، وورث علوم التابوت.

علم يشوع اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، فدعا بحبس الشمس حتى انتصر وفتح المدينة المقدسة، عمومًا هو له سفر كامل في الكتاب المقدس ومذكور في أسفار ثانية، ممكن ترجع له وتقرأ حكايته بالتفاصيل.

وكفاية كده يا جابر يالا عشان تتوكل على الله بدري، وبكرة أكملك»، ثم استطرد داوود كمن تذكر شيئًا مهمًا: «إنت بتروح فين يا وله يا جابر بعد صلاة الظهر، معدتش بتقيل الضهرية زي عوايدك»؟

بهت جابر بالسؤال المفاجئ، فهو في ذلك الوقت يكون بصحبة الدكتور أحمد ليقص عليه أحداث الليلة السابقة، لكنه قال بثبات: «بستقضى الكيف من حارة البطارية».

داوود: «طيب دي خطوتين يعني! وإنت بتغيب بالساعتين والثلاثة»!

احترار جابر الذي لم يعتد الكذب بفطرته الطيبة بما يجيب، إلى أن قال داوود: «شكلك شايف لك شوفة يا عم الشيخ»!

جابر ولم يعقب، فاستطرد داوود: «ومخبي ليه يا عبيط إنت؟ فكرك أنني أزعل؟ عيش حياتك يا وله وانبسط»!

تلعثم جابر وهو يقول: «هقولك إيه بس يا عم داوود! سلامو عليكم».

داوود: «وعليكم السلام يا خويا، ياما تحت الساهي دواهي».

التمكين

في بهو الفندق قص جابر حكاية الأمس على مسامع الدكتور أحمد الذي وقف كثيرًا مع نقطة أخناتون.

أحمد: مشكلتنا مع داوود قدراته العجيبة في خلط الأوراق
فلا نستطع تمييز حقه من باطله، لأكثر من سبب: منها عدم ورود النص الشرعي فيها لحكمة ربانية أو لعل عدم الجدوى من ذكرها في باب الأحكام أو العقائد.

وإننا ما يهمنا في تلك القصص الفائدة العامة والاعتبار، وأبلغ مثال على ذلك قصة أصحاب الكهف من هم؟ وكم عددهم؟ ومكانهم أو زمانهم؟ يعني تقدر تقول علم لا ينفع أو جهل لا يضر، وشيء ثاني مهم على الغالب إن أغلب المؤرخين لا نستطيع أن ننق فيما ذكروا لأسباب عديدة، ولعل داوود صادق حينما قال إنهم هم من كتبوا التاريخ، على سبيل المثال، المؤرخ هيرودت والذي أسماه البعض أبو التاريخ، في حين أسماه البعض الآخر أبو الأكاذيب،

بعد مقارنة ما ذكره من أحداث بنفس التاريخ مع مصادر ثانية، وجدوا الحقائق شبه مقلوبة، ويكفيك أن تعرف أنه لا يوجد سوى هيرودوت والذي عاش حوالي سنة ٤٥٠ قبل الميلاد فقط، هو من نسب الهرم للخوفو، في حين كل المؤرخين الذين زاروا مصر قبله وبعده وسألوا المصريين عن بناء الأهرام كان الجواب موحدًا من المصريين وهو: لا نعلم فإنه قد تم البناء قبل الطوفان!

ومن هؤلاء المؤرخين، هيكاتا المالطي ٥٥٠ ق.م، هيكاتا الأبدري ٣٠٠ ق.م، مانيتون السمنودي ٧٠ ق.م، ديودور الصقلي ٦٠ ق.م، إسترابون ٢٧ م، جوزيفوس (يسيفوس فلافيوس) ٣٧ م، بلوتارخ ١٢٠ م.

والآن نقول وما أدرانا لعل هيرودوت كان من أصحاب المؤامرة أو من نسل القبيلة التي ترفع ذكر من تشاء وتجعله من اللامعين، مثلما فعلوا مع أديسون سارق أفكار وأبحاث نيقولا تسلا.

فمثلاً كلنا نعرف اليوم من هو توماس أديسون، ولا أحد يذكر نيقولا تسلا أذكى العباقرة في التاريخ الإنساني، فقط جريمة تسلا أنه رفض الانضمام للمؤامرة الكونية الخبيثة وأراد جعل علومه لجميع الناس، وليست حكرًا للقبيلة الملعونة.

ولكن كما أسلفت لك نحن بحاجة إلى دليل مادي يدين داوود ونكشف مخططاتهم الخبيثة».

جابر: «دليل مادي زي إيه يا دكتور»؟

أحمد: «وثائق.. تسجيلات.. أي شيء مادي مش مجرد حكايات، إنت عارف إن المحافل الماسونية أغلقت في الستينات بقرار من عبد الناصر شخصياً، وصار نشاطها محظوراً، كما أن الحكومة صادرت مبانيهم وأموالهم، وأغلقت صحفهم ومجلاتهم، فهم قانوناً محظورين، ولا نعرف كيف تسرب إليهم القرار قبل صدوره فتم تهريب كافة الوثائق والمستندات ومحاضر المحافل واللقاء إلى إنجلترا وقتها!»!

جابر: «هو أنا ممكن أغفل داوود وأدخل شقته، بس لا مؤاخذه يعني مش هعرف أوصل للي أنت عاوزه، بس أنا عندي فكرة».

أحمد: «إيه هي؟»

جابر: «داوود قالي إنه هو وولي هيسافروا مصر يوم راس السنة، أنا هحاول أخذ نسخة مفاتيح ولي وندخل سوا وأنت تفتش الشقة، وأنا أراقب لك البيت من برة».

أحمد: «صح أنا سمعت بوجود حفلة كبيرة عند سفح الهرم احتفالاً بالألفية الجديدة، يبقى دي فرصتنا ولازم نستغلها».

في المساء التقى جابر وداوود وبدأت جلسة الحشيش المعتادة، وبدأت معها تكلمة التاريخ الداوودي الساعاتي.

قال داوود: «بعد حصول يشوع على تابوت صحف ميتاترون ونجاح يشوع على إخراج جيل التيه من يهوديتهم وردهم إلى دين الأنبياء، تم تمكين بني إسرائيل العبرانيين من الأرض وفي هذا يقول القراء في سورة الأعراف: «وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ

مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا^ط وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ
بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا^ط وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا
يَعْرِشُونَ ﴿١٢٧﴾ » .

طوال تلك الحقبة لم يستطع حزب عزازيل التأثير عليهم بسبب
احتكام يشوع فيهم بشريعة الخالق بواسطة التابوت، لكن ما إن
مات يشوع وترك الأسباط العمل والاحتكام بشريعة الخالق، حتى
اندس فيهم تحالف الشر - الجبت والطاغوت - مجددًا، وعاد إليهم
السامري وعمل على تفرقهم لأحزاب وتعصب قبلي كل حسب
سبطه، وسرعان ما اشتعلت بينهم الحروب وجددوا يهوديتهم وعبدوا
الأوثان وقدموا لها القرابين البشرية.

لدرجة أنهم فقدوا التابوت مجددًا وخسروه أمام أعدائهم الذين
ضعوه أمام صنم داجون في مدينة أشدود (بيت شمس)، ولكن
الخالق أنزل عليهم البلايا والأمراض، فأرجعوه طوعية إلى اليهود،
والذين بدورهم وضعوه في قرية يعاريم (بعل يهوذا) وتمكن عزازيل
للمرة الأولى من التابوت، وما يحتويه من كتب مיתاترون إلى جانب
ألواح موسى وعصاه والتوراة الأصلية وعاء المن ورداء كتف هارون.
وحين تمكن عزازيل من صحف مיתاترون ساد الأرض وقتها
وعم الشرك بين الناس، حتى الماشيح حورس وأمه الملكة إيزيس
اللذين كانا بمثابة شريكين، أو قل ندين لعزازيل طالما امتلكا
التابوت.

صارا بعد تملك عزازيل التابوت تابعان له لا يناقشانه شيئاً ولا يردان له أمراً؛ أي خاضعان بالكلية له، واثمر اليهود بأمر عزازيل واستجابوا له حتى في قتلهم للأنبياء، والقضاء عليهم».

ثم قال داوود بتقية مفتعلة، لم يتبين لجابر في لهجة داوود أهى شماته في بني إسرائيل أم هي حسرة عليهم: «وذاقوا طعم المذلة والتشردم، شأنهم شأن كل تابع للشيطان، وصدق قول الشاعر فيهم:

ومن جعل الغراب له دليلاً

يهر به على جيف الكلاب

فإن كان الغراب دليل قوم

فلا فلكوا ولا فلاح الغراب

إلى أن بعث فيهم النبي صموئيل، وده اللي قرآنكم يا جابر كان يقصده لما قال: «أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَهْبِثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»؛ وكان ذكره مبهمًا في القرآن، وليه سفر في الكتاب المقدس، وقصته مفصلة فيه.. المهم، ظل صموئيل يدعوهم إلى التوحيد والعودة للشرعية، لكنهم جادلوه كثيراً ولم يستجب له إلا أقل القليل، واشتروا قبول دعوته للتوحيد بعودة التابوت إليهم، وهذا ما تم فعلاً.

فقد حدث أنه حين شاخ صموئيل جعل ابنه يوثيل (وشني) وأبياً، قاضيين لبني إسرائيل في بئر سبع، لكنّ الابنان تمكن منهما السامري الدجال، وفَسَدَا وكانا يقضيان بين الناس بالرشوة ولا يردعهما أحد! فذهب شيوخ إسرائيل إلى صموئيل وقالوا له:

اجعل لنا ملكاً لنجتمع عليه ويحكمنا داخلياً بسلطانه، ويرد أعداءنا الخارجيين، فأوحى الخالق لصموئيل أن يمسح شاول (طالوت) ملكاً، ولم يكن طالوت من سبط الملك؛ أي سبط يهوذا، فاستنكر اليهود عليه ذلك، لكنه كان طويل القامة جداً، كما أنه وعدهم بعودة التابوت إليهم إن استقاموا على الشريعة.

وناقش شيوخ إسرائيل بينهم كثيراً، لكنهم قبلوه ملكاً عليهم بعد جدال كثير، حين رأوا بأم أعينهم عودة التابوت ينزل لهم من السماء، وفعلاً بدأ عهد شاول بعزل القاضيين الفاسدين ابني النبي صموئيل، وأصلح الأمور الداخلية، كما كون جيشاً قوياً مكوناً من ٣٠٠٠ جندي بقيادة ابنه يوناثان، وبدأ انتصاراته الخارجية، وهداه الخالق إلى التابوت الذي أتاحه بمعجزة من الخالق.

وأما ما كان من أمر عزازيل، فحين فقد التابوت بشكل لم يدركه جن جنونه وثار ثورة عارمة، خاصة أن تجرأ الماشيح حورس وأمه عليه، واتهما ليليث بتسليم التابوت لطالوت صاحب الجسم القوي جداً. وأن ثمة علاقة بين ليليث وطالوت من خلف ظهر عزازيل، وأن ليليث السبب في انتصارات طالوت المؤمن حين سلمته التابوت.

فقرر عزازيل الذهاب لشاول بنفسه والنظر في الأمر، وسرعان ما نجح عزازيل في إثارة شاول على نبيه صاموئيل والذي كان السبب في ملكه، فأحدث خلافاً ونزاعاً على منصب الكهانة الأكبر، وأقنع عزازيل الملك شاول بأن الملك هو من يجب أن يكون الكاهن وألا تعلوه سلطة أيًا ما كانت.

وهنا حدث الخلاف بين صموئيل النبي وشاول الملك، وذلك لأن شاول أراد أن يقدم الذبيحة بنفسه ونَصَّب نفسه كاهنًا أكبر، فقال صموئيل لشاول: لأنك رفضت كلام الرب، فرفضك الرب أن تكون ملكًا على إسرائيل. وسلبه الملك الشرعي لكنه بقي ملكًا أمام الناس. ثم مسح صموئيل داوود بن يسي البَيْتَلَحْمِيِّ، ملكًا في السر، وبعدها مات النبي صموئيل.

وأما عن قصة داوود، فقد كان مجرد شاب يعمل بالرعي لأبيه، وفي إحدى المعارك برز أحد العمالق واسمه جليات (جالوت) من بني عناق اللي حكيت لك عنهم زمان يا جابر.. أخت قايين، فظل العملاق جليات يطلب المبارزة أربعين يومًا، ولا أحد يتصدى له، وكان داوود يرعى بالقرب من صفوف الجيش، فذهب ليتفقد إخوته وسمع بقصة جليات، فبرز له داوود وقتله بمقلعه، ثم استل سيف جليات وقطع به رأسه وحملها للملك شاول (طالوت)، وانكسر جيش الأعداء بعد موت جليات، وارتفع بذلك مكانة داوود عند الإسرائيليين وجعله شاول من قادة قواته مع ابنه يوناثان الذي أخلص بدوره لداوود.

وزوج شاول داوود من ابنته ميكال وجعل مهرها ٢٠٠ غلفة من الأعداء، لكن ما حدث بعد ذلك أن شاول سمع بما حدث من مسح النبي صموئيل لداوود ملكًا في السر قبل موته، فاستشاط شاول غضبًا وعزم النية على قتل داوود، ولكن خشي من أن قتله في العلن قد يجعل الشعب يثور عليه؛ لأن شعبية داوود قد ازدادت جدًا بين صفوف الشعب.

فبدأ شاول يرسل داوود للمعارك الصعبة والميؤوس منها، لكن داوود كان يرجع منتصراً في كل مرة، فعزم شاول على اغتيال داوود، وحاول طعنه بالحربة، فهرب القائد داوود حين علم بالمكيدة من يوناثان بن شاول، كما ساعدته زوجته ميكال على الهروب. فلجأ شاول للعرفات وصاحبات الجان، وبالفعل نجحت إحداهن -وهي عرافة عين دور- في الاتصال بروح النبي صموئيل، ليكلم الملك شاول».

هنا قاطعه جابر فوراً: «تقصد خدعته وحضرت أحد شياطينها في صورة النبي صاموئيل؟»

داوود: «لا يا جابر مش شيطان.. إنما معجزة على يد العرافة». وبنبرة قاطعة قال: «ألف نوبة أقولك مش بحب كتر الأسئلة، ما تقرا يا بني الكتاب المقدس وتعلم ونور عقلك». **جابر:** «آسف يا عم داوود كمل بالله عليك»!

داوود: «بقولك روح النبي صموئيل حضرت عن طريق العرافة وكلم الملك شاول وأخبره بموته، فارتعب شاول، وفعلاً حدث ما قالته روح النبي، فقتل شاول في معركة جلبوع وقطعت رأسه ووضعت في معبد عشتاروت، وتم رسم إيشبوشث (إشبعل) ابن شاول ملكاً من الأسباط، إلا سبط يهوذا بايع داوود ملكاً، وهنا بدأت حرب أهلية طاحنة انتهت باغتيال إيشبوشث، واسترداد داوود لملكه المستحق، كما استرد زوجته ميكال أيضاً التي كانت تزوجت من فلطيئيل.

وأخيرًا استتب الملك لداوود، ورغم إن تاريخ أسلافه لا يخلو من بعض لوثات الخطيئة، ابتداء من بيع يهوذا لأخيه يوسف، ومثلما ذكرت لك في قصة ثامار ويهوذا التي نتج عنها فارص جد داوود، ولكن أيضًا هناك صفحات مشرقة، زي إن جده سلمون الذي تزوج من راحاب الزانية التي أنقذت رسولي يشوع وأنجبت بوعر الذي أيضًا تزوج من راعوث الموابية صاحبة السفر رغم إنها مش إسرائيلية، فأنجبت عوبيد (أبويسي البيتلحمي أبو داوود) والذي انتسب لنعمى زوجة اليمالك المرأة الصالحة، وهي أيضًا مش إسرائيلية.

أما الشرف الأكبر أن يكون من نسله المخلص والملك المنتظر مولانا الماشيح سيد ولد أبينا ميتاترون. هذا مما دسه آل قابيل في عقيدة بني إسرائيل ليتبعوه حين خروجه، ظانين أنه من نسلهم وليس من نسل بني قابيل، ولذلك هم رفضوا وعادوا المسيح الحق، بل وحاولوا صلبه فقط لأن القبيلة الملعونة أخبرتهم أنه ليس هو المنتظر، وهي من المدسوسات مثلها مثل أنهم شعب الله المختار وأرض الميعاد وغيرها من الأكاذيب.

جابر: «تقصد سيدنا عيسى طبعًا عليه السلام»؟

غضب داوود غضبًا شديدًا، حتى إن جابر ظل يسترضيه قرابة الساعتين ظنًا منه -لسذاجته- أن غضب داوود متعلق بكثرة السؤال، **وفي النهاية قال جابر:** «وربنا ما أنت نايم زعلان مني، نصاية هخطف رجلي لمحطة الرمل، أجيب أحلى إزازة بلاك ليل، من فرع جناكليس اللي على إمة شارع الشهداء».

تمنع داوود بغير حسم، فقال جابر حين لمح بارقة أمل في استرضاء داوود: ومعها شوية سدق بالصنوبر من عندي الكردي في المنشية، والسهرة صباحي.. ده انت أبويا، وربنا ما قدر على زعلك». لم تمض النصف ساعة حتى عاد فوجد داوود منتظره مصطنعاً الغضب، ولكن ما بدأ العشاء المجاني الفاخر حتى انفرجت أسارير داوود قليلاً، فقال وهو يمزغ سندوتشات سدق الكردي، ويبلغ بالويسكي الفاخر: «يعني إنت كده ضحكت عليا يا روح أمك؟» جابر: «متقولش كده ده أنت مقامك غالي فشر مقام سيدي البرطوشي».

لم ينتبه داوود لأفيه جابر فسأله: «ده في فين سيدك البرطوشي ده»؟

فضحك جابر بشدة وهو يقول: «في برطوووش».

ففهم داوود المزحة فضحكا وانجلت الأزمة.

بعد تناول العشاء وتعمد جابر ألا يشارك في الويسكي، وترك الزجاجة بأكملها لداوود، بدأ داوود في استكمال قصصه، فقال داوود: «في تلك الأثناء دب خلاف شديد بين الملك عزازيل والماشيح حورس، بسبب اتهام الماشيح حورس لعزازيل بالتقاعس في استرداد تابوت أبيه، وعليها ترك الماشيح بلاد النهرين وعاد ليعيش بين كهنة معابده في مصر متهمًا عزازيل بالتقاعس في استرداد تابوت الأب ميتاترون (العهد) ومحاربة الملك داوود، بينما بقيت أمه بين كهنة معابدها في بلاد النهرين لسببين:

• أولهما لتشارك عزازيل التفكير في مرحلة ملك داوود وما بعدها، وحسم الصراع الأبدي بين الخير والشر، وإنهاء المخطط الأزلي المنتهي بتملك ابنها للعالم، وسيادة الكفر بالخالق على الأرض، ومن ثمة انتصار عزازيل في تحديه القديم للخالق.

• وثانيهما، كان لانتشار عقيدة البغاء المقدس في معابدها بشكل غير مسبوق، وتلك العقيدة التي لم تلقَ قبولاً في مصر إلا بشكل محدود قاصر على الكهنة، مما كان يروي شبقها الناتج عن إكسير ليليث القديم، حينما تمنعت إيزيس عن زوجها الثاني شمهازاي.

ومن هنا كان المدخل للمملكة الداودية، فكانت الخطة تلك المرة نسائية بحتة، بعد مباركة عزازيل، سافرت الجميلتان ليليث وإيزيس لأرض الحثيين، وهناك أخذتا يبحثان عن أجمل النساء وأجدرهن على تولي المهمة، حتى توصلتا إلى بششع بنت أليعام (عميثيل) زوجة أوريا الحثي.

ورغم فقر الأسرة المدقع إلا أنها كانت من شدة جمالها تكاد تشبه الملكة ليليث في شعرها الأحمر اللامع ذي الخصلات الملتوية كالشلال، فعقدتا أواصر الصداقة معها وإغراقها بالهدايا الذهبية والعطور والשיاب مما أذهل عقلها، وفعلاً أسخطاها على حياتها وأنها جديرة بأن تكون ملكة مثلها، فسلمت لهما نفسها.

فوضعا خطتهما وهي أن تقنع أباهما وزوجها الشاب باعتناق دين إسرائيل، رغم عدم انتمائهم للعبرانيين أصلاً، وترسيخ تلك العقيدة في نفس زوجها، للدرجة التي بها يوافق على السفر إلى مملكة داوود وتقييد اسمه في كشوف الجيش.

ومن جهتهما سيوفران لأسرتها سكناً بالقرب من قصر الملك داوود، بحيث يرى جمالها الملك، وحينها تعمل على إغواء الملك بكل ما أوتيت من أنوثة، وسارت الخطة كما أرادت الداهيتان، وتوطدت العلاقة جداً بين بثشبع وإيزيس على وجه الخصوص، وأصبحتا لا تتفرقان، لدرجة أن إيزيس مكثت معها في أورشليم.

وعادت ليليث منفردة لعزازيل، وما حدث بعد ذلك وبسبب حماسة أوريا في القتال تدرج حتى صار أحد قادة الجيش، دائم السفر بحكم منصبه العسكري، ومن ناحية أخرى تعمدت بثشبع على إغراء داوود بشكل يومي، من خلال سطح سكنها القريب المطل عليه القصر، والحق يقال إنه قاوم نفسه كثيراً إلى أن رآها يوماً تغتسل عارية في ضوء القمر، وحين رآته التحفت بشلال شعرها الأحمر في تغنج ودلال مصطنع أطار لب الملك.

فأمر باستدعائها للقصر، وهناك ضاجعها من فوره، بل اغتصبها من زوجها، وتعلق بها قلبه جداً، لكن حدث ما لم يكن في الحسبان، فلم تمر إلا مدة يسيرة، حتى أخبرت بثشبع الملك داوود بحملها؛ ولأن الجميع يعلم بسفر زوجها مع الجيش -حسب الخطة المرسومة- خشي الملك الفضيحة، وأمر بمكيدة، قُتل فيها الزوج

أوريا في إحدى المعارك الحربية. وعادت إيزيس لعزازيل وزفت إليه البشرى، فأنبها بأنه لن يفرط في فرصته تلك المرة، ولعل بشبع تصنع ما فشل فيه جواسيسه القدامى، وقت عيسو ورأوبين ومجموعة دبورة، فذكرته ليليث بفضلهم في خلق سبط ثالث عشر في بني إسرائيل، كان السبب في انصهار بني إسرائيل في بني قابيل.

فقطعت حديثهما إيزيس مطالبة عزازيل بوقت محدد لخروج ابنها الماشيح علانية حسب الاتفاق القديم في المحفل الأول، وإعلانه ملك ملوك الأرض، فأخبرها عزازيل -وكان صادقاً- بأنه وجد في كتب التابوت كي يعلن حورس ملكاً، لا بد أولاً من نزول زوجها أوزريس أبو الماشيح للأرض والمسيح الحقيقي يسوع الذي لم يظهر بعد، وتلك ستكون هي المعركة الفاصلة الأخيرة.

نزل الخبر كالصاعقة على إيزيس، خجلاً من زوجها وحبیب عمرها، وكيف ستقابلة حين نزوله من السماء وقد تحالفت مع عدوه سِتْ (سطنئيل) وكل ما فعلته من شرور حينما تركت نفسها لتحالف عزازيل وليليث وحزبهما، من بعد أن كانت زوجة نبي.

فأرسلت إلى ابنها، ولما أتى أخبرته الخبر.. فزاده الشرط تحدياً وتمسكاً بالملك والألوهية، بل وبإيع عزازيل على المضي قدماً في الخطة، واتفقا على أن يتشاركا علم التابوت في حال حصول أي منهما عليه أولاً، وتعهدا على ذلك.

خرجت من مجلس عزازيل عازمة على ألا تعود إلى الأرض أبداً، وصعدت لكوكبها الزهرة واستقرت هناك تعض أصابع الندم، وانتظرت بشبع عودة صديقتها الحبيبة إيزيس كثيراً، وحين لم تعد حزنت كثيراً، وعزمت على نقض الاتفاق المبرم وعدم إتمامه إلا رأت إيزيس شخصياً واطمأنت عليها.

جابر: «ومقام سيدي ياقوت كنت عارف من الأول أن إيزيس دي غلبانة وإن مشكلتها أنها سابت نفسها لحزب عزازيل حباً في ابنها وانتقاماً لزوجها من أخيه، لحد رجلها ما جت في الخية، بس المهم تفكر سيدنا إدريس لما هينزل تاني ممكن يسامحها بعد كل ده يا عم داوود؟»

قال داوود بورع زائف: «كله مقدر ومكتوب يا جابر يا بني».

جابر: «طيب كملي حكاية بشبع يا عم داوود».

قال داوود: «بعد حمل بشبع وموت زوجها أوريا، ضمها الملك داوود لقصره كونها زوجة رسمية، ومات طفلها الأول ابن الزنا، لكنها أنجبت بعده ثلاثة أولاد منهم سليمان بن داوود، فكان في النهاية للملك داوود عدة أبناء من زوجات مختلفة.

وكما قلت لك قديماً أن الخالق أوحى إلى يعقوب بأنه سيجعل الملك في سبط يهوذا، لن يفارق صولجان الملك يهوذا، ولا عصا الحاكم من بين يديه، فلما كان الملك داوود من سبط يهوذا، فهناك دعا داوود الخالق أن يستمر الملك في نسله، واستجاب له الرب، بل وأقسم له على ذلك: أقسمت لعبدي داوود، أثبت نسلك إلى الأبد،

وأُتقي عرشك قائماً من جيل إلى جيل.. ووعدته أن سيكون الماشيح (المسيا) من نسله أيضاً، لذلك قال يوحنا اللاهوتي في رؤياه: هو ذا الأسد الذي من سبط يهوذا، أصل داوود، ليفتح السفر ويفكر خصومه السبعة.

ومن هنا بدأ الخلاف بين أبناء داوود، جميعهم أراد ذلك الشرف، وتتمتة بناء الهيكل الذي بدأه داوود، وأتى بالتأبوت في حفل ضخم لوضعه فيه، ولكن حدث ما قلب موازين الأحداث... بعدما تمكنت بشبع من الملك وأنجبت الأبناء، تنصلت من الاتفاق المبرم بينها وبين ليليث، خصوصاً مع عدم ظهور إيزيس حبيبة بشبع، طبعاً غضبت ليليث جداً وكادت تفتك بها، لولا أن منعها عنها عزازيل وأمرها بالتحول عنها والعمل على أمنون بن داوود الأكبر وولي عهده، والذي ثبت بعد المراقبة الكثيفة، والتحريات عنه أنه مهياً تماماً للانضمام للأخوية. وفعلاً صدق حدس عزازيل في أمنون ولم يخب ظنه، حتى إنه قبل شرط الوعاء المقدس (ضماناً لولائه وجديته) بلا مناقشة، وتمارض أمنون وطلب أن يأكل من يد أخته ثامار، وحين دخلت غرفته راودها عن نفسها، ولما امتنعت عنه قام واغتصبها عنوة».

جابر: «أيوووو يا جدعان! هو إيه حكاية اسم ثامار مع الناس دي؟ ومين!! أخته أعوذ بالله! وعمل إيه سيدنا داوود لما عرف؟»
داوود: «العمل عمل ربنا يا جابر يا بني! أكيد زعل».

جابر: «بس كده»؟

داوود: «أففل حنك أهلك واسمع وإنـت ساكت».

جابر: «حاضر! كمل يا عم داوود».

قال داوود الساعاتي: «ولما لم يكن لداوود أي رد فعل تجاه حادثة الاغتصاب، أضرر الابن الثاني لداوود، واسمه أبشالوم، في نفسه الانتقام لأخته الشقيقة بنفسه، وفعلاً بعد سنتين تمكن أبشالوم من قتل أخيه أمنون، هنا غضب الملك داوود جداً من الابن القاتل، فهرب أبشالوم عند جده لأمه ملك جشور، وبقيَ عنده.

من خلال هذه الأحداث تيقنت بشـبع من تغلل حزب عزازيل في أبناء داوود، فأخذت تقنع داوود تنصيب ابنها سليمان ملكاً، وأن يتجاوز البكورية، ويسلم الكتب لابنها دون غيره، وكانت تفعل ذلك حماية لها من حزب عزازيل الذي نقضت عهدها معه.

في ذلك الوقت كان داوود قد هرم وزهد في الدنيا، ولم يفارقه الحزن بسبب أفعال أولاده وصراهم فيما بينهم، فاعتزلهم جميعاً، وهنا قامت ليليث عن طريق عملاء الحزب داخل القصر، بإدخال الفتاة الشابة جداً الجميلة جداً أبـشـج إلى القصر بحجة رعاية الملك داوود والعناية به في شيخوخته.

والحق أن مهمتها الأساسية والمكلفة بها من قبل ليليث هي أن تحول بين سليمان ابن بشـبع وبين الملك وإقامة علاقة مع أدونيا ابن داوود، وتقويته حتى ينصب ملكاً، في ذلك الوقت أرسل أبشالوم يستأذن والده في الذهاب إلى حبرون، وفاءً لنذر نذره، وبالفعل أذن له داوود.

وبعد وصول أبشالوم إلى حبرون أخذ يرأسل شيوخ إسرائيل وقادة الجند ويستميلهم إليه لعمل انقلاب على أبيه، ووافقه الكثير من الشعب، وعلى رأسهم أخيتوفل مستشار الملك داوود^(١)، وبدأ تمرد أبشالوم وتصاعدت الأحداث بهجوم أبشالوم على أورشليم وفرار الملك داوود منها حاملاً التابوت معه، وكَمَّن مع بعض أتباعه المخلصين في غابة إفرايم، وتمكن أبشالوم من العاصمة وعمل على ترسيخ ملكه، لكن الملك داوود لم يستسلم، بدأ أولاً بحرب استخباراتية بواسطة حوشاي العميل المزدوج لدي أبشالوم.. كما أنه أرسل تابوت العهد أيضاً مع صادوق وأبياثار الكاهنين، وتظاهر الكل بالاستسلام لأبشالوم.

وتم استدراج جيش أبشالوم للغابة، وهناك قسم داوود الجيش إلى ثلاثة فيالق، وكانت مذبحة لجيش أبشالوم؛ حيث مات عشرون ألفاً منهم أبشالوم نفسه، الذي علقت رأسه بشجرة ثم أجهز عليه يوأب -ابن أخت داوود- قائد الجند الذي عزله أبشالوم، مخالفاً بذلك أمر مليكة وخاله داوود، أما أخيتوفل فشقق نفسه ومات، وبذلك عاد داوود لملكه لكنه كان أكثر حزناً لوفاة أحب أبنائه له.

وتعددت المصائب عليه، ولم تنجح أبيشج الشابة الجميلة في التخفيف عنه، ومع إلحاح بشبع وافق على تنصيب سليمان ملكاً من بعده، عند هذه اللحظة وبعدما علمت أبيشج بقرار داوود، أخبرت رفيقها أدونيا بن داوود فوراً ليعد عدته ويدبر خطته.

(١) يقال إنه أليعام والد بشبع. (المؤلف).

استطاع أدونيا أن يضم له يوبآب قائد الجيش وكذلك أباثار الكاهن، وأقام أدونيا وليمة عظيمة في منطقة عين روجل ونودي به ملكًا، وعَزَلَ أباه داوود، فما كان من داوود الذي أراد التخلص من كل ذلك إلا أن أعلن ابنه سليمان ابن بشبع ملكًا من بعده وخليفة عرشه رسميًا.

وسرعان ما توفي داوود بعد تلك الأحداث المؤسفة، وتم تنصيب سليمان ملكًا رسميًا، وبدأ سليمان عهده بالقضاء على التمرد، وتم أسر أدونيا الذي طلب الزواج من أبيشج فقتله سليمان، كما قتل يوبآب قائد الجيش، وطرد أباثار من الكهانة، وبعد انتهاء سليمان من حسم الجبهة الداخلية بدأ بتقوية العلاقات الخارجية عن طريق المصاهرة، فتزوج في أول حكمه بابنة فرعون مصر ثم بلقيس ملكة سبأ وغيرهما.

لذلك بقيت البلاد في سلام وبلا حروب أربعين سنة، أتم أثناءها سليمان بناء الهيكل، كما عكف على دراسة كتب التابوت، واطلع على أسرار ميتاترون فتمكن من السيطرة على الإنس والجن والوحش والطير، حتى الريح سَخَّرَهَا له.

في تلك الفترة علم عزازيل أنه لا طاقة له بسليمان في شخصه، فسلط ليليث على نسائه، وكان سليمان محبًا للنساء والخيل جدًّا، وكان له نساء بلغن السبع مئة، منهم العمونيات والمصريات والموآبيات والأدوميات والصيدونيات والحثيات، هذا كله غير السرائر، فما زالت ليليث بهن حتى أقنعت سليمان بإقامة أوثان لهن ليعبدنهن من دون الخالق.

فغضب الرب وتمكن عزازيل في تصوير الماشيح حورس بصورة سليمان وأجلسه على العرش، وبذلا قصارى الجهد في البحث عن التابوت لكنهما فشلا طيلة أربعين يومًا، في تلك الأربعين كان سليمان قد تاب وأناب لخالق العالمين، فتاب الله عليه ورد إليه ملكه.

وحين عاد سليمان إلى عرشه قيد الماشيح الذي اعتلى العرش متصور بصورة سليمان في إحدى جزائر بحر اليمن، وأخفى سليمان تلك الجزيرة بعلم الكتاب إلى أجل معلوم، ألا وهو بعثة خاتم الأنبياء والذي سيخرج في أمته الماشيح حورس.

وبهذا أراد سليمان ألا يُفعل معه مثلما فعل موسى حين قال له:

اذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس، فعاث في الأرض فسادًا وفعل سليمان ما أمره به الخالق وأمر جمع من الجان المسلم بتقيد الماشيح الجزيرة، لكن سليمان بعد توبته لم يعد كسابق عهده في القوة والبطش، وإنما صار عابدًا خاشعًا زاهدًا في الدنيا مستكينًا لله. بعد نفي الماشيح استعاض عنه عزازيل بأحد رجال سليمان، واسمه يربعام بن نباط ولكن سرعان ما علم سليمان بالمؤامرة من خلال النبي أخيا، وفرار يربعام إلى مصر، وتواصل من هناك مع عزازيل الذي أمدّه بالأموال والرجال.

لذلك فور وفاة سليمان وتنصيب ابنه رجعام ملكًا من بعده، عاد يربعام قويًا واستطاع استقطاب الأسباط إليه عدا سبطي يهوذا وبنيامين، الذين أسسوا لمملكة يهوذا في الجنوب.

وأقام يربعام مملكة إسرائيل في الشمال، وكانت الوثنية هي الدين الرسمي للبلاد، إذ كان عزازيل هو الحاكم الفعلي لها، لذلك أقام العجول الذهبية كآلهة رسمية للدولة، وانتشرت عبادة بعل وعشتروت وسائر الآلهة القديمة في اليهود وأقاموا لها المعابد وقدموا لها القرابين البشرية... وظلت بعض المقاومة على فترات من مملكة يهوذا، فلم يشأ عزازيل أن يخسر الكثير من البشر في معارك حربية».

«وزي ما قلت لك قبل كده يا جابر، إن الملك عزازيل ليس سفاكاً للدم كي لا يكون قنطرة يعبر المؤمنون من خلالها إلى الجنة من باب الشهداء، فأمر يربعام بوقف القتال، وبدأ العمل الدعوي التبشيري في مملكة يهوذا، وفعلاً نجح نجاحاً باهراً، فحذت مملكة يهوذا حذو مملكة إسرائيل في عبادة الأوثان وانحرفت عن الصراط المستقيم.

ومرت السنوات العديدة زار خلالها عزازيل حليفه البشري المنفي، وفي إحدى تلك اللقاءات قررا أن يتم جمع المؤمنين بهم جميعاً في بلاد النهرين، لكي ينصهروا في المجتمع العزازيلي، ويتم صياغة اليهودية في شكلها النهائي قبل تصديرها إلى العالم، حينما يحين الموعد ويتم فك أسر الماشيح المسلسل في الجزيرة.

وفعلاً سلط عزازيل الملك سرجون على مملكة إسرائيل، ومن بعده بختنصر أو نبوخذ نصر، على مملكة يهوذا، وتم سوق العبرانيين إلى أرض الآلهة في بلاد النهرين بعيداً عن الشام، التي ما خلا فيها

زمن إلا وأرسل الخالق نبياً أو أكثر ليقم الحجّة على العبرانيين، مما أجهد عزازيل أشد الجهد في المقاومة والصراع.

ولكن هناك في بلاد النهرين حدث ما فر منه عزازيل في الشام، فما إن أنهى عزازيل صياغة اليهودية كدين شعبي ودمجه مع علوم السحر ومبادئ الوثنية، وجعل من النجمة السداسية - ذلك الرمز الوثني ذو الدلالة الجنسية المعلومة - شعاراً للدين ونسبته إلى النبي داوود كدرع.

واختص خواصه من العبرانيين ببدعة أسرار الحلول والاتحاد الإلهي بين الإنسان والرب تحت مسمى شجرة الحياة، وهي فرع مهم في علم القبالة، وفجأة حدث أمر مهم وخطير زلزل عرش عزازيل في معقله، إذ أرسل الخالق نبياً في بلاد النهرين وفتح على يده ممالك الأرض مشارقها ومغاربها ألا وهو كورش ذو القرنين».

جابر: «ذو القرنين المذكور في سورة الكهف! هو كان نبي»؟

داوود: «هو يا جابر، بس اللي حصل إنه مثلما أمر عزازيل بتحريف عقيدة أخناتون وأشاع إنه دعا لعبادة الشمس، أمر عزازيل أيضاً بتحريف دين (ذو القرنين) وسماه (زرادشت) ودينه للمجوسية^(١).

(١) هذا ما كتبه القبيلة في كتب التاريخ، وأشيع أنه دعا لعبادة النار، لكن الحق أنه كان ملكاً

نبياً موحدًا وبريء من العقيدة الثنوية.

جابر: «على كده ممكن يكون بوذا وكونفوشيوس أو رام وكريشنا يكونوا في الأصل أنبياء، لكن اليهود حلفاء عزازيل حرفوا دينهم وعقائدهم».

داوود: «عندك في دينك ما يمنع وينفي كده»؟

صمت جابر ولم يثبت ببنت شفه فاستطرد داوود: «بل بالعكس قرآنكم يقول «رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» وأيضاً حديث الأنبياء مئة وعشرون ألفاً، وغيرها من النصوص.

فاكر يا جابر لما حكيت عن أولاد إبراهيم من قطورة اللي أنجبهم بعد وفاة سارة، مش قلت لك إن إبراهيم أمرهم بالسكنى في أقصى الشرق، أهى الأسماء دي كلها لأنبياء فيهم، وفي ذرايهم اللي استوطنوا هنالك.

بص يا جابر يا بني التاريخ ده كله زي مسرحية أو فيلم حلو، إنت مش شايف منه غير الممثلين الشاطرين، ونادراً ما بتشتغل بالك بالمؤلف أو المخرج واللي بيحصل في البلاطوه أو خلف الكواليس».

جابر: «ماشي يا عم داوود، احكي لي قصة زرادشت كورش (ذو القرنين)، مع عزازيل وحزبه».

قال داوود: «حين بعث النبي كورش وملك الأرض كان أخشى ما يخشاه عزازيل أن يستقطب كورش منه ذرية قايين المنصهرة في الذرية الإسرائيلية (اليهود) خصوصاً إنه وجد منهم أتباعاً صادقين لكورش، في ذات الوقت اتخذ كورش قراراتين في غاية الأهمية:

الأول أنه سمح للبرانيين بالعودة لديارهم، والثاني قراره بالسفر حول العالم مشرقه ومغربه غازيًا في سبيل الله.

هنا عمل عزازيل على المحورين، من ناحية أمر يهوده المخلصين بالعودة للشام، وإفساد ما أصلحه ذو القرنين في البرانيين العائدين لأورشليم، ومن ناحية أخرى رابط مع البرانيين متبعي كورش في رحلته.

ولكن حين بلغ مشرق الأرض حدث أمر مهم، إذ اشتكى سكان تلك المنطقة من قومي يأجوج ومأجوج، هنالك رأى اليهود اتباع كورش بأمر أعينهم قوة بطش وعدد أبناء النيفليم من الأدميات الذين طالما حدثهم عنهم عزازيل ووعدهم بنصرتهم لهم كونهم حلفاء.

حين وعدهم قديمًا بإقامة ملك لهم من النيل للفرات بقيادة ماشيحه حفيد قابيل المنتسب زورًا إلى بيت داوود، فلما بنى الملك كورش السد وردم منافذ جوف الأرض التي كانوا يتسللون من خلالها، اشتد حزن اليهود جدًّا؛ لدرجة ارتدادهم عن الدين الحق دين ذي القرنين.

وطلبهم من الملك كورش البقاء هناك قريبًا من السد، بزعم أن يكون منهم فيلق قوي لحراسة السد وحماية القوم المستضعفين هناك ونشر الدين فيهم.

ورغم إن الملك نزل على رغبتهم وسمح لهم بالبقاء إلا أنه لم يسلم منهم، إذ اغتالته طائفة منهم أثناء عودته من سفرته المباركة، وأما من بقي منهم هناك فتكاثروا ونموا حتى كانت لهم مملكة الخزر بعد ذلك».

جابر: «حصل إيه بعد كده يا عم داوود»؟

داوود: «كفاية كده النهاردة وخليني أقوم أنا عشان هأخذ الدكتور ولي ومسافرين بكرة القاهرة».

جابر: «خير فيه حاجة ولا إيه»؟

داوود: «آه حفلة كبيرة أوي في الهرم بمناسبة الألفية الجديدة وجات لي دعوة من ناس قرايبي عايشين برة، فقلت بالمرّة ولي يتفصح شوية ويزور الأهرامات».

فورًا علم جابر أنها اللحظة المناسبة لاقتحام الشقة مع الدكتور أحمد الأزهرى، فلم يزد جابر عن قوله: «كل سنة وإنت طيب يا عم داوود»! قبل أن يصعد إلى شقته.

الألفية السعيدة

الإسكندرية ١٣ ديسمبر ١٩٩٩

ما إن ركب داوود وولي القطار من محطة مصر، وبعد عناق جابر لهما حتى أذن لصلاة الظهر، فاتصل جابر على هاتف الفندق وتواعد مع الدكتور أحمد أن يلتقيا في مسجد ابن خلدون، وبعدها يذهبان إلى شقة داوود، وأكد له أنه استطاع الحصول على نسخة مفتاح ولي للشقة.

كانت الحارة أشبه بوادٍ للنمل؛ بحيث تستطيع أن ترى كل منشغل فيما يعمل، لكن في المجموع إذا جمعت الصورة كقطع البازل سرعان ما يتضح أنه فريق واحد متكامل كما كينة لا ينبغي نزع أحد أتراسها وإلا توقفت الماكينة كلها.

ابتداء من النسوة العائدات من سوق الميدان حاملات الخبز والخضار، مروراً بعم حنا البقال، وهو يدون في دفتره شكك هؤلاء النسوة، من أرز وزيت، في حين يخترق صوت المنظومة من أن

لآخر: أصوات شوقي بائع الجاز بملابسه السوداء، أو عم جعفر تاجر السكسونيا ذي البالطو الأبيض، وقفص الأواني البلاستيكية على رأسه، وكل له نغمته الخاصة في الإعلان عن سلعته.

في هذه الأجواء تسلل وتقدم جابر يتبعه أحمد الذي ما إن أغلق الباب حتى حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ انشقت الأرض عن الكلب أنوبيس، فألصق أحمد ظهره للباب وهو يصرخ في جابر: «إيه ده مجبتش سيرة عنه»؟

حاول جابر تهدئة أحمد: «متشغلش بالك هو عارفني وأنا هسيطر عليه».

وبالفعل حاول جذب أنوبيس من الخلف، فالتفت إليه وزمجر بصوت خلع فؤاد جابر من بين أضلاعه، فترجع إلى الخلف ووقف أنوبيس على قدميه الخلفتين ولصق الأماميتين على صدر أحمد، حتى جعل وجهه مباشرة في وجه أحمد، وتلاقت عينا الكلب بعيني أحمد المذعورة، وتلاصق صدريهما، وعبثًا حاول جابر جذب الكلب إلى الخلف من ذيله، حتى إن أحمد وجد لعبابه على وجهه، فكرر استغاثته بجابر، ولكنه فوجئ بجابر يحادث أحدًا لا يراه أحمد.

جابر: «حقك عليا يا عم داوود هفهمك كل حاجة»!

داوود بمنتهى الهدوء: «دي آخرة تربيتي ليك يا جابر؟

تخوني»!

جابر: «مش القصد والله يا عم داوود».

أحمد وهو ملصق ظهره للباب الذي لم يفتح: «داوود مين يا جابر! الحقني الكلب هيا كلني».

التفت داوود ناحية أحمد فنزل الكلب إلى الأرض، ولكن بقي أحمد معلقاً على الباب كأنه قطعة من المغناطيس، وحين أشار إليه داوود بإصبعه بدأ بالتحرك وظهره على حائط الغرفة، محرّكاً يديه وقدميه بحركة لا إرادية كمن يخشى السقوط، وهو غير مستوعب لما يحدث؛ حيث إنه لم يكن يرى داوود الموجود أمامه أو بالأحرى أسفله.

فصرخ في جابر: «إنت بتكلم مين؟ اعمل حاجة يا جابر!»
بدوره هتف جابر في داوود: «بالله عليك اهدى يا عم داوود وأنا هفهمك».

هنا نفذ صبر أحمد فصاح في جابر: «هو فين الزفت داوود اللي إنت بتكلمه! أنت جاي تجنن دلوقت!»
لكن ما إن انتهى أحمد من جملته، حتى استمع لصوت يملأ أركان الغرفة، ولم يتمكن من تحديد مصدر له، يهتف به: «إنت مين؟»

حاول أحمد استجماع القدر المتبقي من شجاعته أثناء تعلقه بالحائط وهو يردد: «إنت اللي مين؟»
هنا حاول جابر تهذئة الأجواء فقال بلطف -عساه أن ينقذ ما يمكن إنقاذه-: «ده عم داوود الساعاتي صاحب البيت يا دكتور».

أحمد: «هو فين! ليه أنا مش شايفه!»
هرول جابر ناحية مفتاح الكهرباء وأضاءه ثم قال: «أهو قدامك يا دكتور».

واصل أحمد صياحه في جابر: «يا جدع إنت مجنون! ما فيش حد هنا غيري وغيرك، افتح الباب بسرعة ونادي حد معاك ينزلني». **أطفأ داوود الإضاءة مجددًا بإشارة من بنانه، وهو يقول:** «اقعد يا جابر هو مش هيشوفني ولا هتقدر تفتح الباب».

سمع أحمد الجملة الأخيرة فقال: «وليه مش أشوفك»؟
وبطريقته وفي ثوان معدودة عرف داوود تاريخ حياة أحمد منذ مولده وحتى اللحظة التي يحادثه فيها، **داوود:** «عشان إنت هتموت».

استعاذ أحمد بصوت عالٍ، ثم قال: «ما بياخد الروح إلا اللي خالقها».

أجابه الصوت: «ألا تؤمن بالأسباب يا دكتور»!
أحمد: «طيب خليني أشوفك».

فوجئ بالصوت يقول: «تاريخ حياتك قدامي دلوقت يا دكتور أحمد عبد الحميد حسونة، وإنك جاي هنا طالب حقيقة المعرفة، صح»؟

لوهلة شعر أحمد أن حواراه مع الصوت أضاف له شيئاً من الطمأنينة لنفسه، لا يعرف كيف حدث ذلك ولكنه حدث.

فأجاب أحمد الصوت: «صح بس أنا عاوز أشوفك، ومتقولش على حساب موتي».

هنا فوجئ أحمد بالصوت يقول له: «تحب تلعب لعبتي حسب قواعدي»؟

اندهش أحمد جدًا من السؤال، فقال فورًا: «أي لعبة»؟
هجاوبك على أسألتك بس مقابل كل إجابة ليا شرط عليك تنفيذه، دفع فضول للموافقة التي لا يملك غيرها وعساها أن تكون وسيلة نجاته، عند هذا الحد ظن جابر المسكين أن الأمور بلغت حد الدفء الموصل للنجاة، فقال: «وأنا معاكم يا عم داوود»!

قال الصوت: «إنت خلاص لعبت وخسرت يا جابر».

جابر: «ليه بس يا عم داوود ده أنا حبييك».

لم يجبه الصوت بل قال: «أبدأ يا أحمد اللعب دورك».

قال أحمد مباشرة: «عاوز أشوفك».

داوود: «شرطي إنك تشوف شكلي مش تشوف داوود». لم يستوعب أحمد الصيغة ووافق قبل التمعن فيها، وكانت النتيجة أن أظلمت الغرفة عن ضوء أزرق قوي لنقطتين، سرعان ما إن اكتشف أحمد بعد أن اعتادت عيناه الظلام أنهما عينا مقلوبتان عرضاً لكائن ذي وجه، كأنه لوح صفيح مطرق بعشية، أما أنفه فهو بارز قليلاً جدًا من لوح الصفيح بشكل مستطيلي، له فتحة كأنوف البشر، أما عن الفم فقد خلا من الشفاه، فقط صفان من العظام الصفراء المدلاة على هيئة الأسنان.

لم يكن الأمر مريعًا جدًا لأحمد الذي فوجئ بالمخلوق أمامه،
إنما الفزع الأكبر كان من نصيب جابر الذي شاهد مرحلة تحول
داوود لذلك المخلوق، فسقط جابر مغشيًا عليه.

بدا أحمد متماسكًا وهو يقول للمخلوق: «حسنًا دورك»!

**قال داوود بهدوء: «زي ما أنا شايف إنت كنت متوقعني بقرون
وذيل زي الأفلام، وكده أنت كسبت نقطة.. عمومًا الآن دوري،
وشرطي هو إن أردت النجاة فعليك بقتل جابر».**

**فبادله أحمد هدوءه بهدوء مماثل، فسأله: «وماذا إن
رفضت»؟**

**قال داوود: «هتخسر نقطتك.. مما يعني عليّ التعجيل
بموتك».**

**أدرك أحمد أنه مقتول لا محالة، وأنه قاتله يتسلى به قبل
موته، فقال لداوود: تمام أنا أقر بخسارتي لنقطة، ولكن هذا لا
يمنع أنه الآن دوري».**

**ابتسم الكائن ضحكة بشعة، وجلس على كرسي هزاز عتيق
مقابل للحائط المعلق عليها أحمد ثم قال: حسنًا الآن دورك».**
أحمد: «من أنتم»؟ ثم أردف متعجلًا قبل أن يجيب المخلوق:
**«خليني أصيغ السؤال بشكل ثاني: احكي لي ما حكيته لجابر حتى
أفهم من أنتم».**

**ابتسم المخلوق بخبث: «إنت عاوز تكسب وقت؟ ولا بجد
عاوز تعرف الحقيقة رغم موقفك ده»؟**

أجاب أحمد بتحدٍ شجاع: «عاوز الحقيقة».

داوود: «بس الحقيقة معناها إنك حكمت على نفسك بالموت، ومتنساش إنك لتوك خسرت نقطة برفضك قتل جابر، ودي هتكون النقطة الأخيرة».

أراد أحمد استثارة المخلوق، فقال: «أعلم أنك لست بقاتلي إلا بإذن الله، فإن قُلت مت في سبيل العلم ومعرفة الحق، وإن نجوت حذرت الناس من مخططكم الأزلي الشرير».

ضحك المخلوق ضحكة اهتزت لها أركان الغرفة وهو يقول مستنكرًا: «ناس؟ أي ناس! المغييين! المطحونين بين فكي رحي توفير القوت والمضي قدمًا نحو مستقبل مجهول نحن من نملكه! أم من هربوا من تلك الطاحونة وصار همهم المحافظة على مستواهم الاجتماعي ومناصبهم! تعرف إنك لو نجوت من هنا وحذرت الناس وقتلت لهم بتفاصيل المؤامرة سيتهمونك بالسفه والجنون».

أحمد: «اعتبرك رافض الإجابة وإنك خسرت نقطة»؟

المخلوق: «أنا لا أعرف للخسارة طعمًا، لذلك سأجيبك ولو بشكل مختصر عما حكيته لجابر، عساك أن تفهم، ووقتها يحق لي قتلك حسب قواعد لعبتنا».

أحمد: «بلا تورية أو مداراة»؟

ابتسم المخلوق وهو يقول: «إنك ميت فلما التقية أيها الغبي».

ثم قام من على كرسيه وجال في الغرفة، وهو ينظر إلى جابر المسجى على الأرض مغشيًا عليه، وبدأ يسرد بلا تقية: «أما عن

سؤالك من نحن، أنا ابن من أبناء عزازيل الثائر الأول من الجن، وأما هي ليلث الثائرة المتمردة الأولى، والمتحالفان مع الثائر البشري الأول قابيل، والذين اجتمعوا جميعاً على التمرد، لذلك نسلنا بينهما عهد أزلي وأبدي موثق بالدماء والنار بيننا ضد من ظلمنا لأجله: أي آدم ونسله.

وكانت العقبة الأولى التي قابلت آباءنا الأول إدريس ابن قابيل البكر الأول».

قال أحمد: «بس المشهور إن إدريس من نسل شيث مش من نسل قابيل؟»

المخلوق: «هذه لعبتنا التي نجيدها، وعليك إذا أردت أن تفهم أن تفرق بين ما هو المشهور وما هو حقيقي، ومن حدثك أن الماضي قد مضى فلا تصدقه».

أحمد: «كلمني أكثر عن النبي إدريس».

المخلوق: «الحق أن إدريس كما تسميه أنت أو حنوك كما كتبناه في الكتب المقدسة وغيرها حين استبدلناه بأخنوخ وفق الخطة، هو أوزيريس والد الدجال حورس الذي استقطبناه هو وأمه وهو أيضاً ميتاترون معبود خواص بني إسرائيل، وله العديد من الأسماء، لذلك دعني أخبرك أن إدريس هو مفصل الصراع».

أحمد: «كيف؟»

المخلوق: «بعدما درس إدريس كتاب رزائل ونسخه من شيث، كان المتوقع منه أن ينصاع لأبيه وأبي ويسلمهما النسخة،

لكنه فعل العكس وأطاع الخالق وعصانا وقتها خصه الخالق برفعه إلى السماء، وهناك درس علم الأولين والآخرين، بالإضافة إلى كتابة اسمه في المنظرين».

أحمد: «إذا إدريس حي يرزق، ولهذا قال البعض إنه هو الخضر»؟

المخلوق: «نعم هو الخضر.. وكما قلت له العديد من الأسماء.. المهم أنه دوّن تلك العلوم ومعارف الحكمة في عدة كتب، ونذرها لمن يتبع الخالق ويسير على درب الهدى، وهنا بدأت الحرب بيننا وبين أتباع دين رب السماء الواحد من لدن آدم وحتى نبیکم؛ حرب الغرض منها الغواية والإفساد، ومن ثم الاستحواذ على الكتب والعمل بعكس ما كتبت له، وذلك لضمان السيادة على الأرض وتمكين الغواية في ربوعها، حتى لا يقال فيها لا إله إلا الله، وحينئذ يكون قد انتصر فيها آباؤنا الثوار عزازيل وقابيل حين تحديا الخالق، وليؤكد أنهما أحق وأفضل من آدم وأبنائه.

ثم كانت العشرة الثانية حين ورثت إيزيس الكتب من زوجها ورفضت تسليمها، وخبأت الكتب في تابوت ست الذي حاول قتل زوجها فيه، وساومتنا على التابوت مقابل حكم وليدها حورس للعالم أجمع.

وحين اجتمعت الكلمة معها بصفتها أرملة إدريس أنشأت أخوية سرية لنسلنا من أجل ذلك الغرض، وسميناها أخوية العين وكما أسمتها هي، أبناء الأرملة».

أحمد: «وما علاقة بني إسرائيل بذلك؟»

المخلوق: «لقد اختارهم الخالق واصطفاهم على العالمين من بعد إبراهيم وحتى قبل بعثة نبي الإسلام، ولهذا السبب كان الصراع بيننا وبين الخالق على الاستحواذ عليهم، ومن ثم إثبات عدم جدارتهم لهذا الشرف والفضل، تمامًا كجدهم آدم، فكانت معركة استقطابية صفرية بيننا وبين الخالق على إيمانهم أو كفرهم، انتصرنا فيها بجدارة وبعد كفرهم بالخالق تم صهرهم في نسل قابيل، وأصبحوا أركان للأخوية السرية».

أحمد: «وهل يعلمون بذلك؟»

الكائن: «الغالب منهم لا يعلمون، ولكنهم يقولون كما قال آبائهم الأولون: «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ».. فهم هكذا وجدوا دينهم الذي صنعناه لهم، وحتى كان حين يأتيهم رسول منهم، أمرنا قادتنا فيهم بقتله وهم يعلمون، وخدعناهم بقولنا إن الماشيح مخلص العالم منهم وتحديداً من بيت داوود، ولكن في الحقيقة هو موجود وهو حورس الحي، وهكذا صنعنا لهم اليهودية ديناً.. مع العلم إن بني قابيل الخلف مدونون في سجلات سرية خاصة، ومعروفون بالاسم والنسب ليطايزوا عن بني إسرائيل الذين هم في الحقيقة مطية وعباد مخلصون لبني قابيل.

وكما قلت لك اليهود العوام لا يعلمون، فهم على دين مفصل من قبلنا ودعوناهم من خلاله لمحاربة باقي الأديان، فملكناهم وملكنا بهم، ولكن قادتهم يعلمون جيداً ما يحدث، فهم باعوا أرواحهم لغزازيل وهكذا سادوا الدنيا».

أحمد: «وماذا عن التابوت»؟

المخلوق: «بعدما خبأ سليمان تواصلت جهود إنسنا وجننا قرونًا في البحث عنه، ولكن للأسف كان الفشل دومًا حليفنا، إلى أن وردت أنباء بوجود التابوت في أورشليم، هنا أنشأنا فرقتين مهمتين في التاريخ الوسيط.. واعتبرناهما جناحينا المسلح. وأوكل لهما مهمة البحث عن التابوت، سواء أكانت أورشليم في أيدي المسلمين أو نجح الصليبيون في الغزو، والفرقتان كانتا: فرقة فرسان الهيكل وفرقة النارية الإسماعيلية (الحشاشين)، وبعدما أشعلنا الحروب الصليبية تمهيدًا لعمل الجناح المسلح نجح فرسان الهيكل والحشاشين في العثور على التابوت، وأخيرًا وقع التابوت بكل ما يحتويه من مقدسات تحت أيدينا، ولكن كان أهم ما يعيننا فيه، هي كتب إدريس وكتاب زرائيل الأصلي وبلورة سليمان».

أحمد: «يعني مافيش خاتم لسليمان وإنما بلورة»؟

المخلوق: «خليك فاكّر دايمًا إننا ملوك الحقيقي والمشهور، فالمشهور إنه خاتم لكن الحقيقة هي بلورة ماسية لها قدرات لن يبلغها عقلك».

بلغ الفضول لدى أحمد مداه، فسأل المخلوق بلهفة حقيقية:

«وماذا حدث بعد ذلك»؟

ابتسم المخلوق ابتسامة شر وخبث، فقد علم أنه تمكن من أحمد حين ملكه من فضوله وأنساه الذكر، وهو الأمر الوحيد الذي كان قادرًا على نجاته من مأزقه، فقرر أن يقتله بفضوله.

قال المخلوق: «بعدما ملكنا التابوت حدث خلاف بين الملكين عزازيل والدجال الذي كان قد فكت وثنائه من الجزيرة منذ زمن بعثة نبيكم حسب الأجل، والوعد المحتوم، فقد كان رأيه أن يبدأ في الخروج ويملك الأرض خلافاً لرأي عزازيل وهو أنهم عليهم بتهيئة الأرض لخروجه، وذلك بمزيد من الإفساد فيها وهدم ممالك الأرض أولاً.

خصوصاً حينما عمل فرسان الهيكل بأمر من الدجال المحب للظهور واستعراض القوة على ممارسة الطقوس علانية وتملك المساحات الشاسعة من الأراضي، مما أثار حفيظة البابوات عليهم فبدؤوا يشيرون عليهم الملوك، فطردوهم وطاردوهم واستباحوا قتلهم وإحراقهم أحياء.

وقتها وبخ عزازيل الدجال بشدة بل وأهانته ولم يدعه حتى أخذ عليه العهد والميثاق أن يطيعه، ويكون معه كالتلميذ أمام أستاذه وليس الند بالند، وأن ينصاع بأمره، وعليه فقط أن يكون أداة تنفيذية حتى يُتِمَّ المخطط كما رسمه عزازيل قديماً، ويسلمه ملك العالم في الوقت الذي يحدده هو، ووافق الماشيح الدجال.

أخذ عزازيل يفكر ملياً في النظام المتمثل في الشيوقراطية التي ابتدعها في أوروبا، وأنها لن تصمد أمام زحف الخلافة العثمانية الآتي من الشرق، فرسم الخطة المرحلية المهمة المتمثلة في الآتي: دعم الأتباع الشيعة جنوب الخلافة وجمعهم في دولة قوية تكون شوكة في ظهر الخلافة لتشغلها عن التمدد تجاه أوروبا.

وفي ذات الوقت الوقوف بكل قوة مع الحليف الإستراتيجي الروماني فيلاد تيبس، فكان الحصن الشرقي المنيع في التصدي أمام الجيوش الأمامية للخلافة، ومنعها من التوغل في قلب أوروبا. أثناء ذلك كله يجب العمل على إسقاط الملكيات الأوربية، وإلغاء النظام الشيوعي واستبداله بالنظام العلماني الديمقراطي من خلال الثورات، فبدأ بفرنسا مرورًا بسائر الملكيات، فإذا تم ذلك يتم بعدها تصدير العلمانية لإسقاط الخلافة من خلالها.

على أن يتم تغيير مركز الثقل من بريطانيا إلى أمريكا بشكل تدريجي لحكم العالم من هناك، وخلال كل ما سبق يجب العمل بكل قوة على نشر الفساد والموبقات يتخللها ثلاث حروب عالمية حتمية الحدوث لإنهاك البشرية، مما يجعل بنزول إدريس مباشرًا بنزول المسيا الحقيقي ابن مريم، لتحقيق الشرط، ويتم من بعدها تسليم الحكم للماشيح الدجال».

قال أحمد الذي أشغله فضوله تمامًا عن الذكر والاستعادة:

«إذا أنتم تؤمنون بعودة سيدنا عيسى مثلنا؟»

المخلوق: «طبعًا ومن أجل ذلك أنشأنا المذهب البروتستنتي ثم المرمونية وأخيرًا شهود يهوه، وعلى هذا يعمل رجالنا المخلصون من المحافظين الجدد في أمريكا.. وقتها تأتي الخطوة الأخيرة، وهي أننا مثلما فعلنا في أول الأمر ودلسنا بين إدريس إخنوخ وحنوك حتى جعلناه يَهُوَّه اليهود وأتباعهم، سوف ندلس في آخر الأمر بين حورس ماشيحا ابن قابيل وبين مسياهم ابن مريم.

أحمد: «كيف»؟

لم يجب المخلوق عن سؤال أحمد لأنه أراد أن يحترق بنار الفضول، حتى ينسى ذكر الله، فيأتيه من قبل غفلته فقال: «الآن انتهت اللعبة، وقد أجبتك على كل الأسئلة».

أحمد: «ولكنك لم تروِ ظمئي بعد، ولدي المزيد من الأسئلة بخصوص عصرنا الحالي».

المخلوق: «حسنًا سوف أطيل عمرك لدقائق أخرى، سل ما شئت».

أحمد: «نسمع كثيرًا عن الماسونية والمتنورين والكابالاة وأسماء ومسميات كثيرة جدًا، فما هو الحقيقي منها وما هو المشهور؟»

المخلوق: «دعك من المشهور فهو سهل الوصول إليه؛ لأننا نحن من ننشره بما فيه من حق وباطل، وخذ مني الحقيقة التي لن تجد أحدًا يحدثك بها».

أحمد: «كُلِّي آذان صاغية».

المخلوق: «نبدأ بالماسونية.. قد عرفت أن ثمة أخوية عقدت بين عزازيل وليليث وأتباعهم من جهة، وإيزيس وابنها وأتباعهم من جهة أخرى، هذا كان المحفل الأول بعدها حدث تطور مهم وهو انصهار بني قابيل في بني إسرائيل أثناء وجودهم في مصر، وإنشاء سبط ثالث عشر خاص ببني قابيل. لذلك وحين امتلك عزازيل التابوت عمد عزازيل على تنظيم الصفوف إداريًا، ولمطالعة الكتب

ودراستها وكشف أسرارها للخواص بشكل إداري هرمي، يكون هو المشرف عليه وعلى رأس الهرم الدجال نفسه، يليه تسعة من بني قابيل الخالص المستوعبين لكافة أسرار الكتب الروحية، وأهمها السحر وما يضاده، بشرط أن يظل هؤلاء التسعة مجهولين حتى لأتباعهم. فقط يلتقون مرة في العام في إحدى المقابر حول العالم، وهؤلاء التسعة يتواصلون مع أتباعهم من خلال الشياطين، يليهم مجلس مكون...».

قاطعہ أحمد: «هؤلاء أصحاب الدرجة الثالثة والثلاثين؟»
ضحك المخلوق ملء فيه القبيح، وهو يقول: «أنا بكلمك عن مستوى أعلى بكثير ما فوق الماسونية الكونية، والتي تحتها الملكية، وقبلهم الرمزية، يعني الدرجة ثلاثة وثلاثين دي بوابة قبول فقط.».

أحمد: «طيب فهمني بالعكس.. قصدي من قاعده الهرم مش من قمته.».

المخلوق: «القاعدة تبدأ من الماسونية الرمزية، ودي بنختار لها الوجهاء وراغبى الشهرة والمال، ويتم استخدامهم في مجالات الأعمال الخيرية والحقوقية والمجتمعية وما شابه، على أن تتم مراقبتهم جيداً لدراسة الجدير منهم بالترقي في الدرجات، حتى إذا بلغ الدرجة الأستاذية ٣٣ في الماسونية الرمزية، يكون قد انسلخ من أي تعصب لدين أو هوية أو وطن، تقدر تسميه إنساني أو دهري أو

حتى علماني بشرط أن يكون متطرف معادٍ للرسول.. فإن كان ملحدًا فيها ونعمت، وإن كان مؤمنًا صار ربوبي لا ديني.

بعد ذلك يترقى المختار للماسونية الملوكية، وهي ذات ثلاث درجات: أولاها درجة الرفيق، وهي أقصى ما يبلغه الربوبي، وثانيها درجة الشغال وهي قاصرة على اليهودي والملحد، وثالثها درجة الأستاذ الأعظم، وهي قاصرة على اليهودي اليعقوبي فقط؛ أي الإسرائيلي وليس الخزرجي.

بعدها يرتقي العضو للماسونية الكونية، عادة يكون قد تجاوز الستين من عمره وبلغ من العلوم والحكمة ما يؤهله لمجلس الخمسين من اليهود والقبليين^(١)، وهذه الدرجة ليس فوقها إلا مجلس المستشارين الكونين الثلاثة عشر، ثم الأذرع التسعة للدجال الذين حدثك عنهم، وهم قابليون خلص، ثم الدجال على القمة بإشراف ومرجعية من الملك عزازيل».

أحمد: «لكنك لم تذكر شيئًا من الأسماء التي نسمعها مثل المتنورين والصليب الوردي أو الجمجمة والعظام مثلاً».

المخلوق: «عليك أن تعلم أننا مررنا بكثير من الأسماء على مر التاريخ، أغلبها لم نطلقها على أنفسنا، ولكن اقتضت الحاجة لها، فنحن سریتنا في الشيوع».

أحمد: «لم أفهم جملتك الأخيرة!»

(١) وهي حكومة العالم الخفية. (المؤلف).

المخلوق: «أعني أننا نشيع ما أردنا شيوعه من خلال رجالنا، حتى إذا سربت حقيقة واحدة كان مقابلها ألف كذبة مشهورة.. تعرف إنك لو قدر لك الحياة ونشرت ما قصصته لك ستتهم بأنك ماسوني، وأنك متعمد نشر أخبار كاذبة بغرض التضليل».

أحمد: «أفهم ذلك، لكنك لم تجبني بعد عن المسميات العديدة لكم».

المخلوق: «نحن لم نتسم إلا بأخوية العين قديمًا، لكن بعد تأسيس اليهودية وكتابة التوراة بمعرفة خبرائنا في زمن السبي لعموم العالم والتلمود للأتباع والقبالة للخوادم، وقتها تسمينا لأبناء الأرملة: أي إخوة حورس».

بعد العودة من السبي زاد الأتباع جدًّا، لكن في زمن بعثة النبي عيسى ابن مريم حدث نوع من البلبلة بين الأتباع، إذ كنا قديمًا وعدناهم أن مخلصهم سيكون داوودي النسب فكثيرًا من الأتباع كادوا أن يتبعوا ابن مريم لأنه انطبق عليه شرط بيت داوود.

فحدث نوع من تمزق الصفوف—وإن كانت الغلبة لنا—فكلفنا الملك هيرودس بن أكريبا في سنة ٤٣ للميلاد بتنظيم الصف مجددًا، فأقام المحفل تحت اسم الأيد الخفية، وعمل على اضطهاد من يتبع ابن مريم من جماعتنا أو غيرها.

لكنه لم ينجح مثلما نجح رجلنا شاوِل الطرطوسي (بولس الرسول) فبدلًا من اضطهاد المسيحيين، شكل هو مسيحية تناسبنا وصار قديسًا».

لمح أحمد في عيني المخلوق ابتسامة لم يفهمها.
«حتى توغلنا في المسيحية من خلالها وصارت الأمور بهذا
الاسم قروناً عدة إلى أن تعجل فرسان المعبد في جني ثمار المخطط
القديم، وخالفوا التعاليم السرية نوعاً ما، فلما انتقم منهم بعض
البابوات والملوك، تخفى الناجون من القتل والحرق منهم في تنظيم
البنائين الأحرار ورويداً رويداً سيطرنا على التنظيم حتى صار الاسم
علم علينا».

أحمد: «وماذا عن باقي الأسماء مثل المتنورين وغيرها؟»
المخلوق: «أبدأ بخبر المتنورين، مؤخراً في القرن التاسع
عشر نبغ أحد أعضائنا العباقرة واسمه ألبرت بايك، لدرجة أنه حظي
بمقابلة خاصة مع الدجال وعزازيل، وذلك شرف لو تعلم عظيم،
ورقي لمستشار كوني في مجلس الثلاثة عشر، وقتها كلف بوضع
الخطة المرحلية القادمة، فطلب مجموعة منتقاة من اليهود المطلعين
على الهدف المنشود، وبالطبع يرأسهم قابيلي مختار، ووضع خطته
ذات الحروب العالمية الثلاث على أن تنشأ الصهيونية بين الثانية
والثالثة، وتفاصيل أخرى كثيرة ليس هنا مجال ذكرها، عموماً هي
مدونة في بروتوكولات الحكماء الشهيرة، والتي سربت حين ضربت
صاعقة الرسول الذي يحملها، فمات من فوره ووقعت في يد السلطة
البافارية.

المهم أن مجموعة اليهود برئاسة القابيلي هؤلاء اصطُح على
تسميتهم بالمتنورين، أما عن الجمجمة والعظام، فهي لجنة مهمتها

تتركز في اختيار النوابع من الطلاب في المدارس والجامعات،
وضمهم إلى الأخوية بعد مراقبتهم جيدًا، فإذا تم اختيار أحد الطلاب
تم تجهيزه معنويًا وماديًا حتى يصير العوبة في أيدينا، حتى وإن لم
يطلع على الأسرار، وهؤلاء الطلاب يتم تقليديهم أرقى المناصب
في بلادهم بواسطة، بشرط أن يكون ولاؤهم لنا، وينفذون أوامرنا
بحذافيرها، وهذا ما عليه باقي المسميات، فهي إما أسماء درجات أو
لجان منبثقة لأهداف محددة؛ أي أن الأخوية الأم جامعة لكل تلك
المسميات كأصل لشجرة تلك فروعها».

هنا فُتِحَ الباب وولج ولي الله، فعاد المخلوق لهيئة داوود، وقام
واحتضن ولي وهو يقول له: «جابر ييفتش ورانا»!

نظر ولي إلى جابر المسجى على الأرض، وإلى أحمد المصق
ظهره للحائط، وقال لداوود بلهجة قاسية، وهو يشير نحو أحمد:
«هو ليه لسة حي لدوقت»؟

قال داوود مستهزئًا: «لأنه كان عاوز يفهم». قالها وابتسم.

قال ولي بجدية: «وفهم»؟

زاد مجيء ولي من فضول أحمد المستعر فقال: «لسة شيء
واحد».

لم يدعه ولي يتم جملته وقال له: «أنا مين وحكايتي إيه
صح»؟

لم يزد أحمد عن قوله: «صح»! وانتظر الجواب بلهفة، جلس ولي، وبعد أن أشعل سيجارة مستوردة أوماً إلى داوود برأسه فتكلم داوود.

داوود: «سوف أجيبك على سؤالك عمن يكون هو ولي، أو بمعنى أصح الدكتور رأوبين، ولكن اعلم أولاً أننا بصدد الانتهاء من خطة ألبرت بايك، التي حدثتك عنها ذات الحروب العالمية الثلاث: الأولى وكان الغرض منها إسقاط الخلافة العثمانية، وتفتيت الدول العربية من خلال اتفاقية سايكس بيكو وإنشاء الصهيونية.

والحرب العالمية الثانية والغرض منها الإبقاء على أمريكا كقوى عالمية مركزية بعد إضعاف سائر الدول اقتصادياً، واضطهاد اليهود على يد النازيين، وظهور الصهيونية، ومن ثم إعلان دولة إسرائيل. أما المرحلة الثالثة والتي نحن بصدها الآن والتي بدأت بتفكيك الاتحاد السوفيتي وإضعافه مع سقوط الشيوعية والاشتراكية في أوروبا الشرقية، وبالتالي انهيار حلف وارسو العسكري، وهذا تزامناً مع إظهار أمريكا كشرطي العالم الأوحده، يقود حلف الناتو، ثم افتعال مشكلة في الشرق الأوسط من خلال تحريض صدام حسين على غزو الكويت، وبالتالي يهرع الشرطي القوي للمنطقة ويضع أقدامه هناك، ولا يبرح مكانه أبداً.

بعد ذلك إعادة بناء روسيا قوية أخرى على يد بوتين، وتحت أعيننا، بالإضافة إلى قوى أخرى، مثل الصين وإيران وتركيا في مقابل أمريكا والاتحاد الأوروبي.

بعد توازن القوى نفتعل مشكلة الإرهاب الإسلامي، والذي لا يهدد أمن إسرائيل فحسب بل والعالم أجمع، وليتمركز هؤلاء في سوريا والعراق مثلاً، وقتها ننشر فوضى عارمة حتى يستحيل أن تميز من ضد من، والقواسم المشتركة والخلافية بين القوى.

وأخيراً، وفي أثناء تلك الفوضى يتحرك الجيش الأمريكي على أي مسألة خلافية بينه وبين منافسيه من الروس والصين.

والمسائل الواردة كثيرة، على سبيل المثال حماية الحلفاء الخليجيين من إيران، فينضم الروس إلى حليفهم الإيراني، أو مساعدة إسرائيل الأكراد في إقامة دولة مقتطعة من العراق على حدود إيران، فتضرب إيران الأكراد حلفاء إسرائيل، أو نفس الشيء على حدود تركيا بسماع أمريكا لدولة كردية لن ترضى عنها تركيا.

المهم أننا حين نختار توقيت الحرب العالمية الثالثة والأخيرة لن نعدم افتعال مشكلة لحدوثها؛ المهم أن تصطبغ الحرب بصبغة دينية، لتكون إسرائيل طرفاً فيها ومن ورائها أمريكا.

وقتها ستنهار كل النظم السياسية والاقتصادية والمجتمعية، حرب تقضي على الكل لا منتصر فيها ولا مهزوم، حينئذ يخرج ماشيخنا ليحكم العالم بشريعة عزازيل.

أحمد: «وما علاقة ولي.. قصدي رأويين بكل هذا»؟

داوود: «من حوالي ثلاثين سنة تم العثور على جثامين لمجموعة محفوظة في طبقة كثيفة من الجليد في سيبيريا، وبالكشف عليهم تبين أنهم من عصر الطوفان، وقتها طلب الماشيخ رؤيتهم،

وكانت المفاجأة إنه تعرف عليهم، وإذا هم توبال قايين، وأخته نعمة زوجة نوح، وابنها يام، وآخرون من آل قابيل جرفهم الطوفان لتلك المنطقة كثيفة الثلوج، وحين تأكد ظن السيد الماشيح بعد فحص DNA، هنا أمر الماشيح من علمائنا استنساخ ٥٠٠ صبي، ومثلهم من الإناث؛ ليكونوا هم الولاة وسادة الأرض أثناء حكمه للأرض.

وبعد استئذان عزازيل وافق بشروط، منها أن يتم تربيته في مناطق مختلفة حول العالم، من خلال تلقيح الأجنة في نساء من بيئات مختلفة، وطبعًا ومن خلال السحر وبدون أن تشعر تم تلقيح إيطاليا، وإيهامها بأنها حامل من حمو زعزوعة، ولما ولدت أخذنا المولود لبنت جابر، وبحيلة أخرى إيطاليا فهمت إنها أجهضت.

ومن شروط عزازيل أيضًا أن يتم نشأة المواليد نشأة طبيعية، وأن يختلطوا بالبشرية العادية، وعلى أن يتكفل بتربية كل طفل منهم شيطان من آل عزازيل، ثم يتم تزويج الذكور المستنسخين من إخوتهم الإناث فيما بعد، لتكوين ذرية ملكية نقية الدم خالصة، ومؤخرًا صدر القرار أن يكون موعد الحفل هو اليوم: أي أول أيام الألفية السعيدة التي ستشهد حكم الماشيح، ومكان الزفاف سفح هرم إدريس والد الماشيح حورس، والذي أشعنا أنه هرم خوفو.

الدكتور ولي واحد من الألف يا دكتور أحمد، يعني زفافه اليوم، وبكده تكون لعبة الأسئلة انتهت وحن وقت موتك».

صاح أحمد، وجابر المسكين: «هتعملوا فيه إيه»؟

لم يحبه داوود، وإنما أغمض عينيه وهو يمتم بكلمات مبهمة، وهو يمسح الأرض بيديه ويتفل عليها، فإذا تنشق عن دائرة صغيرة من تحت أقدام أحمد، الذي هوى واختلط صراخه مع تلفظه بالشهادة، أعاد داوود همته الغامضة، ثم بصق على الأرض فالتأمت مبتلعة أحمد في غياهاها.

تبادل ولي مع داوود نظرة فهما مغزاها جيداً، بعدها اختفي داوود كدخان سيجارة ابتلعه سقف الغرفة، جثى ولي على ركبتيه، وهو يوقظ جابر، وبعد جهد قليل نجح في إيقاظه وهو يلفظ بلهجة متعجبة، وتمثيل متقن: «بابا بابا! مالك نايم هنا ليه»؟

استفاق جابر يغمره العرق وجال بصره في أركان الغرفة آملاً أن ما مر به لم يكن سوى كابوس مزعج، ولكن حينما وجد نفسه مطروحاً على أرضية شقة داوود حتى اعتدل مذعوراً محتضناً كفي ولي. جابر: «الدكتور أحمد فين»؟

ولي باندعاش حقيقي: «مين الدكتور أحمد؟ وإيه اللي دخلك الشقة المهجورة دي»؟

للحظات ظن جابر أنه ما زال مغشياً عليه، فتحسس يد ولي المستند عليها، فعلم أنه واعياً فقال: «أحمد اللي كان مع عم داوود».

قاطعه ولي بعصبية حاسمة: «داوود تاني يا بابا، لازم تشوف دكتور نفسي كده الموضوع زاد عن حده».

لم يفهم جابر عما يتكلم ولي، فاكثفي بنظرة حائرة قبل أن يقول ولي: «قوم يا بابا نشم هوا برة أحسن من هوا الشقة اللي مقفولة من سنين دي».

زادت جملة ولي الأخيرة من حيرة جابر، فترك يده ليد ولي كي يساعده على النهوض، واستند عليه حتى خرجا إلى باب الشارع، وهناك وجدا حمو زعزوعة مازًا بالصدفة وما أن شاهد جابر متكئًا على يد ابنه حتى وقف مستفسرًا ليطمئن عليه: «سلامتك يا جابر يا خويا مالك؟»

لم يعرف جابر بماذا يجب فتطوع ولي بالجواب عنه: «حاجة غريبة يا عم حمو، دخلت لقيت شقة داوود الساعاتي مفتوحة، وبابا مغمي عليه وواقع على الأرض».

حمو: «أيوووه يا جدعان دي متفتحش من ٢٥ سنة وزيادة».

نظر جابر إلى حمو مندهشًا، وقال بصوت خافت: «بتقول إيه يا حمو؟»

حمو: «بقولك إيه اللي دخلك شقة الخواجة الله يرحمه؟»

زاد جابر ذهولًا ولم يعرف عما يتحدثان، فقال لولي: «ريقي ناشف».

هنا صاح حمو بصوته الأجش: «هات كازوزة والنبي يا عم حنا».

سرعان ما أتى حنا البقال -الذي كان يراقب الجميع من دكانه على الرصيف المقابل- بزجاجة مياه غازية: «ألف سلامة عليك يا شيخ جابر! مالك؟»

أعاد ولي جوابه، فقال حنا وهو يناول جابر المشروب المثلج: «انسى يا جابر يا بني بقى، مينفعش تعيش طول عمرك في ذكرياتك!»

لم يفهم جابر كلام حنا البقال أيضًا، فنظر إلى ولي مستفهمًا، فقال ولي: «يا بابا كفاية كده، لازم تفوق، داوود الساعاتي ميت من ٢٥ سنة، من بعد حريقة البيت اللي ماتت فيها أمي الله يرحمها». حمو زعزوعة: «لا مؤاخذة يا ولي يا بني، أبوك كده لازم له مستشفى المعمورة ضروري».

نظر إليه حنا نظرة معاتبة على صراحته الجريئة، فأراد تهذيب صيغة الجملة، فقال حنا: «حمو قصده يعني المرض النفسي مش عيب، وهو هيلاقى الرعاية النفسية عندهم، وإنت دكتور وسيد العارفين يا ولي يا بني».

ولي: «خلاص مافيش وقت للمستشفى، أنا مسافر النهاردة يا عم حنا».

انتبه جابر من شروده حين سمع ولي يتحدث عن السفر، فقال بصوت أشبه بالهمس: «مسافر؟»

انفجر ولي بالبكاء، واضعًا كفيه على وجهه، فقلب حمو كفيه وهو يقول: «يا حول الله يا رب، متشليش هم أبوك يا ولي يا بني! الحارة كلها أهله توكل على الله وشوف مستقبلك».

ربت حنا على كتف ولي بمودة صادقة وقال: «يبقى عشان كده أبوك مستحملش فكرة بعادك عنه، فالنوبة المرة دي زائدة عليه شويتين».

ثم تأبط حنا (جابر) المذهول برفق وسارا خطوات حتى دلفا دكان البقالة، وهناك وضع له كرسيًا مريحًا.. جلس جابر وبحركة آلية أشعل له حنا سيجارة، وتنهد بعد أن تأكد أنه ليس في حلم مزعج وسأل: «هو فيه إيه يا عم حنا»؟

حنا: «فيه إنك لازم تفوق لنفسك يا جابر يا بني! عجبك لما تروح المعمورة وناس تعابير ابنك بيك ويقولوا ابن المجنون أهو»؟
جابر: «مش فاهم! إنتم بتقولوا إيه»؟

حنا: «إنت حالتك اتأخرت أوي يا جابر! وأنا هفهمك للمرة المليون، بس المرة دي اسمعني كويس، أنا يعز عليا تبقى أخرتك مستشفى المجانين يا بني»!

جابر: «تفهمني إيه»؟

حنا: «من بعد محروسة ما ماتت في الحريقة، وقبل ما أنت تفوق من الصدمة، مافيش كام يوم إلا وكان داوود الساعاتي ميت هو كمان، وقتها عقلك رفض إنك ترجع وحيد تاني، وكلنا كنا عارفين

مقدار داوود عندك، إنه كان أبوك وصاحبك وشريكك في مركبك وأنيس وحدتك.

وإنك بتسهر معاه في خمارة زعزوعة يوميًا، لكن لما مات بقيت كل يوم وقت سهرتك معاه تولع الفحم وتقعّد تشرب لوحداك على باب دكان الساعات المقفول، والحارة كلها شايفاك وسمعاك وأنت بتكلم نفسك، وكأنك بتكلم داوود، وحتى لما بتجيب أكل أو حتى بتاخذ بيرة من عندي تقولي هاتها سخنة عشان عم داوود بيعبها سخنة ومن ده كتير يا جابر يا بني».

شعر جابر بصدا ع رهيّب يدق رأسه: «بس هو بيسهر يوماتي معايا ويحكّي لي قصص».

حنا: «في خيالك بس يا جابر! والمسيح الحي في خيالك بس يا بني!»

جابر: «طيب يا عم حنا مش أنا يوم الجمعة اللي فاتت لما صبحت عليك قبل الصلاة كان هو واقف مع شيخ أزهري وبيكلمه صح»؟

حنا: «أيوة فاكّر، بس اللي حصل أنه فعلاً فيه واحد لا بس أزهري كان بيسأل على محل تصليح ساعات، وإنّ قلت له على مورييس الساعاتي في محطة الرمل، ومشّي على طول، ولا شاف غيرك ولا كلم غيرك يا جابر».

جابر: «يعني أنا مجنون يا عم حنا والسنين دي كلها بكلم نفسي».

حنا: «الوحدة وحشة يا جابر يا بني، وخصوصًا لما عرفت إن ابنك مسافر».

جابر: «بس أنا معرفش إن ولي مسافر إلا دلوقت».

حنا: «إزاي بس يا جابر؟ الحارة كلها عارفة إن الدكتور ابنك مسافر يوم رأس السنة، فوق يا بني لحالك»!

دخلت وقتئذٍ عليهم الست إيطاليا، لتأخذ التمويل لزيارة المعلم مرسى الشهرية في السجن.

إيطاليا: «العواف عليكم! إزيك شيخ جابر.. إزيك يا عم حنا».

رد حنا التحية بينما همهم جابر.

إيطاليا: «الزيت والشاي والسكر يا عم حنا، وزود قاروصة سجائر، المعلم قالي التمويل مش بيكفي».

حنا: «سلمي لنا عليه».

إيطاليا: «يوصل يا عم حنا». ثم التفت إلى جابر: «شد حيلك يا شيخ جابر! بكرة ابنك يجي لك بألف سلامة».

نظر إليها جابر نظرة استغاثة: «مش إنتي يا ست إيطاليا كنتي

بتيجي زمان توضبي البيت لنا أنا وعم داوود بعد موت محروسة»؟

إيطاليا: «داوود مين بس يا جابر، أنا بدأت أجي البيت من بعد

موت داوود أنا وحماتي عشان نرعى ولي لما محروسة ماتت، وسابته ابن ست سنين، بس لما تكون أنت في البحر والبيت فاضي.

ويا ما رجالة الحارة قالوا لك تتجوز عشانه وأنت كنت بترفض». ثم مالت على جابر وهمست: «هو أنت لسة بتشوف داوود يا شيخ جابر»؟

نظر إلهيا ولم يعرف بما يجيب فاستطردت قائلة: «بسم الله الرحمن الرحيم يجعل كلامنا خفيف عليهم! يلا ماشيني يا عم حنا سي حمو مستنيني».

بعد انصراف إيطاليا حاملة التموين خلا جابر بحنا، فسأله وهو يشير إلى دكان الساعات في الجهة المقابلة: «عاوز تقولي إن الدكان ده مش بيفتحه يومياً ونسهر فيه يا عم حنا»؟

بدون أن يتكلم حنا، فقط تأبطه بحنان وعبر به الشارع إلى الدكان المغلق، وهنا مسك حنا بيد جابر ومسح بها الباب الصاج الصدئ، ثم جعلها نصب عيني جابر، نظر جابر إلى يديه وما بها من طبقة كثيفة من الصدأ المفتت المخلوط بالتراب الطيني وآثار لخيط العنكبوت، فلم تقوَ قدماه على حمله، فأسنده حنا، أدار جابر بصره يتفحص وجه العم حنا: «إنت حي ولا أنت كمان شبح يا عم حنا». دمعت عينا حنا الرقاقة: «تعالى ارتاح في الدكان عندي شوية»!

جابر: «لا أنا هروح أنام عند مقام سيدي يا قوت». حنا: «وما له يا بني روح وارتاح، بس خلي بالك على نفسك». استدار جابر وانصرف، وهو يهمس مع نفسه بكلمات كثيرة لم يتبين حنا منها شيئاً.

بداية ونهاية

في مطعم إيليت اليوناني في قلب محطة الرمل جلس وليّ
يحتسي زجاجة البيرة مصوبًا نظره في الجهة المقابلة حين رأى داوود
متمثلاً بهيئة بشرية جديدة، يدخل إلى بار سانتا لوتشيا الإيطالي،
وما هي إلا دقيقة حتى خرج داوود بصحبة رجل ستيني له وقار جم،
وابتسما لولي عبر شارع صفية زغلول، فبادلها الابتسام دون حركة أو
إشارة، وسرعان ما دخلا إلى مكتب كوزموس تورز للسفر والسياحة
المجاور للمطعم، وحين خرجا كان داوود يحمل مظروفًا به جوازَي
سفر باسمه وصورته وآخر يحمل صورة وليّ وتحته اسم رأوبين
إلياس عيزرا.

انصرف الوقور بعدما صافح داوود وأشار لولي بإبهامه وهمس:

«أوك»!

دلف داوود مكان جلوس ولي وابتسم وهو يقول: «السفر بعد
ساعتين.. يالا ودع إسكندرية وناسها».
ولي: «هنسافر فين»؟
داوود: «باريس.. مطار شارل ديغول».
بدا ولي شاردًا وهو يسأل: «وبعدين»؟
ابتسم داوود ابتسامة الأفعى وهو يقول: «هتقابل جدك».
صمت ولي ولم يعقب، فقط اكتفى بشرب البيرة وهو ينظر إلى
الداخلين إلى سينما مترو.

المحتويات

٥	تنويه مهم
٧	حدث بالفعل
١١	خمارة زعزوعة
٢٥	حكايات عم داوود
٣١	الحكاية الثانية - عزازيل
٣٥	الحكاية الثالثة
٣٩	الحكاية الرابعة
٤٣	الحضرة الشريفة
٦٧	ميتاترون شاب لكل العصور
٩٧	الفرح

١١٥	مهلائيل
١٣٣	عطية الأولياء
١٤٥	المحفل الأول
١٥٩	نعمة والطوفان
١٧٣	ولي الله الغريب
١٩٧	الدكتور أحمد الأزهري
٢٠٧	صواريخ بحري
٢١٩	دوبامين
٢٣١	دبورة
٢٥٥	كشف الأسرار
٢٧١	سبط دينا
٢٨٧	التمكين
٣١١	الألفية السعيدة
٣٤١	بداية ونهاية

كاريزما
للتنسيق والتوزيع